

علم  
الشيخ / مفتي قاسم

الإلهية

عِنْدَ الْعُلَمَاءِ نَبِيْنِ

روصيح بدعوى الحضارة  
والمدنية (١) أقاموا منذ  
سنوات ما يُسمى بمهرجان  
المسرح التجريبي، ولم  
يكفوا بأن يعرض فيه  
العري والمفاسد الأخلاقية  
بل تحت شعار لا حدود  
للإبداع، وصل الأمر إلى  
التناول على المقدمات!  
ففي العام الماضي  
عرضوا مسرحية تظهر فيها  
راقصة ترقص فوق مجسم  
للكنيسة المشرفة (٢)

أما في هذا العام وبعد  
أن أصبح التطاول على  
الذات الإلهية إبداعاً  
يستحق صاحبه الجوائز  
العالمية (ولست قصة  
«أولاد حارتنا» للمدعو  
نجيب محفوظ التي أخذ عنها  
جائزة نوبل والتي يظهر فيها  
الإله بمظهر فتوة في حارة  
بل يموت هذا الإله في  
نهاية تلك القصة، وليست

على أرض الكنانة - بلد  
الأزهر والألف متونة - لم  
يكفوا بأن يُقام على أرضها  
ما يُسمى بمهرجان القاهرة  
السينائي ومن بعده مهرجان  
الإسكندرية السينائي،  
وحدثت ولا حرج عما  
تعرض في أمثال هذه  
المهرجانات من أفلام العري  
والبذاء التي يتدى لها  
الجبين، وبأبها كل ذي  
خلق ودين.

لم يكفوا بكل ذلك -  
وبما كان على شاكلته مما  
أصبح أمراً واقعاً لا يكاد  
يُنكر حتى لا يُبهم من ينكر  
بأنه متخلف وما زال يعيش  
بمقليات القرون الماضية التي  
عفا عليها الزمن - وسيراً  
منهم على كل ما هو فاسد

قصة « آيات شيطانية »  
 للمدعو سلمان رشدي ،  
 التي رفعه فيها الغرب إلى  
 مكانة عليا عندهم بسبب  
 تظاوله على رسول الله  
 ﷺ . وأيضا تطاول  
 السجلاديشية نرسين  
 نسليمة . ونصر حامد  
 أبي زيد وعلاء حامد  
 وغيرهم على القرآن .  
 أقول : ليست هذه الأمور  
 عنا بعيد .  
 من أجل ذلك غرض في  
 مهرجان هذا العام تطاول  
 فحج على الذات الإلهية بلا  
 أدل موازية - فلا بد أن  
 يعرف إبداعهم كل الحدود  
 حتى يرضى عنهم سادتهم في  
 الغرب - هذا التطاول  
 غرض في مسرحية لبنانية كما  
 تقول جريدة « أخبار  
 اليوم » بتاريخ ١٠/٩/١٩٩٤  
 فقد جاء فيها  
 مايلي :  
 ارشفت صحفات

الإحتجاج والعصب من  
 المخرجين الذين احتشدوا  
 داخل مسرح محمد فريد  
 لمشاهدة مسرحية « أمام  
 الباب » التي تشارك بها  
 لبنان في المهرجان عبر نص  
 للكاتب الألماني « فولفاج  
 بورشرت » .

سبب الإحتجاج هو  
 ظهور ممثل يدعى أنه  
 « الله » ويحاكمه باقي  
 الممثلين في العرض بل  
 ويطالبون بقتله !!

غادر بعض المخرجين  
 حالة العرض ، وتساءل  
 بعضهم الآخر : من المستول  
 عن استضافة هذا العرض  
 الذي يهاجم العقيدة  
 الدينية ؟ !

نعم ، من المستول عن  
 هذه الكارثة وهذا الكفر  
 الخس الذي يعرض باسم  
 « الفن » و « الإبداع » ؟

فأي فن وأي إبداع في هذا  
 الكفر الصراح ؟  
 فهل نجد من بحاسب  
 ويحاكم هذا المستول ؟ وهل  
 نجد من يتصدى لهؤلاء  
 العابثين بالسقيم  
 والمقدسات ؟

والى أتوجه إلى شيخ  
 الأزهر ومجمع البحوث  
 الإسلامية وعلماء الأزهر  
 ومفتي الجمهورية لبيبا  
 لنا حكم الدين في هذا  
 العبث . وما موقف الحكام  
 والمحكومين من هذه  
 الكارثة ؟ وما حكم من  
 يسمح بعرض مثل هذا  
 التطاول على الذات  
 الإلهية ؟ وهل يسمح له بأن  
 يستمر في منصبه ؟

اللهم إني قد بلغت !  
 اللهم فاشهد !!  
 مجدي قاسم

# أَسْئَلُكَ الْقُرَّاءَ عَنِ الْأَحَادِيثِ

أبي هريرة وعائشة وأنس»  
ثم قال: «حديث سمرة  
حديث حسن، وقد رواه  
بعض أصحاب قتادة عن  
قتادة عن الحسن عن  
سَمُرَةَ بن جُنْدَب، ورواه  
بعضهم عن قتادة عن  
الحسن عن النبي ﷺ  
مرسلاً، وقال الشيخ  
أحمد شاكر في تعليقه على  
الترمذي: «وهذا الحديث  
اختلف فيه على قتادة كما  
ترى، وقد نقله الشافعي في  
الرسالة معلقاً بدون إسناد  
(رقم ٨٤٥) وتكلمنا عليه  
في شرحنا عليها» وهناك  
أحال على نيل الأوطار  
ونقل قول الحافظ في  
الفتح (٣٠٠/٢ - ٣٠١)  
«ولهذا الحديث طرق،  
أشهرها وأقواها رواية  
الحسن عن سمرة، أخرجها  
أصحاب السنن الثلاثة وابن  
خزيمة وابن حبان، وله  
علتان: إحداهما أنه من  
عننة الحسن، والأخرى  
أنه اختلف فيه،

بقلم الشيخ / مجدي  
قاسم

«من توضأ يوم الجمعة فيها  
ونعمت، ومن اغتسل  
فالغسل أفضل».

والحديث في إسناده  
ضعف.

رواه أبو داود

(ح ٣٥٤)، والترمذي

(٤٩٧)، والنسائي

(٩٤/٣)، وأحمد

(١٥/٥، ١٦، ٢٢)

وقال النسائي: «روى

الحسن عن سمرة كتاباً ولم

يسمع الحسن من سمرة إلا

حديث العقيقة»، وقال

الترمذي: «وفي الباب عن

\* القاري:

عبد الرحمن عبد الله من  
القطامية - القاهرة. يسأل  
عن الحديث الذي رواه  
السائب بن خلاد رضي الله  
عنه أن رجلاً أمَّ قومًا فبصق  
في القبلة ورسول الله ﷺ  
ينظر إليه، فقال رسول الله  
ﷺ: «لا يصلي لكم»  
فأراد بعد ذلك أن يصلي  
بهم فمنعوه وأخبروه بقول  
النبي ﷺ فذكر ذلك  
للنبي فقال: «نعم، إنك  
آذيت الله ورسوله».

والحديث يمتثل  
التحسين.

رواه أبو داود (ح

٤٨١)، وأحمد (٤/٥٦)،

وابن حبان (ح ١٦٣٦)

وفي إسناده صالح بن

حيوان، ويُقال: حيوان،

وثقه العجلي وذكره ابن

حبان في الثقات، وباقي

إسناده صحيح.

\* كما يسأل عن حديث

سَمُرَةَ بن جُنْدَب قال:

قال رسول الله ﷺ:

وأخرجه ابن ماجة من حديث أنس ، والطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة ، والبزار من حديث أبي سعيد ، وابن عدي من حديث جابر ، وكلها ضعيفة .

ولذا قال الألباني في المشكاة ( ح ٥٤٠ ) : « ورجاله ثقات غير أنه من رواية الحسن البصري عن سمرة وهو مدلس ، ولم يصرح بسماعه من سمرة ، لكن الحديث قوي ، لأن له شواهد كثيرة ذكرتها بعضها في صحيح السنن رقم ( ٣٨٠ ) . »

أما عن سماع الحسن من سمرة ففيه ثلاثة مذاهب : سماعه مطلقاً ، لم يسمع منه شيئاً ، سماعه حديث العقيدة فقط . وانظر في ذلك « نصب الراية » للزيلعي ( ٨٩ / ١ : ٩٠ ) ، وتهذيب التهذيب ( ٢٦٩ / ٢ ) ، وقواعد في علوم الحديث

للتهانوي ( ٣٥٩ ) : ( ٣٦١ ) .

\* القارىء : الشاذلي عبد العزيز محمد المطيري من محافظة قنا - قوص - المسيد يسأل عن حديث : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » .

وهذا الحديث له عدة طرق عن ابن عمر كلها ضعيفة .

فقد رواه ابن عدي في الكامل ( ٣٥١ / ٦ ) والدولابي في الكنى والأسماء ( ٦٤ / ٢ ) وأيضاً ابن خزيمة في مختصر المختصر كما في ميزان الاعتدال للذهبي ( ٢٢٦ / ٤ ) من طريق محمد بن إسماعيل بن سمرة عن موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، وقال ابن عدي : « وقد روى غير ابن سمرة هذا الحديث عن موسى بن هلال فقال عن عبيد الله عن نافع ... ثم قال : وعبد الله أصبح ،

ولموسى غير هذا وأرجو أنه لا بأس به » يعني أن الصواب أن الحديث فيه عبد الله العمري المكبر وهو ضعيف لا عيب الله الثقة . وهذا هو الذي رجحه ابن خزيمة فقد قال : « إن صح الخبر فإن في القلب من إسناده » ثم رجح أنه من رواية عبد الله بن عمر العمري المكبر الضعيف لا المصغر الثقة ، وصرح بأن الثقة لا يروي هذا الخبر المنكر . كما في تلخيص الحبير لابن حجر ( ٢٦٧ / ٢ ) ونقل جزم الضياء في الأحكام وقبله البيهقي بأن عبد الله بن عمر المذكور في هذا الإسناد هو المكبر . وقد أنكر هذا الحديث الذهبي في الميزان ، والعقيلي في الضعفاء الكبير ( ١٧٠ / ٤ ) وقال : « ولا يصح حديثه ، ولا يتابع عليه » ثم ذكر الحديث ثم قال : « والرواية في هذا

الباب فيها لين » وقد تعقبه الحافظ في تلخيص الحبير وذكر له متابعات منها رواية للطبراني من طريق مسلمة بن سالم الجهني عن ابن عمر .

وقد رواه البزار كما في كشف الأستار (٢/٥٧ ح ١١٩٨) من طريق عبد الله بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر ، وقال البزار : « عبد الله بن إبراهيم لم يتابع علي هذا ، وإنما يكتب ما يتفرد به » وقال الهيثمي في الجمع (٤/٢) : « رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف » وقد قال بذلك الحافظ أيضاً في التلخيص .

وقد رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص ١٢: ١٣) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٤٥) بإسناده عن رجل من آل

عمر عن عمر ، وقال : « في إسناده مجهول » .

وفي الباب عن أنس بإسناد ضعيف أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور كما في تلخيص الحبير ، ثم قال الحافظ : « فائدة : طرق هذا الحديث كلها ضعيفة لكن صححه من حديث ابن عمر أبو علي ابن السكن في إيراده إياه في أثناء السنن الصحاح له ، وعبد الحق (أي الإشبيلي) في الأحكام في سكوته عنه ، والشيخ تقي الدين السبكي من المتأخرين باعتبار مجموع الطرق ... » اهـ .

\* ونفس القارىء يسأل عن حديث : « من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله تعالى عنهم يومئذ ، وكان له بعدد من فيها حسنات » .

والحديث لم أقف عليه وأمارات الوضع عليه

ظاهرة والله أعلم ! \* ونفس القارىء يسأل عن حديث : « إن الله تعالى وكّل بقبري ملكاً أعطاه أسماع الخلائق ، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا بلغني باسمه واسم أبيه » . والحديث إسناده ضعيف .

رواه البزار (٤/٤٧ ح ٣١٦٢ ، ٣١٦٣) كما رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٢٨٠) ومجمع الزوائد (١٠/١٦٢) ، كما رواه أبو الشيخ الأصبهاني في « العظمة » (٢/٧٦٢) : ٧٦٣ ح ٣٣٩) ، كما أورده البخاري في التاريخ الكبير (٦/٤١٦) ، كما عزاه السخاوي في « القول البديع » (ص ١١٣) إلى الحارث في مسنده وابن أبي عاصم كما عزاه محقق

كتاب « العظمة » إلى  
أبي علي الطوسي في مختصر  
الأحكام ، وابن الجراح في  
أماله ، وأبي القاسم التيمي  
في الترغيب والترهيب كما  
في القول البديع . كلهم من  
طريق نعم بن مضمم عن  
عمران الحميري عن  
عمار بن ياسر ، والحديث  
ضعفه الحافظ المنذري في  
الترغيب حيث قال :  
« روه كلهم عن نعم بن  
مضمم وفيه خلاف عن  
عمران بن الحميري ولا  
يُعرف » وقال الهيثمي في

المجمع : « رواه البزار وفيه  
ابن الحميري واسمه عمران  
يأتي الكلام عليه بعده ،  
ونعم بن مضمم ضعفه  
بعضهم ، وبقية رجاله  
رجال الصحيح » ثم ذكر  
رواية الطبراني ثم قال :  
« رواه الطبراني ونعم بن  
مضمم ضعيف ، وابن  
الحميري اسمه عمران قال  
البخاري : لا يتابع على  
حديثه ، وقال صاحب  
الميزان : لا يعرف ، وبقية  
رجالهم رجال الصحيح »  
اه . ولكن الألباني حسن

الحديث في صحيح الجامع  
( ح ٢١٧٦ ) لشواهد  
حيث جعله في السلسلة  
الصحيحة رقم ( ١٥٣٠ )  
شاهدًا لحديث أبي بكر  
الصديق الذي رواه  
الدلمي في مسند الفردوس  
وقد ضعف إسناده  
السخاوي في القول البديع  
( ص ١١٧ ) ، وقال  
الألباني بعد ذكره للحديثين  
الضعيفين عن عمار  
وأبي بكر : « فالحديث بهذا  
الشاهد وغيره مما في معناه  
حسن إن شاء الله تعالى »

## الصيام لي

البخاري : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : كل عمل  
ابن آدم له . إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي . والصوم جنة  
فلا يرفث ولا يجهل . وإن أحد قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم ، مرتين . والذي نفسي بيده لخلوف  
فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان : فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقى  
ربه . والحسنة بعشر أمثالها » .

## حكم الإسرائيليات

يحلوا لكثير من الوعاظ الاستشهاد بالإسرائيليات المبنوثة في كتب الحديث والتفسير وغيرها استمالة لقلوب العامة لما فيها من قصص وخرائب غير مفرقين بين الغث والسمين ولا الحية والحطبة ، مما يؤدي إلى ترويح ما دسه اليهود وغيرهم من أباطيل وخرافات يلفظها الإسلام وتحطم عقيدة المسلمين ، بل بعض هذه الإسرائيليات يطعن في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، بل في بعضها إساءة للذات الإلهية تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

« ولا حرج » ( رواه البخاري ح ٣٤٦١ ) ولا حجة لهم فقد قال ابن حجر في فتح الباري ( ٦ / ٥٧٥ ) عن معناه : « أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك » ويقصد الحافظ بزجره صلى الله عليه وسلم حديثه الذي بوب به البخاري في صحيحه ( ١٣ / ٣٤٥ ) وهو : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » وقال الحافظ عن ترجمة البخاري تلك ( الفتح

فاستخدموه في كل ما دسه اليهود وغيرهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تفسير القرآن كقصة الغرائق التي يزعمون فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم على قريش وهو بمكة فلما بلغ ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ ألقى الشيطان على لسانه ( تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى ) وهي قصة باطلة ( انظر رسالة « نصب المجانيق » للألباني ) .

ويحتج هؤلاء الوعاظ لما هم عليه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ... وحدثوا عن بني إسرائيل

والإسرائيليات : جمع إسرائيلية ، نسبة إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وهو الذي تُنسب اليهود إليه ، والمقصود القصص والحوادث التي تُروى عن مصادر إسرائيلية أي يهودية ، ولكن العلماء توسعوا في استخدام هذا المصطلح فأصبح يدل على كل قصة أو حادثة أو أسطورة تنسب إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما ، وتوسع البعض في استعمال هذا المصطلح

● الإسرائيليات طعن في الأنبياء عليهم السلام.

● يحاول البعض الاستشهاد بالإسرائيليات في كتب الحديث والتفسير.

● بعض الإسرائيليات إساءة للذات الإلهية.

بقلم : مجدى قاسم رئيس لجنة الدعوة فرع بلقاس

أهل الكتاب عن شيء» وفي سنده جابر الجعفي وهو ضعيف، واستعمله (أي البخاري) في الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح « ١ هـ .

ثم قال ابن حجر (الفتح ٦ / ٥٧٥) : « وكأن النبي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الأذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار . وقيل معنى قوله ( لا حرج ) لا تضيق صدوركم

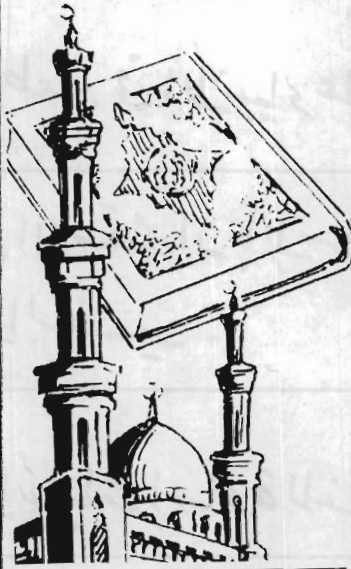


الأنصاري : « أن عُمر نسخ صحيفة من التوراة ، فقال رسول الله ﷺ : لا تسألوا

١٣ / ٣٤٥ ) : « هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري حديث جابر « أن عُمر أنى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه عليه فغضب وقال : لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده ! لو أن موسى كان حياً ما وسعه ألا أن يتبعني » ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفاً ، وأخرج البخاري أيضاً من طريق عبد الله بن ثابت



لا تسألوا أهل الكتاب : فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تصدقوا باطل (رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠ / ٣١٣ . وقد رواه سفيان الثوري أيضا وحسن إسناده الحافظ في الفتح ١٣ / ٣٤٥) . كما ورد النبي أيضا عن عبد الله بن عباس إذ قال : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث ، تقرؤونه محضا لم يشب أي : لم يُخلط . وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه . وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله . ليشتروا به ثمنا قليلا . لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ! ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم » (رواه البخاري ج ٢٦٨٥ وغيره) قال ابن حجر (١٣ / ٥٠٨) : « وكأنته (أي ابن عباس) يقول : لا يسألونكم عن شيء مع علمهم بأن كتابكم لا تحريف فيه . فكيف تسألونهم وقد علمتم أن كتابهم مُحَرَّف »



والقول الأخير لا نوافق عليه فإن أوثق الرجال من أهل ديننا لا نأخذ بحديثه إن كان غير متصل الإسناد خشية أن يكون أحد الكذابين دس هذا الحديث أو ضعيف أخطأ فيه وسقط من الإسناد . هذا بالنسبة لمن نتق فيه من أهل ديننا فما بالكم بأهل الملل الأخرى الذين بدلوا وغيروا في كتبهم المنزلة . فهل نأمنهم فيما دون ذلك ؟ أما ميل الحافظ - رحمه الله - إلى أن النبي كان أولا ثم وقع الإذن بعد ذلك فهو مما لا دليل عليه وقد ورد نفس النبي - بعد - عن ابن مسعود رضي الله عنه إذ قال :

بما تسمعونهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا ، وقيل : لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم ؛ لأن قوله أولا (حدثوا) صيغة أمر تقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله (ولا حرج) أي في ترك الحديث عنهم . وقيل : المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَفَاتِلَا ﴾ وقولهم ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ﴾ وقيل : المراد بني إسرائيل أو أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب ، والمراد : حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف ، وهذا أبعد الأوجه ... » ثم نقل بعض الأوجه الأخرى منها : « وقيل : المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح . وقيل : المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم ، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحدث بها الاتصال ، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد » ١ . هـ .

أ. هـ

وهذه الآثار والله أعلم ترجح قول من قال ان المعنى حدثوا عنهم مثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح مثل قصة موسى عليه السلام مع الخضر أو قصة أهل الكهف وغير ذلك مما ثبت في شرعنا أما ما يعلم كذبه بتناقضه مع ما علم من شرعنا فلا تجوز روايته . كالقصص التي فيها طعن في أنبياء الله أو إساءة للذات الإلهية . وهذا مما نقله ابن حجر في الفتح ( ٦ : ٥٧٥ : ٥٧٦ ) عن مالك والشافعي . فقد قال مالك : « المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن . أما ما علم كذبه فلا » وقال الشافعي « من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجوز التحدث بالكذب . فالمعنى : حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون . وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم . وهو نظير قوله « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه . هـ . وهذا الذي قاله الشافعي

يؤخذ منه وجه الجمع بين حديث « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم . » وقولوا « أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم . » ( رواه البخاري ج ٤٤٨٥ وغيره ) . وحديث « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فما كان مناقضا لما علمناه من شرعنا كذبتاه . وما كان موافقا لما في شرعنا صدقناه . أما ما ورد عنهم ويحتمل الصدق والكذب فتوقف فيه ( وانظر الفتح ٨ : ٢٠ )

فالأحاديث الإسرائيلية كما

قال ابن كثير في تفسيره ( ١ )

٤ باختصار ) على ثلاثة أقسام : « ( أحدها ) ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح . ( والثاني ) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه . ( والثالث ) ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته . وغالب ذلك مما لا لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني . كما يذكرون في مثل هذا : أسماء أصحاب الكهف . ولون

كلهم . وعددهم . وعصا موسى من أي الشجر كانت وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم . إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما فائدة في تعيينه تعود على المبكفين في دينهم ولا دنياهم . هـ مختصرا وانظر مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ( ص ٢٦ ) هذا . وقد ذكر ابن حجر في الفتح ( ١٣ : ٣٤٥ : ٣٤٦ ) قال ابن بطال عن المهلب : هذا النبي إنما هو في سؤالهم عما لا نص فيه . لأن شرعنا مكثف بنفسه . فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم . وأما قوله تعالى : « فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك » [ يونس : ٩٤ ] فالمراد به من آمن منهم . والنبي إنما هو عن سؤال من لم يؤمن منهم . ويحتمل أن يكون الأمر يختص بما يتعلق بالتوحيد والرسالة الحمديّة وما أشبه ذلك والنهي عما سوى ذلك » . هـ . فالراجح أن السؤال لإقامة الحجّة عليهم وتعرية موقفهم واليقين الجازم بأن هذا هو الحق المبين . والله أعلم ! .

# أسئلة القرآن

إعداد الشيخ :

مجدى قاسم

رئيس لجنة الدعوة فرع بلقاس

## عن الأحاديث

يسأل القاريء طارق محمود عن حديثين أوردهما شيخ الإسلام ابن تيمية في

« الإيمان الأوسط » :

أولاً : حديث : « ما أصرَّ من استغفر ولو فعله في اليوم مائة مرة » .

• حديث حسن لشاهده .

وكان يُخطيء على قلة روايته .  
وقال الأزدي ، وإن كان في نفسه  
ضعيفاً : « ضعيف » وأصاف  
الحافظ في التهذيب : « ... وفرَّق  
الحاكم أبو أحمد في الكنى وابن  
ماكولا عن الراوي عن مولى أبي  
بكر وبين الواسطي ، وجعلهما  
واحداً البخاري وأبو حاتم وابن  
طاهر وغيرهم » ووثقه في  
التقريب .

وقال الدارقطني في العلل  
( ١ / ٢٦١ ) في حديث آخر :  
« وأبو نصيرة ضعيف » ونقل عنه  
الذهبي في ميزانه ( ٤ / ١٠٥ )  
قوله : « ليس ممن يُحتج بهم »  
وقال عنه الذهبي : « وهو مُقل »  
وانظر أيضاً الميزان  
( ٤ / ٥٨٠ ) .

بكر عن أبي بكر مرفوعاً .  
والحديث قال عنه الترمذي :  
« حديث غريب ، إنما نعرفه من  
حديث أبي نصيرة ، وليس إسناده  
بالقوي » .

وقال البزار : « لانحفظه إلا  
من حديث لأبي بكر بهذا الطريق ،  
وأبو نصيرة وشيخه لا يُعرفان » وقد  
نقل عنه الحافظ في التهذيب  
( ١٢ / ٢٥٦ ) قوله : « أبو  
نصيرة عن مولى لأبي بكر  
مجهولان » .

وأبو نصيرة هو الواسطي واسمه  
مسلم بن عبيد وثقه أحمد ، وقال  
ابن معين : صالح ، وذكره ابن  
حبان في الثقات ( ٥ / ٣٩٩ )  
وقال : « روى عنه أهل الشام ،

ورد الحديث بلفظ « ... سبعين  
مرة » رواه الترمذي ( ح ٣٥٥٩ ) ،  
وأبو داود ( ح ١٥١٤ ) ،  
وأبو يعلى ( ح ١٣٧ : ١٣٩ ) ،  
والبزار كما في المقاصد الحسنة  
للسخاوي ( ح ٩٣٠ ) ، والبخاري  
في شرح السنة ( ٥ / ٧٩ : ٨٠ ح  
١٢٩٧ ) وأيضاً في تفسيره  
( ١ / ٤٢٢ ) ، والطبري  
( ٤ / ٦٤ ) ، وابن السني في عمل  
اليوم ( ص ١١٠ ح ٣٦٣ ) ،  
وأبو بكر أحمد بن علي الأموي في  
مسند أبي بكر ( ح ١٢١ ، ١٢٢ )  
، والبيهقي في سننه الكبرى  
( ١٠ / ١٨٨ ) ، والمزني في  
تهذيب الكمال ( ٣٤ / ٣٤٦ :  
٣٤٧ ) كلهم من طريق عثمان بن  
واقد عن أبي نصيرة عن مولى لأبي

وراجع التازيخ الكبير للبخاري (٢٦٧ / ١ / ٤) ، والجرح والتعديل (٧٨ / ١ / ٤) ..

وقال المزني في تهذيبه عن هذا الحديث : « وقيل : عن أبي نصيرة - لعله قد سقطت كلمة (عن) - مولى أبي بكر عن أبي بكر ، وقيل : عن أبي رجاء مولى أبي بكر عن أبي بكر ، والأول أصح » يشير إلى جهالة مولى أبي بكر ..

وعثمان بن واقد العمري الراوي عن أبي نصيرة قال عنه الحافظ في تقييده : « صدوق ربما وهم »

فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر ، ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعي كبير ، ويكفيه نسبه إلى أبي بكر ، فهو حديث حسن « قلت : حسنه يرجع لوجود شاهد له لا لذاته ! .. هذا ، وقد ضعف إسناده الألباني في تحقيقه للمشكاة ( ح ٢٣٤٠ ) ، وسكت عنه الحافظ في فتح الباري (١١ / ١٠١ / ١٠٢) وقال : « وذكر السبعين للمبالغة » ، وقال البخاري في المقاصد : « ... وله شاهد عند الطبراني في الدعاء من حيث ابن عباس » وقد رواه

الطبراني في الدعاء ( ح ١٧٩٧ ) ، وفي إسناده : أبو شيبه وهو سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي ، وهو مقبول أي عند المتابعة ، وبقيه رجاله ثقات .. ولذا انميل إلى تحسين هذا الحديث بشاهده ، والله أعلم ! ..

هذا ، والحديث حسنه الأربناؤط في تحقيقه لمسند أبي بكر الصديق لأبي بكر أحمد بن علي الأموي بعد أن نقل تضعيف إسناده الحديث عن علي بن المديني والترمذي ، فقال :

الشيخ

مجدي قاسم

• ثانياً : حديث : « الصدقة تطفيء الخطيئة كما تطفيء الماء النار ، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .  
• النصف الأول « الصدقة تطفيء ... » له شواهد يتقوى بها ، والنصف الثاني « والحسد يأكل .. » ضعيف .

المشيخة وابن أخي ميمي في الفوائد المتقاة وابن عساكر في التاريخ كلهم من طريق عيسى بن أبي عيسى الحنظلي ، قال عنه ابن عدي : « وأحاديثه لا يتابع عليها متناً ولا إسناداً » ، وقال الحافظ في التقریب : « متروك » .. والحديث ضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجه ( ح ١٥٠١ ) ، والعراقي في تحزيجه للإحياء ( ١ / ٤٥ ) .. فالحديث

( ١ / ١٤٧ ) ، وقد روى الحديث أيضاً في نسخة أبي مسهر ( ح ٤٦ ) ط .. دار الصحابة ، وأبو الشيخ في التويخ ( ح ٦٢ ) ، والقضاعي في مسند الشهاب ( ح ١٠٤٩ ) كما ذكره الديلمي في مسند الفردوس ( ح ٢٦٣٤ ) . مقتصراً على الحسد ، والحديث عزاه الألباني في الضعيفة ( ح ١٩٠١ ) . إلى الخلف في الفوائد المتقاة وأبي طاهر الأنباري في

قد ورد هذا الحديث بتقديم فقرة الحسد .. « على فقرة « الصدقة ... » رواه ابن ماجه ( ح ٤٢١٠ ) . وأبو يعلى في مسنده ( ح ٣٦٥٦ ) ، وابن عدي في كامله ( ٥ / ٢٤٧ ) ، والخطيب البغدادي في موضع أوهام الجمع والتفريق ( ١ / ١٤٦ ) . كما رواه بلفظ « الغل والحسد يأكلان الحسنات ... » ( ١ / ١٤٥ ) : ( ١٤٦ ) ، كما رواه مقتصراً على الحسد

ضعيف جداً من أجل عيسى هذا ولكن له شواهد على فقرته : فأما الحسد ، فقد ورد بلفظ « إن الحسد يطفىء نور الحسنات » رواه أبو داود ( ح ٤٩٠٤ ) ، وأبو يعلى ( ح ٣٦٩٤ ) ، وفيه سعيد بن عبد الرحمن قال عنه الحافظ : « مقبول » أي عند المتابعة ، وقد ضعف الألباني الحديث في ضعيف أبي داود ( ح ١٠٤٩ ) .

كما ورد بلفظ : « إن الحسد يأكل الحسنات ... » رواه ابن أبي شيبة كما في زوائد البوصيري ، ومن طريقه رواه ابن عبد البر في التهيد ( ١٢٣ / ٦ : ١٢٤ ) وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف ، وقد رواه أيضاً أبو الشيخ في التوسيع ( ح ٦١ ) .

كما ورد بلفظ : « إياكم والحسد ! فإن الحسد يأكل .. » رواه أبو داود ( ح ٤٩٠٣ ) ، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند ( ح ١٤٣٠ ) ، والبخاري في التاريخ الكبير ( ٢٧٢ / ١ : ٢٧٣ ) ، والبيهقي في الآداب ( ح ١٥٠ ) ، وابن عبد البر في التهيد ( ١٢٤ / ٦ ) ، كما رواه ابن مردويه كما في الدر المنثور ( ٤١٩ / ٦ ) ، وقد عزاه الألباني في الضعيفة ( ح ١٩٠٢ ) إلى ابن بشران في الأمالي وأبي بكر الكلاباذي في مفتاح المعاني والحديث قال عنه البخاري : « لا يصح » ، وضعفه الألباني في الضعيفة وقال : « رجاله موثقون غير جد إبراهيم

وهو مجهول لأنه لم يُسمَّ » وهو جد إبراهيم بن أبي أسيد قال عنه الحافظ : « لا يُعرف » وقد سكت الحافظ المنذري عن الحديث في الترغيب ( ٤ / ١٢ ) .

كما ورد بلفظ : « إن الحسد يأكل ... » رواه القضاعي ( ح ١٠٤٨ ) وقد بين الألباني - جزاء الله خيراً - ضعفه في الضعيفة ( ١٩٠١ ) .

كما ورد بلفظ : « الحسد يأكل .. » رواه الخطيب في تاريخ بغداد ( ٢ / ٢٢٧ ) كما رواه ابن شاذان الأزجي في الفوائد المنتقاة كما في الضعيفة للألباني وقد بين هناك ضعفه بالرغم من تحسين الحافظ العراقي له في ترجمته للإحياء ( ٤٥ / ١ ) .

كما ورد بلفظ : « الصلاة نور ... والحسد يأكل الحسنات » رواه البيهقي كما في الدر المنثور ( ٤١٩ / ٦ ) .

وأما فقرة الصدقة فلها عدة شواهد :

منها حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال ذلك لكعب بن عُجرة في قطعة من حديث : رواه أبو يعلى ( ح ١٩٩٩ ) والقضاعي في مسند الشهاب ( ح ١٠٥ ) كما رواه عبد الرزاق في مصنفه ( ح ٢٠٧١٩ ) وعنه أحمد ( ٣ / ٣٢١ ) ، وابن حبان ( ح ١٧٢٣ ، ٤٥١٤ ) ، والحاكم

( ٤ / ٤٢٢ ) وصحح إسناده ووافقه الذهبي ، كما صحح إسناده أحمد شاعر في تحقيقه للترمذي ( ٢ / ٥١٤ : ٥١٥ ) وقد صححه المنذري في الترغيب ( ٢ / ٢٢ ) كما صححه الهيثمي في الجمع ( ١٠ / ٢٣٠ ) بعد أن عزاه إلى أبي يعلى وحده تبعاً للمنذري ، وقد رواه أحمد ( ٣ / ٣٩٩ ) ، والبزار ( ح ١٦٠٩ ) ، وقال الهيثمي في الجمع ( ٥ / ٢٤٧ ) : « رواه أحمد والبزار ... ورجاهما رجال الصحيح » كما رواه الحاكم مختصراً ( ٣ / ٤٧٩ : ٤٨٠ ) كما رواه الدارمي مختصراً أيضاً في الرقائق ، باب في أكل السحت ( ح ٢٧٧٦ ) .

وقد جاء الحديث عن كعب بن عُجرة نفسه : وله عنه عدة طرق : فعن أبي بكر بن بشير : رواه ابن حبان ( ح ٥٥٦٧ ) ، والطبراني في الكبير ( ١٩ / ١٦٢ ح ٣٦١ ) وعن عاصم العدوي : رواه الطبراني في الكبير ( ح ١٩ ح ٢٩٨ ) وقد سقط من السند كعب ، ولكنه جاء على الصواب في معجمه الصغير ( ح ٦١٦ ) وعن طارق بن شهاب : رواه الترمذي ( ح ٦١٤ ) والطبراني ( ح ٢١٢ ) وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى ، وأيوب بن عائد الطائي يُضعف ، ويُقال : كان يرى

رأي الإرجاء ، وسألت محمداً ( أي البخاري ) عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى واستغربه جداً ، هذا ، وقد عزاه الهيثمي في المجمع ( ١٠ / ٢٣٠ : ٢٣١ ) إلى الطبراني في الأوسط ، وقال : « رجاله ثقات » ، والحديث صححه أحمد شاكر في تحقيقه للترمذي . وقد ورد الحديث بدون الشاهد مختصراً في مواضع كثيرة منها في كبير الطبراني في الجزء ١٩ ( ح ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ) . وانظر الصغير ( ح ٤٢٢ ) . وأحمد ( ٤ / ٢٤٣ ) .

وقد جاء الحديث عن معاذ بن جبل : رواه أحمد ( ٥ / ٢٣١ ) . وعبد الرزاق ( ح ٢٠٣٠٣ ) . والترمذي ( ح ٢٦١٦ ) . وابن ماجه ( ح ٣٩٧٣ ) ، والنسائي في سننه الكبرى كما في تحفة الأشراف ( ح ١١٣١١ ) وهو في تفسيره ( ح ٤١٤ ) ، ورواه القضاعي في مسند الشهاب ( ح ١٠٤ ) وغيرهم ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » وقد رده الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ، وقد أطال الشيخ الألباني - جزاه الله خيراً - النفس في تخريجه في إرواء الغليل ( ح ٤١٣ ) وأيضاً

أخونا في الله سيد الجليمي وصبري الشافعي في تخريجهما لتفسير النسائي . وانظر أيضاً الدر المنثور للسيوطي ( ٥ / ١٧٥ ) .

هذا . وقد جاء الحديث أيضاً عن أنس : رواه البيهقي كما في الدر المنثور ( ٦ / ٤١٩ ) .

وقد قال الألباني في السلسلة الصحيحة ( ٤ / ٣٧٥ ) : « وبجملته الصدقة لها شواهد تقوى بها » . والله أعلم !

بسم الله الرحمن الرحيم

محافظة المنوفية

مديرية الشؤون الاجتماعية

إدارة الجمعيات والاتحادات

### شهادة شهر

تشهد مديرية الشؤون الاجتماعية بالمنوفية بأن جمعية جماعة أنصار السنة المحمدية طوخ دلكة الكائن مقرها طوخ : لكة مركز تلا ونطاق عملها الجغرافي طوخ دلكة . قد تم شهرها بدائرة مديرية الشؤون الاجتماعية بالمنوفية تحت رقم ٨٣٢ اعتباراً من ١٠ / ٨ / ١٩٩٤ بمحافظة المنوفية طبقاً لأحكام القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ . بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# أسئلة القراء

## عن الأحاديث مجدى قاسم رئيس لجنة الدعوة فرع بلقاس

نوه في البداية إلى حدوث خطأ في عدد شهر ذي القعدة في الإجابة عن الحديث الأول حيث كان يجب أن توضع الفقرة الأولى من العامود الثاني في آخر الإجابة عن الحديث .

سؤال من القارئ: هاني جهلان القط علي - كلية الآداب - قنا : عن حديث فيما معناه « من سمع الأذان ولم يصل في المسجد ، لا صلاة له » .

حديث صحيح .

( ٢ / ٣٣٧ ) .  
هذا ، وقدرناه ابن أبي شيبة  
في مصنفه موقوفاً ( ١ / ٣٨٠ )  
ط . دار الفكر .  
والحديث صححه الحاكم ،  
والذهبي ، وعبد الحق الأشيلي ،  
وابن حزم ، والنوي ، وابن  
حجر ، والألباني .

وانظر : « نصب الراية »  
للزيلعي ( ٢ / ٢٣ ) ،  
« والدراية » ( ١ / ١٦٧ ) ،  
« وتلخيص الحبير » ( ٢ /  
٣٠ : ٣١ ) كلاهما لابن

السنة ( ح ٧٩٤ ، ٧٩٥ ) ،  
والخطيب البغدادي في تاريخه  
( ٦ / ٢٨٥ ) ، وابن عدي  
( ٧ / ٢١٤ ) ، ورواه أيضاً  
قاسم بن أصبغ كما في المحلى  
( ٤ / ١٩٠ ) ، وهامش  
التركماني على البيهقي  
( ٣ / ٥٧ ) ، والترغيب  
للمنذري ( ١ / ١٥٦ ) ،  
وأيضاً رواه أبو موسى المديني  
في « اللطائف من علوم  
المعارف » ، والحسن بن  
سفيان في « الأربعين » كما في  
« إرواء الغليل » للألباني

قد ورد الحديث عن ابن  
عباس رضي الله عنهما مرفوعاً  
ولفظه : « من سمع النداء فلم  
يأت ، فلا صلاة له إلا من  
عذر » وذلك من عدة طرق :  
رواه أبو داود ( ح ٥٥١ ) ،  
وابن ماجه ( ح ٧٩٣ ) واللفظ  
له ، والدارقطني ( ١ /  
٤٢٠ ، ٤٢١ ) ، والطبراني  
( ح ١٢٢٦٥ ، ١٢٢٦٦ ) ،  
وابن جبان ( ٢٠٦٤ ) ،  
والحاكم ( ١ / ٢٤٥ ) ،  
والبيهقي ( ٣ / ٥٧ ، ١٧٤ ) ،  
والبغوي في شرح ( ١٨٥ ) ،

حجر ، « وإرواء الغليل ( ح ٥٥١ ) ، « والضعيفة » ( ح ١٨٣ ) كلاهما للأباني وأيضاً هامش « مشكاة المصابيح » ( ح ١٠٦٨ ، ١٠٧٧ ) ، « والجواهر النقي » على سنن البيهقي كما سبق ذكره ، « والحاوي من فتاوى الشيخ الألباني » ( ١ / ٢٩٣ ) .

وقد ورد الحديث موقوفاً عن ابن عباس بلفظ : « من سمع حيّ على الفلاح فلم يُجب فقد ترك سنة محمد رسول الله ﷺ » قال المنذري ( ١ / ١٥٨ ) : « رواه الطبراني في المعجم الأوسط بإسناد حسن » ، وقال الهيثمي في المجموع ( ٢ / ٤٣ : ٤٤ ) : « ... ورجاله رجال الصحيح » .

وللحديث شاهد من حديث أبي موسى الأشعري . رواه الحاكم ( ١ / ٢٤٦ ) وصححه الذهبي ، والبيهقي ( ٣ / ١٧٤ ) ،

وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » ( ٢ / ٣٤٢ ) والدينوري في « المنتقى من مجالسه » كما في الإرواء ( ٢ / ٣٣٨ ) ، والبخاري كما في تلخيص الحبير ( ٢ / ٣٠ ) ولم يعزه الهيثمي إليه في المجموع ( ٢ / ٤٢ ) وإنما عزاه الطبراني في المعجم الكبير ، وقال : « وفيه قيس ابن الربيع ، وثقه شعبة وسفيان الثوري ، وضعفه جماعة » .

وقال المنذري في الترغيب ( ١ / ١٥٨ ) : « الصحيح وقفه » ، وكذا رجّح البيهقي ( ٣ / ٥٧ ، ١٧٤ ) وانظر : « التلخيص » ( ٢ / ٣٠ ) ، وقد رواه ابن أبي شيبة موقوفاً ( ١ / ٣٧٩ ) . وله شاهد عن جابر : رواه البخاري في تاريخه الكبير ( ١ / ١١١ ح ٣١٧ ) ، والدارقطني ( ١ / ٤٢٠ ) ، وقال الحافظ في التلخيص : « رواه العُقيلي في الضعفاء من حديث جابر وضعفه » ، وقال البخاري : « في إسناده نظر » .

وله شاهد ضعيف أيضاً عن أبي هريرة : رواه ابن عدي ( ٣ / ٢٧٨ ) ، وانظر « تلخيص الحبير » ، وانظر مصنف ابن أبي شيبة ( ١ / ٣٨٠ ) فقد ورد عنه موقوفاً . هذا ، وقد ورد نحوه موقوفاً من حديث عائشة وابن مسعود وعليّ : انظر مصنف ابن أبي شيبة ( ١ / ٣٨٠ ) .

ويدخل في الباب حديث أبي هريرة الضعيف : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » انظر : الموضوعات لابن الجوزي ( ٢ / ١٩٣ ) ، والآلئء المصنوعة ( ٢ / ١٦ ) ، وموضوعات الصغاني ( ح ٥٠ ) .

كما يدخل أيضاً في الباب حديث ابن أم مكتوم الذي رواه مسلم والنسائي وغيرهما كما في فتح الباري ( ٢ / ١٥١ ) وإرواء الغليل ( ح ٤٨٧ ) ، وانظر في الفتح « باب وجوب صلاة الجماعة » والله أعلم ! .

القارىء : عبد المصنف السيد حجاج من قرافص - مركز دمنهور - بحيرة يسأل عن حديث ذكر أنه في مسند الإمام أحمد ومدى صحته . نصه كالآتي : « ما زلت منصورين ما لم تقم فيكم آذان : حب الدنيا وكراهية الموت » .



وهذا الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولكن ورد بلفظ : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

وهو حديث صحيح بطرقه .

عنه : رواه أحمد ( ٢ / ٣٥٩ )  
وعزاه في كنز العمال ( ح ٦٣١٩ )  
إلى البيهقي أيضاً ، وإسناده  
ضعيف فلقد رواه أحمد عن أبي  
جعفر المدائني وهو محمد بن  
جعفر البزاز وهو صدوق فيه  
لين كما قال الحافظ ، وشيخه  
عبد الصمد بن حبيب الأزدي  
ضعفه أحمد ، وقال ابن معين :  
ليس به بأس ، وقال البخاري :  
لين الحديث ضعفه أحمد ، وقال  
أبو حاتم مثله وزاد : يكتب  
حديثه ليس بالمتروك ،  
والحديث يرويه عن أبيه :  
حبيب بن عبد الله وهو  
مجهول .

وانظر الفتح الرباني ( ١٤ /  
٢٦ ) ، ( ١٩ / ٣١٣ ) .

**مجدي قاسم**

وأبو نعيم في الحلية ( ٩ /  
١٨٢ ) عن المبارك بن فضالة ،  
ثنا مرزوق أبو عبد الله  
الحمصي ، أنا أبو أسماء  
الرحبي . قلت ( أي  
الأبائي ) : وهذا سند جيد ،  
رجالهم ثقات ، والمبارك إنما  
يخشى منه التديس ، أما وقد  
صرح بالتحديث ، فلا ضير  
منه ، فالحديث بمجموع  
الطريقين صحيح عندي ، والله  
أعلم . اهـ وقد صححه في  
صحيح الجامع رقم  
( ٨١٨٣ ) ، وقال محقق  
المشكاة ( ٥٣٦٩ ) : « وهو  
حديث صحيح » .

وللحديث شاهد عن أبي  
هريرة رضي الله عنه من قول  
النبي ﷺ لثوبان رضي الله

رواه أبو داود ( ٤٢٩٧ ) ،  
والبيهقي في « دلائل النبوة »  
( ٦ / ٥٣٤ ) ، والروايي في  
مسنده ، وابن عساكر في  
« تاريخ دمشق » كما في السلسلة  
الصحيحة ( ح ٩٥٨ ) من  
طرق عن عبد الرحمن بن يزيد  
ابن جابر عن أبي عبد السلام  
عن ثوبان رضي الله عنه  
مرفوعاً .. وهذا إسناده ضعيف  
لأن أبا عبد السلام هذا  
مجهول ، ولكن قال الأبائي  
- حفظه الله - في الصحيحة :  
« لكنه لم يتفرد به ، فقد تابعه  
أبو أسماء الرحبي عن ثوبان به :  
أخرجه أحمد ( ٥ / ٢٧٨ ) ،  
وابن أبي الدنيا في العقوبات  
( ١ / ٦٢ ) ، ومحمد بن محمد  
ابن مخلد البزار في حديث ابن  
السماك ( ١٨٢ - ١٨٣ )

ليعلم كل مؤمن أن الباطل قد ينتصر في جولة من الجولات ، وذلك إما لتقصير أو خطأ من جانب أهل الإيمان - كما حدث في غزوة أحد - وإما ابتلاء وامتحاناً من الله للعصبة المؤمنة ، ولكن بالرغم من انتصار أهل الباطل في جولة إلا أن على أهل الإيمان أن يكونوا على يقين من عدة أمور :

للقضاء على الإسلام وأهله .. ولكن هيهات !

فعل المؤمن أن يكون على يقين من أن ما يذلوله سيكون عليهم - بعد ذلك - حسرة ثم يعلبون ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٦] .

#### الأمر الرابع

أن نصر الله آتٍ لا ريب فيه ، فالله تبارك وتعالى بين في كتابه أن المستقبل لهذا الدين ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الفتح : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [سورة المجادلة : ٢١] ، وقال

| سورة التوبة : ٥٢ |

#### الأمر الثاني

أن كل شيء بقدر ، وأنه لن يحدث في الكون إلا ما قدره الله وأذن به ، فنحن نسير إلى قدر الله ، ولن يصيبنا إلا ما قدره الله علينا ، قال تعالى : ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٦] . وقال تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

[ سورة التوبة : ٥١ ] .

فالمؤمن - حينئذ - لن يخاف ولن يرجو إلا الله ، ولن يتوكل إلا عليه .

#### الأمر الثالث

أن أهل الضلال كلهم أولياء بعض ، ولا ولاية بينهم وبين أهل الإيمان ، وأنهم يذلولون غاية الوسع

#### الأمر الأول

أنه شتان بين من يسقط من أهل الإيمان ومن يسقط من أهل الكفر نتيجة الصراع بينهما قتلى ، فقتلى أهل الإيمان شهداء إلى جنة الخلد التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك هو الفوز العظيم ، وأما قتلى أهل الكفر فإنهم هلكت إلى جهنم وبئس المصير ! ولن نصل إلى هذه النتيجة إلا من خلال هذا الصراع المحتوم بين الحق والباطل .

فأهل الإيمان إما يصيرون إلى نصر الله في الدنيا وإما إلى جنة الخلد شهداء ، وأما أهل الكفر فيصيرون إلى عذاب الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَىٰ الْحُسَيْنَيْنِ ، وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ، فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة الصافات : ١٧١ : ١٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [سورة غافر : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الروم : ٤٧] ، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أن العاقبة للإسلام وأهله ، والأحاديث في ذلك أيضاً كثيرة منها قوله ﷺ : « إِنْ اللَّهُ زَوَى لِي الْأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنْ أُمَّتِي سَبَّحَتْ كُلُّهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا » [رواه مسلم ح ٢٨٨٩ ، وأبو داود ح ٤٢٥٢ ، والترمذي ح ٢٢٠٣ ، وابن ماجه ح ٣٩٥٢] ، وقال ﷺ أيضاً : « لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارَ ، وَلَا يَتْرِكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، بَعْرًا عَزِيزًا أَوْ بَذَلَ ذَلِيلًا ، عَزْرًا يَعْزُرُ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذَلًّا يَذَلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ » [رواه أحمد ٤ / ٣ ، وصححه الألباني في صحيحه] ، فلنكن من هذا على يقين .

### الأمر الخامس

أن نصر الله لا يتزل إلا على من يستحقه من أهل الإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [سورة النور : ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ [سورة الحج : ٤٠] ، فلا بد من توافر أسباب النصر في الأمة من قوة إيمان و يقين وعمل بطاعة الله عز وجل حتى تكون أهلاً لنصره .

### الأمر السادس

أن نرجع باللائمة على أنفسنا ونفتش في عيوبنا ونحاول أن نصلحها إذا تأخر عنا النصر ، قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة آل عمران : ١٦٥]

فلا بد من التوبة من ذنوبنا وتقصيرنا في طاعة الله وعدم الاستهانة بأوامر الله وأوامر رسوله حتى يمن علينا ربنا بالنصر ، قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد : ١١]

فلعلنا أن نتعد عن المعاصي التي حالت بيننا وبين النصر ، ولنعلم أن المعركة الأولى التي إذا انتصرنا فيها

انتصرنا - بإذن الله - في المعركة التي بيننا وبين عدونا - إنما هي معركةنا مع أنفسنا ، فيجب أن نتنصر فيها أولاً حتى نأمل في الانتصار على كل من سوانا .

### الأمر السابع

أن النصر بيد الله ينزله على من يشاء من عباده وقتما شاء ، قال تعالى : ﴿ وَمَا التَّصَرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٦] ، والأنفال : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣]

فالمنصور من نصره الله ، والمخذول من خذله الله ، ولا راد لقضائه ومشيبته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة آل عمران : ١٦٠]

ولذا فعلى أهل الإيمان أن ينيبوا إلى ربهم خاشعين من الدل ضارعين إليه أن يُنزل عليهم نصره . مع العلم بأن الله قادر على نصره دينه وإهلاك الضلال والكفر من غير أسباب بشرية ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [سورة محمد : ٤]

كما أنه قادر على هداية الناس

جميعاً ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ [سورة يونس : ٩٩] ، ولكنه سبحانه جعل لكل شيء سبباً .

## الأمر الثامن

أن النصر يحتاج إلى تخطيط وأسباب مادية بجانب قوة الإيمان واليقين ، فلذا وإن كان الابتلاء أمراً قدرياً إلا أن على أهل الإيمان - بالرغم من ضعفهم وقتهم - وغربتهم - أن يخططوا للنصر والتمكين والتخلص من أحكام الكفر وشرائعه والوصول إلى عز الإسلام والمسلمين ، وهذا لا يكون إلا باتباع تعاليم هذا الدين وتعظيم أوامر الرب جلّ وعلا والتمسك بهدي رسول الله ﷺ ودعوة الناس وتربيتهم وتركيتهم وإصلاح قلوبهم على العقيدة الإسلامية الصافية النقية عقيدة التوحيد الخالص وعلى جميع العبادات والمعاملات الصحيحة ،

والأخذ بأسباب النصر الممكنة ، ولا يعني عدم الاستطاعة على الأخذ بوسيلة من تلك الوسائل أن نترك كل الوسائل ونستسلم للذل والعار ، ولكن علينا أن نعد ما يمكن الوصول إليه من وسائل النصر وأسبابه .

## الأمر التاسع

أن الصبر واليقين هو طريق النصر ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة : ٢٤] ، ومدح الله تبارك وتعالى أهل الإيمان فقال في وصفهم : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] ، وكان هذا هو طريق الأنبياء السابقين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [سورة الأنعام : ٣٤] ، وكان هذا هو ما

أمر الله به رسوله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ ، إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرَّسُولِ ﴾ [سورة الأحقاف : ٣٥] ، وقال رسول الله ﷺ : « واعلم أن النصر مع الصبر » انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ح ١٩ .

## الأمر العاشر

أن الدعاء من أمضى الأسلحة وأقواها ، فعلى أهل الإيمان أن يلجأوا إلى الله دائماً ضارعين إليه بقلوب خاشعة موقنة في ربه مع التنية لشروط الدعاء واعتناء أوقات الإجابة .  
فَسَأَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْهُ وَفَضَلَهُ - أَنْ يُمِّنَ عَلَيْنَا بِنَصْرِهِ وَتَمَكِينِهِ وَأَنْ يُحْكِمَ فِينَا شَرْعَهُ وَكِتَابَهُ ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ !

البخاري : عن أنس - رضي الله عنه - أن هذه الآية : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ الآيات ... [الأحزاب : ٣٧] نزلت في شأن أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ - رضي الله عنهما .  
مسلم وأحمد : عن أنس - رضي الله عنه - قال : لما انقضت عِدَّةُ زَيْنَبِ - رضي الله عنها - قال رسول الله ﷺ لزَيْدِ - رضي الله عنه - : « اذْهَبْ فَادْكُرْهَا عَلَيَّ » ، فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها . فلما رأيتها عظمت في صدري ، لأن الرسول ذكرها . فوليتها ظهري . فقلت : يا زَيْنَبُ أَبْشِرِي . أُرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكَ . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أُوامرَ رَبِّي - صلاة الاستخارة - فقامت إلى مسجدِها ونزل القرآن . وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن بزواج الله ﷻ ﴿ زَوْجَنَا كَهَا ﴾ لحكم هادية .

# أسئلة القراء

إعداد الشيخ :

مجدي قاسم

رئيس لجنة الدعوة فرع بلقاس

عن الأحاديث

\* **القارى** : سعيد السيد داود - هورين - بركة السبع - منوفية : يسأل عن حديث « يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » ويسأل هل لله يد يسرى ؟ .

داود ( ح ٤٧٣٢ ) عن عمر بن حمزة وردت بلفظ « بيده الأخرى » وقد علقه البخارى ( ح ٤٧١٣ ) ، وقد جاء الحديث عن أبى هريرة عند البخارى ومسلم بغير ذكر « الشمال » وكذا فى كل الروايات الأخرى ، وانظر فتح البارى ( ١٣ / ٤٠٨ ) .

**تفرد** بهذه اللفظة عمر بن حمزة وهو ضعيف فى رواية مسلم ( ح ٢٧٨٨ رقم خاص ٢٤ ) ، والعقيلي فى الضعفاء ( ٣ / ١٥٤ ) من حديث ابن عمر ، وقد ورد عنه الحديث من رواية نافع وعبيد الله بن مقسم بدونها كما فى البخارى ( ح ٧٤١٢ ) ، ومسلم ( ح ٢٧٨٨ خاص ٢٥ ) ، ( ٢٦ ) ، وابن ماجه ( ١٩٨ ) . وفى رواية أبى

**ونفس القارىء** يسأل عن حديث : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال رجل مسلم ، ورجل منع فضل مائه فيقول الله عز وجل : اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » .

**الحديث متفق على صحته :**

رواه البخارى ( ح ٢٣٥٨ ، ٢٣٦٩ ، ٢٦٧٢ ، ٧٢١٢ ، ٧٤٤٦ ) ، ومسلم ( ح ١٠٨ خاص ١٧٣ ) ، وغيرهما .

**والقارىء** : رضا عبد الرؤف أبو الوفا من الدقهلية - رأس الخليج - أم الرزق - أبو الشحات : يسأل عن هذا الحديث : « عن عبد الحميد بن محمود قال : صلينا خلف أمير من الأمراء ، فاضطرنا الناس فصلينا بين الساريتين ، فلما صلينا قال أنس ابن مالك : كنا نتقى هذا على عهد رسول الله ﷺ » . ويسأل عن الأحكام التي تؤخذ من هذا الحديث .

### حديث صحيح

وإما لأنه موضع جمع النعال ، والأول أشبه لأن الثاني محدث ( أى لم يكن على عهد النبي ﷺ ) ، ولا خلاف في جوازه عند الضيق ، وأما مع السعة فهو مكروه للجماعة ، فأما الواحد فلا بأس به وقد صلى النبي ﷺ بين سواريهما « انظر البخارى مع الفتح ( ١ | ٦٨٨ : ٦٨٩ ) .  
والحديث : رواه أيضاً الحاکم وصححه ووافقه الذهبي ( ١ | ٢١٠ ، ٢١٨ ) وله شاهد ضعيف عند ابن ماجه ( ح ١٠٠٦ ) .

**رواه** النسائي ( ٢ | ٩٤ ) ، وأبو داود ( ح ٦٧٣ ) ، والترمذى ( ح ٢٢٩ ) وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » وقال أيضاً : « وقد كره أهل العلم أن يُصِفَ بين السوارى ، وبه يقول أحمد وإسحاق ، وقد رخص قوم من أهل العلم في ذلك » . وقال ابن العربى في عارضة الأحوذى ( ٢ | ٢٧ : ٢٨ ) في أسباب الانتقاء : « إما لانتقطاع الصف وهو المراد من التيوب ،

**ونفس القارىء** يسأل عن حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » .

### حديث صحيح

وأبو داود ( ١٢٦٦ ) ، وابن ماجه ( ح ١١٥١ ) ، وأحمد ( ٢ | ٤٥٥ ) .

رواه مسلم ( ح ٧١٠ ) ، والترمذى ( ح ٤٢١ ) ، والنسائي ( ٢ | ١١٦ : ١١٧ ) ،

**ونفس القارىء** يسأل عن حديث على بن شيبان أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلى خلف الصف ، فوقف حتى انصرف الرجل ، فقال له : « استقبل صلاتك ، فلا صلاة لمنفرد خلف الصف » .

### حديث صحيح

( ٤ | ٢٣ ) وإسناده صحيح .  
وله شاهد موقوف على وابصة بن معبد : رواه

**رواه** ابن ماجه ( ح ١٠٠٣ ) ، وأحمد

الترمذى (ح ٣٢٠)، وأبو داود (ح ٥٤١)، وانظر أيضاً الصحيحة للألبانى (ح ٦٨٢)، وابن ماجه (ح ١٠٠٤)، وأحمد (٤ | ٢٢٨).. وراجع (رواء الغليل ح

الترمذى (ح ٣٢٠)، وأبو داود (ح ٥٤١)، وانظر أيضاً الصحيحة للألبانى (ح ٦٨٢)، وابن ماجه (ح ١٠٠٤)، وأحمد (٤ | ٢٢٨).. وراجع (رواء الغليل ح

**والقارىء:** سمير البسيونى - شرقية: يسأل عن حديث عبد الله بن مغفل قال: كانت امرأة بغياً فى الجاهلية فجاء إليها رجل فلاعها حتى بسط يده إليها، فقالت له: مه! إن الله قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام، فتركها وولى وأخذ ينظر خلفه وينظر إليها فصدم وجهه بجائط فسال الدم من وجهه وذهب إلى المصطفى ﷺ وقص عليه ما حدث. فقال عليه الصلاة والسلام: «أنت عبد أراد الله بك خيراً»، ثم قال: «إذا الله بعبدٍ يراً عجل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد الله بعبدٍ شراً أحر له عقوبة ذنبه إلى يوم القيامة».

وله شاهد عن عمار بن ياسر: رواه أحمد (٤ | ٨٧)، والطبرانى كما فى الجمع (١٠ | ١٩١)، وقال الهيثمى فى الجمع: إسناده جيد. وله شاهد عن أنس: رواه الترمذى (ح ٢٣٩٦) وقال: «حسن غريب من هذا الوجه». كما رواه البيهقى فى الأسماء والصفات (ص ١٥٤). وله شاهد آخر عن ابن عباس: رواه الطبرانى وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله وهو ضعيف كما فى الجمع (١٠ | ١٩١: ١٩٢).

### حديث صحيح بطرقه

**رواه** ابن حبان (ح ٢٩١١)، وأحمد (٤ | ٨٧)، والحاكم (١ | ٣٤٩)، (٤ | ٣٧٦: ٣٧٣) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وعزه الهيثمى فى الجمع (١ | ١٩١) إلى أحمد والطبرانى وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسناده الطبرانى وقال محقق ابن حبان: «إسناده صحيح لولا عننة الحسن، فإن رجاله ثقات من رجال الشيخين غير حماد بن سلمة من رجال مسلم».

### نسبه ﷺ

مسلم: عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل. واصطفى من بني إسماعيل كنانة. واصطفى من بني كنانة قريشاً. واصطفى من قريش بني هاشم. واصطفاى من بني هاشم».. الاصطفاء هنا باعتبار الخصال الحميدة. لا باعتبار الديانة، واشتقاق قريش من القرش وهو التجمع.

# هلا من عودة إلى الطريق ؟

الشيخ : مجدي قاسم : فرع بلقاس

**انظر** حولي فأرى أشتاتنا طال عليها الزمن في تيه الشتات بعد أن ضاع منها الهدف والطريق . بل تاهت منها الأقدام . فما عادت ترجو النجاة ! فأضحت - ويا للعجب - في نشوة بلهاء هي بين فكّتي حنزير ذميم .. يثائب في حمول . ينظر إلى شخوص تتراقص فوق رمال ملتبية . تضرم من تحتها النيران .. ينفخ فيها .. يوجهها .. يستحث البلبه على مواصلة الرقص لإسعاده !

**غرقى** في بحار الأوهام من غير زيان ولا مركب . يشبتون بأطواق نجاة ممزقة تغوص بهم إلى الأعماق \* ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور \* .

لقد بان الطريق لكل ذي عينين منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة . كما قال الجنيّد : « كل الطرق إلى الجنة مسدودة إلا طريق محمد ﷺ » . فهل يعود إلى الطريق بعد كل هذا التيه والضياع - رافضين كل سبيل سواه ؟ قال ﷺ : « بعد أن خطّ خطأ بيده » هذا سبيل الله مستقيماً \* ثم خط عن يمينه وشماله . ثم قال : « هذه السبل . ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ \* « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » (١) .

**إنه** سبيل الله - دون لئس ولا غموض - لا سبيل الشرق ولا سبيل الغرب . فهلا اتبعناه ودعونا إليه فهو وحده سبيل النجاة ؟ ولكن كما أمر الله نبيه بقوله : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

**يتلاوم** الشتات . فكلاهما يرى غباء الشتيت الذي لا يرى ما يراه ! يغلي الدم في عروقه .. يرغى ويزيد : ياله من غي ! كيف يشعر بنشوة وهو في عين الخطر ؟ إن مثله لا تنفع معه نصيحة ولا ثقل منه نصيحة !

**وهكذا** .. يفوز الذميم بالغنيمة . والضحايا على الأكثر يشحبون . يتددون . يتلامون . ولكن أبداً لا يتحركون . و... \* « إن الله لا يُغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

**ولا يعرفون** إلى أين هم سائرون . ولا أي طريق يسلكون ؟! تائهون . ضائعون . مشتتون . متلامون . متحاربون .. يرون غيرهم الفريسة . وكلهم يؤيد الصياد بل منهم ويا للعجب من يؤله الصياد !

**هالهم** كما قال حذيفة بن اليمان : « كيف أنتم إذا انفرجت عن دينكم . كما تنفرج المرأة عن قلبها لا تنفع من يأتيها ؟ » قالوا : لا ندري ! قال : « ولكي - والله - أدري ! أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر » (٢) .

(١) رواه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه . ورواه أحمد بلفظ قريب . وصححه أحمد شاكر .

(٢) رواه أحمد والنسائي في سننه الكبرى .



# الرابطة الأيمانية

يرتبط الناس بعضهم بعض بروابط وحالات ووشائج شتى منها النسب، والمصالح والظروف، والرياحات والأهواء المشتركة، ويدخل فيها الأفكار البشرية وجميع أنواع العصبية الجماعية التي عليها يجمع غالب البشر: يقاتلون ويسألون... ولكن كل هذه الروابط سرعان ما تنفصم وتنتفض، وتغلب - أحياناً - إلى القبيح بل إلى عنادوات وشاروات بين خلفاء الأمم وما تكون أشد مرارة من كل العداوات التي سبقها بين أعداء الأمم... وذلك بسبب أنها أهواء توجهها وتحركها الشياطين!

وَاحِدَةً وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴿ (سورة الأعراف / ١٨٩) ، وقال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (سورة الزمر / ٦) .

**فالكل** يرجع إلى آدم ، وآدم من تراب ، فالجميع يرجع في أصل خلقته إلى التراب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَشْتَرُونَ ﴾ (سورة الروم / ٢٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (سورة فاطر / ١١) ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا

## بقلم الشيخ مجدي قاسم

ح. ٣٢٧٠ وحسنه في صحيح الجامع (٧٨٦٧) وانظر حديث جابر في الدرر المنثور ٩٨/٦) ، ويقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (سورة النساء / ١) ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (سورة الأنعام / ٩٨) ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

## ونظرة

إلى تاريخ البشرية في نشأتها ثرينا غلام يجب أن يلتقي الناس؟ فإن الناس جميعاً بجميع ألوانهم وأجناسهم يرجعون إلى أصل واحد، لا فضل لبعضهم على بعض من هذه الناحية فهم جميعاً يرجعون لأب واحد هو آدم خلق الله منه وزوجه فكان منهما الذرية التي تكاثرت فكان منها كل البشر، فيقول رسول الله ﷺ : « إن أبائكم واحد، وإن دينكم واحد، أبوكم آدم، وآدم خلق من تراب » (رواه البزار ح ٢٠٤٤) ، ٣٥٨٣ عن أبي سعيد، وانظر حديث حذيفة ح ٢٠٤٣ ، ٣٥٨٤ ، وكما في صحيح الجامع ٤٥٦٨ ، وانظر حديث الترمذي

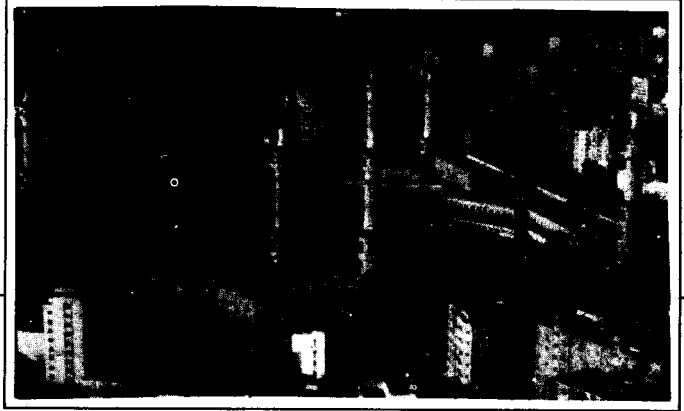
## اختلف الناس وما تفرقوا إلا لبعدهم عن الدين الحق

### جعل الله رابطة الإيمان أخوة في الدين

النَّاسَ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ (سورة البقرة / ٢١٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ (سورة يونس / ١٩) .

**ومضى** الناس في ركب الحياة وانتشروا من آدم وحواء حتى أصبحوا شعوباً وقبائل لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بتقوى الله تبارك وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات / ١٣ ، وانظر تفسير الدر المنثور / ٦ / ٩٧ : ٩٩) .

**فها** اختلف الناس وما تفرقوا إلا لبعدهم عن الدين الحق الذي كان عليه أبوهم آدم والذي جاءت به جميع الأنبياء والرسل ، فكانت دعوتهم جميعاً : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (سورة النحل / ٣٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء / ٢٥) ، فالبعد عن هذا المنهج يؤدي إلى تقطيع الأواصر



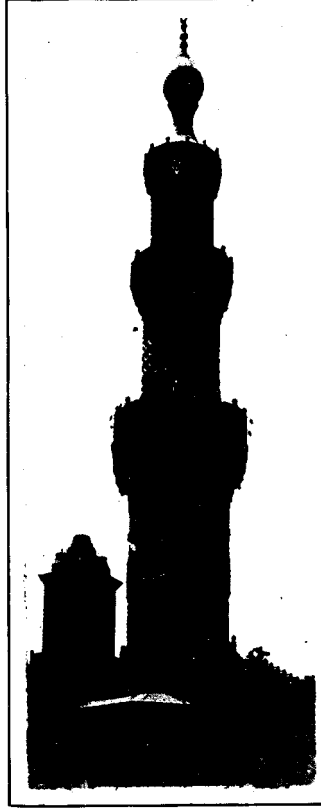
(سورة المؤمنون / ١٤: ١٢) .  
**فكانت** البشرية في طورها الأول مجتمع تحت رابطة واحدة : أصل واحد هو التراب ، وأب واحد هو آدم ، يجمعهم دين واحد هو دين أبيهم آدم دين الإسلام ، حتى دبت فيهم الأهواء وتغلبت عليهم ، فافترق الناس مذاهب شتى وأممًا مختلفة ، وتعددت الآلهة التي تُعبد ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليعود الناس إلى حظيرة الحق وإلى الدين الواحد الذي كان يجمعهم قبل اختلافهم وبغيهم ، كما قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ

أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوعًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنَ قَبْلِ وَلِتَلْعَلُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَرَبُّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة غافر / ٦٧) ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام / ٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْتَوٍ ﴾ (سورة الحجر / ٢٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفُوقًا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْمَلَقَةَ نُفُوقًا فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

والروابط حتى الأرحام ، كما قال تعالى : ﴿ فَبَلِّغْ عَنِّي مَّا أَنزَلْتُمْ وَإِن كُنتُمْ مِنْهُمْ أَعْمَىٰ فَاعْلَمُوا فِي الْبُحْرَىٰ وَاعْلَمُوا فِي الْبُرْجِ بِالنَّجْمِ الَّذِي هُوَ أَعْيَنٌ وَنُجُومًا مَّكَرَ فِيهَا الْمُحَدِّثُونَ ﴾ (سورة محمد / ٢٢) .

### فَالرَّابِطَةُ

الحلقة التي يجب أن يتفياً ظلها الناس ما هي إلا رابطة الإيمان ، فالإيمان هو وحده الذي يجمع الناس ويصهرهم في بوتقة واحدة : تصور واحد ، ونهج واحد ، وعبادة واحدة ، ودعوة واحدة ، إنه سبيل الله الذي تجتمع حوله القلوب والعقول والأرواح لتقوم عليه جماعة الإيمان كأمة واحدة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ (سورة الأنبياء : ٩٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ﴾ (سورة المؤمنون / ٥٢) ، وأي انحراف في التصور أو النهج أو العبادة ، وإطاعة الهوى والشهوات والوقوع في الشبهات يؤدي إلى الانحراف عن هذا السبيل الأوحد ، فقد خطأ النبي ﷺ بيده خطأ ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » ، ثم خطأ من يمينه وشماله ، ثم قال : « هذه السبيل ، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ ﴾ (رواه أحمد والنسائي في سننه الكبرى) .



### وَأَيُّ

انحراف عن سبيل الله فإنه - ولابد - يؤدي إلى اهتزاز الرابطة الإيمانية واضطرابها بل وانقطاعها حتى ينقسم الناس إلى معسكرين : أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، ولا ولاية بين الفريقين ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا وَإِن اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ

إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ لَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال / ٧٢ : ٧٥) ، ويقول تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة / ٧١) .

### فَبِمَعَسَكُمْ

أهل الإيمان وثمة الله تبارك وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ (سورة البقرة / ٢٥٧) وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران / ٦٨) وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (سورة المائدة / ٥٥) وأيضاً أولياؤهم الملائكة ، فالملائكة تقول للمؤمنين عند الموت : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي

الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿ (سورة فصلت / ٣١) .

**ومسك** أهل الشرك وليه الشيطان كما مر بنا في سورة البقرة، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوثُ ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوثِ فَقَاتِلُوا أُولِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (سورة النساء / ٧٦) ، وكما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (سورة مريم / ٤٥) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءَ لِلَّذِينَ لَئِيْمُونَ ﴾ (سورة الأعراف / ٢٧) ، وبعضهم أولياء بعض كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَبَعْضُهُمْ أُولِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الحائثية / ١٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أُولِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (سورة الأنفال / ٧٣) .

**ولذلك** فلا ولاية بين المسكرين، قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ

الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحْزِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة آل عمران / ٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُمِيتُوا عَنْهُمْ الْعِرَّةَ فَإِنَّ الْعِرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (سورة النساء / ١٣٩) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة النساء / ١٤٤) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْكُمْ إِنْ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ فَإِنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (سورة المائدة / ٥١) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مَوْجِدُونَ ﴾ (سورة المائدة / ٥٧) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُرَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (سورة

المتحنة / ١) ، ولا محاباة في هذه الولاية واحبة والنصرة . كما قال تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة التوبة / ٢٣) .

**ولذلك** جعل الله رابطة الإيمان أخوة في الله دونها أي رابطة أخرى ، ينشأ عنها حقوق وواجبات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورة الحجرات / ١٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (سورة آل عمران / ١٠٣) ، وقال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم » (حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وحديث ابن عمر) .

فعلينا أن نتمسك بهذه الرابطة ونحضر عليها بالنواجذ ونحافظ على هذه الإخوة التي امتن الله به علينا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » رواه مسلم .

هذه القضية من القضايا التي كثر فيها الاختلاف والشرق، وتعددت فيها الأهواء والآراء، وعظمت فيها الفتنة والمحنة، وقبل الخوض فيها لا بد أن نسأل: ما المقصود بالمسلم هنا؟ فنقول وبالله التوفيق: المقصود بالمسلم في هذه القضية: كل من يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي، ما لم يُكذّب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>. وهذا نطلق عليه «مسلمًا ومؤمنًا» مادام معترفًا بما جاء به النبي ﷺ، وله بكل ما قاله مصدق<sup>(٢)</sup>. وذلك لقول النبي ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته»<sup>(٣)</sup>.

## هل يُحكم على المسلم بالكفر

بقلم الشيخ مجدي قاسم

وأهل السنة وسط بين الطرفين، فإنهم لا يحكمون على المرتكب للذنب بأنه مخلّد في النار، ولا يقولون، «بأن الذنب لا يضر مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة، كقول المرجئة»<sup>(٤)</sup>، ولكنهم يقولون بأن الذنب يؤثر في الإيمان، فالإيمان ينقص بالمعصية كما يزيد بالطاعة ولكن لا يُخرجه كل ذنب من الإيمان<sup>(٥)</sup>، يقول النووي<sup>(٦)</sup>: «واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف: أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، فإن كان سألًا من المعاصي، كالصغير والمجنون، والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبةً صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي، إذا لم يُحدّث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يتلّ بمعصية أصلًا، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلًا لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به: المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر

والناس - في قضيتنا تلك - على طرفين ووسط، فطائفة تقول<sup>(٧)</sup>: «لا تُكفر من أهل القبلة أحدًا، فتنتفي التكفير نفيًا عامًا، مع العلم بأن أهل القبلة: المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع»<sup>(٨)</sup>، وفيهم من قد يُظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين!.. فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: تُكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كلّهُ بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان.

لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين!! ويقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار! اهـ مختصرًا.

جهنم، أعادنا الله منها ومن سائر المكروه. وأما من كانت له معصية، ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى: فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة. فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل».

وهذه القضية مبنية على أن الإيمان هل يتفاضل أم لا؟ فأهل السنة على أنه يتفاضل، وأن ذهاب بعضه لا يعني ذهاب كله، فهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في قضايا الإيمان<sup>(٩)</sup>، إلا الكفر بشيء من الأصول الإيمانية<sup>(١٠)</sup>، ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»<sup>(١١)</sup>.

وهذه القضية يترتب عليها أن يجتمع في الرجل كفر وإيمان، كما قال ابن القيم<sup>(١٢)</sup>: «الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة. وخالفهم فيه أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وعدم تخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل». ولذلك يقول ابن تيمية<sup>(١٣)</sup>: «.. ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته» ولذلك قال<sup>(١٤)</sup>: «وعلى هذا ورد عن النبي ﷺ في تسمية كثير من الذنوب كفراً مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان، فلا يخلد في النار».

وما نود التبيه عليه هو أن هذا لا ينطبق على كل الذنوب، فيقول ابن تيمية<sup>(١٥)</sup>: «ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، وإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب، وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور» ويقصد بالمباني أركان الإسلام: الصلاة والصيام والزكاة والحج.

ويقول أيضاً<sup>(١٦)</sup>: «إنه تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة: أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذبذبة، ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلاً منهياً عنه، مثل: الزنا، السرقة، شرب الخمر، ما لم يتضمن ترك الإيمان، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله بالإيمان به؛ مثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، فإنه يكفر به، وكذلك يكفر بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وعدم تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة»<sup>(١٧)</sup>.

**فالذنوب ثلاثة: ١- ذنب لا يحكم على صاحبه بالكفر مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر.**  
٢- ذنب اختلف العلماء في الحكم بكفر صاحبه مثل ترك الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحج.

٣- ذنب يحكم على صاحبه بالكفر مثل الكفر بالله أو بالملائكة أو الكتب أو الرسل أو البعث بعد الموت، أو عدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، أو عدم تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة، وهذا ما يسميه العلماء «المعلوم من الدين بالضرورة» وهو الذي لا يجهله عالم ولا عامي كاستحلال الزنا أو الخمر أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة<sup>(١٧)</sup>، وذلك بعد قيام الحجة، كما يقول ابن تيمية<sup>(١٨)</sup>: «وأما من أنكرا ما ثبت بالتواتر والإجماع فهو كافر بعد قيام الحجة». مع ملاحظة اختلاف الزمان والمكان والشخص؛ فحديث العهد بالإسلام أو الذي ينشأ في بادية بعيدة يختلف حكمه عن غيره،

يقول النووي<sup>(١٩)</sup>: «واعلم أن مذهب أهل الحق: أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنوب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأن من جحد ما يُعلم من دين الإسلام ضرورة حُكم برده وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه مما يخفى عليه، فيعزف ذلك، فإن استمر حُكم بكفره». ويقول ابن القيم<sup>(٢٠)</sup>: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكافر في زمان دون زمان، وفي بقعة دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر». ويقول ابن تيمية<sup>(٢١)</sup>: «وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافية، وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع لها كمن سمع النص من الرسول ﷺ وتيقن مراده منه، وعند رجل لا تكون ظنية فضلاً عن أن تكون قطعية لعدم بلوغ النص إياه، أو لعدم ثبوته عنده، أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته».

**ونبيه على أن الحجة لا بد أن يقيمها من**  
يُحسنها، كما يقول سليمان بن سحمان<sup>(٢٢)</sup>: «الذي يظهر لي - والله أعلم - أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يُحسن إقامتها، وأما من لا يُحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة فيما أعلم، والله أعلم!» وهذه الحجة لا بد أن تكون بحيث يفهمها مثله، كما يقول ابن حزم<sup>(٢٣)</sup>: «أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها»، وكما يقول ابن العربي المالكي: «حتى تبين له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله».

**وهذا كله يجعلنا نترث في الحكم بالتكفير على**  
معين، فلا بد أن نفرق بين قولنا من قال كذا أو فعل كذا يكفر، وبين تكفير صاحب هذا القول أو الفعل بعينه، والشهادة له بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع، يقول ابن تيمية<sup>(٢٤)</sup>:

«إن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا كما في نصوص الوعيد.. لكن الشخص المعين لا يُشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار، لجواز أن لا يلحقه لفوات شرط أو ثبوت مانع: فقد لا يكون التحريم بلفه، وقد يتوب من فعل المحرم، وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يُتلى بمصائب تكفر، وقد يشفع فيه شفيع مطاع».

**وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها؛ قد يكون**  
الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد يكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها<sup>(٢٥)</sup>، وقد يكون عرضت له شبهات يعذر الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فيه فإن الله يغفر له خطأه كائناً من كان، سواء أكان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام» فلا بد من التوقف عن الحكم بتكفير المسلم المعين إذا ما وقع في كفر أو شرك حتى يتبين استيفاءه شرط العلم والحرية والعقل وغيرها، وانتفاء موانع الجهل والإكراه والجنون والنسيان وغيرها.

وهذا التوقف في الحكم بكفر شخص معين لا يمنع من معاقبته في الدنيا لمنع استنشاء شره، يقول شارح «الطحاوية»<sup>(٢٦)</sup>: «لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستبيح، فإن تاب وإلا قتلناه. ثم إذا كان القول في نفسه كفراً قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً. فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين للإسلام إلا من يكون منافقاً زنديقاً».

فإن إجراء الأحكام الدنيوية يُبنى على ما يصدر عن

في النار، فهو لله وحده. والله أعلم!

الشخص في الظاهر دون النظر إلى مكنون القلب، أما الحكم الأخروي: وهو استحقاق الكافر المرتد للخلود

- (١) كما في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣١٣).
- (٢) المرجع السابق (ص ٣١٣) وانظر (ص ٣١٦).
- (٣) رواه البخاري (ح ٣٩١ : ٣٩٣)، والنسائي (١٠٥/٨)، انظر «الصحيحة» (ح ٣٠٣).
- (٤) كما في «شرح الطحاوية» (ص ٣١٦ : ٣١٧) باختصار.
- (٥) أي أن الكتاب والسنة والإجماع قد أوضحوا أن المناقنين أكثر من اليهود والنصارى لأنهم في الدرك الأسفل من النار.
- (٦) وقد ذكر ابن تيمية في كتاب «الإيمان» (ص ١٥٤ : ١٥٥) أنه لا يعرف قائل هذا. وانظر «مجموع الفتاوى» (٥٠٢/٧).
- (٧) ولا بد من التفرقة بين ذنب وآخر، كما في كتاب «الإيمان» (ص ٢٥٩) كما سيأتي.
- (٨) «شرح النووي لمسلم» (٢١٧/١) وانظر (٢٢٠/١).
- (٩) انظر «الإيمان» لابن تيمية (ص ١٩٠ : ١٩١). (١٠) قاله الشيخ هراس في حاشيته.
- (١١) حديث: متفق عليه: رواه البخاري (ح ٢٢) وأعاد في مواضع كثيرة، ورواه مسلم (ص ١٧٢ ح ١٨٤).
- (١٢) كتاب «الصلاة» (ص ٢٨).
- (١٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٧٠)، وانظر «الإيمان» لابن تيمية (ص ٢٦٢ : ٣٠٧)، و«الصلاة» لابن القيم (ص ٢٩ : ٣٠).
- (١٤) «الإيمان» لابن تيمية (ص ٣٠٧).
- (١٥) المصدر السابق (ص ٢٥٩).
- (١٦) «مجموع الفتاوى» (٩٠/٢٠).
- (\*) ويقول «شارح الطحاوية» (ص ٣١٧): «فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك؛ فإن يُستتاب، فإنه تاب وإلا قُتل كافرًا مرتدًا».
- (١٧) انظر «شرح النووي لمسلم» (١٥٠/١)، (٢٠٥/١).
- (١٨) «الفتاوى الكبرى» (١١٠/١).
- (١٩) «شرحه لمسلم» (١٥٠/١).
- (٢٠) «طريق الهجرتين» (ص ٣٨٤).
- (٢١) «مجموع الفتاوى» (٣٤٦/٣٣ : ٣٤٧).
- (٢٢) «منهاج أهل الحق» (ص ٦٨).
- (٢٣) «الأحكام» لابن حزم (٦٧/١).
- (٢٤) «مجموع الفتاوى» (٣٤٥/٣) باختصار وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٣٠/٣)، (٦١٩/٧)، (٣٤٨/٢٣ : ٣٤٩)، (٥٠٠/٢٨ : ٥٠١)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣١٨ : ٣٢٠).
- (٢٥) هذا يبين بأنه لا يكفي في العذر العلم بالحجة ولكن أيضًا فهمها، وكما يقول ابن تيمية: «ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة كل شبهة». «مجموع الفتاوى» (٥٠٠/١٥).
- (٢٦) «شرح الطحاوية» (ص ٣١٩).



# عقيدتنا

## في

### المهدي

# المنتظر

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

إن مما أتّج صدري  
وبث الراحة في نفسي  
مطالعتي لعقيدة جماعة  
أتصار لسنة في مجلة  
« التوحيد » لسان حال  
الجماعة ، وبجها  
ببراعة وخطها بقلمه  
واضحة نقيّة رئيس  
التحرير - حفظه الله -  
لتكون حجة لنا عند الله  
يوم أن نلقاه ، ثم تكون  
حجة بيننا وبين الناس ،  
حيث ينسب لنا البعض  
ما لا نؤمن به وما لا

الله لنا ولهم الهداية ، ونعوذ به  
من الخذلان .

واسمحو لي أن أضرب مثلاً  
واحداً ، وإن كانت كل نقطة  
تحتاج لضرب العديد من  
الأمثلة ، فهذا المثال يبين أن  
الذي يتكلم في غير فنه يأتي  
بالعجائب ، وأن السبب في  
انتشار الخلاف هو كلام أهل  
الجهل ، فلو سكت كل من لا يعلم  
لانقطع الخلاف !!

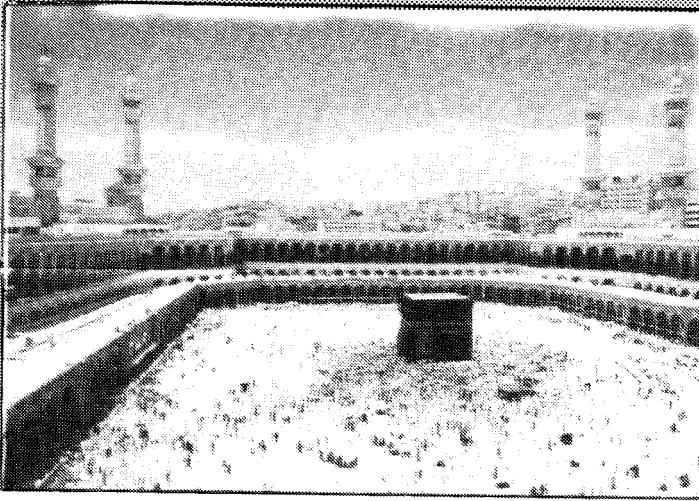
وللأسف سقط في هذا المثال  
رجل « ميرز » من المنتسبين إلى  
السنة ، فلذا وجب علينا أن

كبهلوان في سيرك أو قزم في  
ثياب عملاق ، بمسك سيفاً  
خشبياً يضرب به ذات اليمين  
و ذات الشمال ، فرّخ به وهو لا  
يغني عنه شيئاً في ساحة  
الوغي .

وللأسف الشديد راج  
بهرجهم على الأغرار ضعاف  
العقول ، فاتبعهم ( همج رعاع  
أتباع كل ناعق ) ، ظنوا أنهم  
على شيء ، وما عندهم إلا إفك  
مفتري !!

لو رضعوا لبان العلم أو  
حتى تمضمضت أفواههم به ، ما  
قالوا بمثل هذا الغشاء ، فنسأل

نعتقه - كذباً وزوراً والله من  
ورائهم محيط - في محاولة  
يائسة منهم لتشويه الصورة أو  
تلطيخها بمعتقدات فاسدة بخلاف  
معتقدات أهل السنة والجماعة  
( سلفنا الصالح ) ، جمعنا الله  
وإياهم في جنات النعيم ،  
وساعدهم على ذلك أناس  
« يُسبون إلينا » ، هم قوم من  
جلدتنا ويتكلمون بأسننتنا ،  
تسرّبوا بلباس ( العقلانية ) ،  
وتخفوا تحت ثوب ( البحث  
العلمي ) ، دون أن يتقنوا  
أدواته أو يتعرفوا على  
مفرداته ، فيبدو أحدهم



نظهر هذا العوار حتى لا ينسب  
للجماعة فكرٌ هي منه براء ،  
وحتى لا تصبح قضايا العقيدة  
كلها عرضة لتلاعب الأهواء  
وتنازع الآراء .

وقضيتنا هي قضية ( الإيمان  
بالمهدي المنتظر ) ، الذي ورد  
ذكره في أحاديث النبي صلى  
الله عليه وسلم ، وآمن به  
علماؤنا الأعلام على مرّ  
العصور ، وقضيتنا تلك ليست  
مقصودة بذاتها ، ولكنها تدرج  
تحت قضايا كلية ، يتأثر  
أصحابها بنزعة فلسفية  
اعتزالية ، تدخل تحت ما يُسمى  
بالمذهب ( العقلاني ) ، والحق  
أن العقل منه براء ، فهم  
يؤمنون بتحكيم العقل على  
النص ، والقاعدة التي تؤمن بها  
في هذا المجال والتي قررها  
علماؤنا أنه لا تعارض بين  
صريح المعقول وصحيح  
المنقول ، فإذا صحّ الحديث  
فيجب أن نصير إليه ولا ندعي  
أنه يعارض العقل ، فما  
يعارض - في الحقيقة - إلا

رسول الله صلى الله عليه  
وسلم التي سلمت من العلة  
والاضطراب فتوفرت لها أسباب  
الصحة إعلاء لكلمة الله  
وحفاظاً على مقومات الدين ،  
وأن نهشها بالعقول البحتة صدغ  
لأبنية الدين ونقب لأسواره  
الحصينة ، وسبيل كل مؤمن أن  
يتصدى لدعاة الهدم المتواثبين  
كالحشرات على جدران الإسلام ،  
وأي مهادنة لأصحاب المنهج  
الهدام إجراماً يصم القمة  
والقاعدة ، وتهاون في حق هذا  
الدين يدين جماعة المسلمين ،  
وذلك لأن ضلال أية جهة من  
جهات الإسلام محسوب على  
الجماعة كلها ، والأجيال أفلak  
مشحونة تمخر عباب الأولى  
لترسو على ضفاف الآخرة ،  
ومجاديف تلك الأفلak : كتاب  
الله وسنة رسوله ، فإذا غبث

أوهاماً في العقول يجب أن  
تطرح وضلالات يجب أن  
تدحض ، ونسلم له كما سلم له  
من هم خيرٌ منا من قيل ، فنجوا  
وسعدوا ، فلنسر حيث ساروا ،  
ولنقف حيث وقفوا ، كما قال  
عمر بن عبد العزيز : ( قف  
حيث وقف القوم ، فإتهم عن علم  
وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، ولهم  
على كشفها كانوا أقوى ،  
وبالفضل - لو كان فيها -  
أخرى ) ، وقال الأوزاعي :  
( عليك بأثار من سلف وإن  
رفضك الناس ، وإياك وآراء  
الرجال ، وإن زخرفوه لك  
بالقول ) .

وجميل من صاحبنا - غفر  
الله لنا وله - أن يقول في  
الكتاب - ومن لسانه ندمغه -  
يقول : ( ونحن - بحمد الله -  
نؤمن بأن الحفاظ على أحاديث

بهما أو بأحدهما كان الهلاك ،  
لذا تحتم أن نتصدى للعابثين  
ونردع اللاعبين بالنار  
بالضربة ، فإن عزت فبالكلمة ،  
فإن عزت فبالقلب وبالنية ،  
وذلك أضعف الإيمان ) . اهـ .

فماذا نقول له وكلماته تلك  
رداً عليه ؟ فأى عبث أعظم من  
هذا التخبيط والتخليط الذي حواه  
هذا الكتاب ، الذي يلبس فيه  
صاحبه ثوب علماء الحديث  
وبينه وبينهم مفاوز تنقطع  
دونها أعناق المطي ؟ فأين  
الثرى من الثريا ؟ وأين هو من  
هؤلاء الجهابذة العلماء الأعلام ؟  
وهل أصبح علم الحديث  
كالكلام المباح يهجم عليه كل  
أحد ؟ وهل المطلوب منا أن  
نفسه أنفسنا ونشد عن جماعة  
المسلمين ونتكبر ما درج عليه  
سلف هذه الأمة من أجل أذنب  
من أدعياء العلم ليسوا من أهل  
التحقيق ولا التدقيق ، أعرضوا  
عن المنهج الحق وشذوا عن  
منهج الراشدين وشردوا مع  
الشاردين ؟ نعوذ بالله من  
الخذلان .

وللرد على هؤلاء لا بد أن  
نقرر ناعداً تدمغ باطلهم  
وتزهره ، نرفعها لا في وجوههم  
فحسب ، ولكن في وجه كل من

يأتي بما لم يأت به الأوائل ،  
فنسألهم : من سلفنا ومن سلفكم  
في قولكم هذا ؟ فسلفنا الأمة  
الأعلام أصحاب هذا العلم وذووه  
الذين سار الركبان بذكرهم في  
العلم والفضل ، وسرد أسمائهم  
وأقوالهم مبثوث في المصنفات  
التي صنفت في هذه القضية ،  
فهل لكم سلف في إنكاركم  
لخروج المهدي سوى زلة ابن  
خلدون رحمه الله تعالى ،  
وليست من التحقيق في صدر  
ولا ورد ، كما قال العلامة  
صديق حسن خان رحمه الله ؟  
بل قال : إنكار ذلك جرأة عظيمة  
في مقابلة النصوص المستفيضة  
المشهورة البالغة إلى حد  
التواتر ، وقال الشيخ محمد  
المغربي : ولا شك عند كل من  
له إمام بالعلم أن هذا طعن  
بمجرد الرأي لا يمت إلى تحقيق  
علم الرواية بشيء ، وهو  
فاسد .

فهل نقلد بعد هذا ابن خلدون  
فيما أخطأ فيه مما ليس من  
فنه ، فلم يكن محدثاً ، فما بالك  
أن يكون ميرزاً في علم الحديث  
فيه أهلية النقد والتمييز  
للأحاديث ، فابن خلدون - كما  
قال العلماء عنه - ليس من أهل  
التحقيق ، وليس له باع في هذا

الميدان حتى يكون مرجعاً لنا  
في ذلك ، بل يقول العلامة أحمد  
شاذلي في تحقيقه للمسند  
( ٣٥٧١/٥ ) عن ابن خلدون :  
أما ابن خلدون فقد قفا ما  
ليس له به علم ، واقتحم قحماً  
لم يكن من رجالها ، وغلبه ما  
شغله من السياسة وأمور الدولة  
وخدمة من كان يخدم من الملوك  
والأمراء ، فأوهم أن شأن  
المهدي عقيدة شيعية أوهمته  
نفسه ذلك ، وقد قيل : إن  
المتمسك برأي ابن خلدون  
غريق متمسك بغريق .

وإنكار المهدي لا اعتقاد أنه  
عقيدة شيعية قال به صاحب  
الكتاب في مقدمته ( ص ١٣ ) ،  
فقال : إن هذا الفكر مبعثه  
التشيع ، وامتد هذا الفكر إلى  
المتصوفين ومدعي الزهد . اهـ .  
فنسأل : أيهما أسبق ؛  
الأحاديث النبوية التي تخبر عن  
المهدي ؟ أم عقيدة الشيعة في  
مهديهم المزعوم الذي دخل  
سرداب ( سامرا ) وهو طفل  
صغير ولم يخرج حتى اليوم ؟!  
فأصل الاعتقاد في المهدي  
من خلال الأحاديث النبوية  
بالتأكيد أسبق ، وكون الشيعة قد  
بنوا عقيدتهم الباطلة على معتقد  
صحيح لا يعني - على

الإطلاق - أن نبطل الحق ، فالحق أحق أن يتبع .

وقد ادعى النبوة أقوام من الكذبة والدجالين على مر العصور ، فهل يقول مسلم عاقل بإتكار النبوة من أجل هؤلاء الأفاكين ؟ بل وصل الأمر ببعض الدجاجلة أن ادعوا الألوهية ، فهل يمكن أن يُقبل إنكار للألوهية من أجل هذا الإفك ؟ فهل بعد ذلك يمكن للأستاذ الفاضل (مقرظ الكتاب) أن يستدل بوجود مهديين ذوي عدد يدعون الأمر ، على إنكار المهدي كما فعل (ص ٩ ، ١٠) في مقدمته ؟

أما ما لا يمكن أن نقبله من الأستاذ (المبرز) ولا من صاحبه هو طعنهم في أهل الحديث ووصف أهل الحديث بأنهم حاطبو ليل كما في قوله في (التقريظ) (ص ٥) : وإحساس أولئك الجازمين المؤمنين بالمهدي بهذه الخطورة راحوا يحطبون بليل ويحشدون طبقات من الآثار فيها ، باعتبار فهم ، الغبث والسمين والصحيح والضعيف . قُلْتُ : علماء الحديث وأتباعهم ليسوا بحاطبي ليل ، فإنهم أعرف الناس بما يجمعون

وإليهم نرجع ، ولسنا هنا في مجال ولا فسحة للذب عنهم وذكر فضلهم - فجزاهم الله خيراً عنا ، وندعو الله أن يلحقنا بهم في الصالحين - ولكن نسأل الأستاذ الفاضل : هل تعرف طريقة أهل الحديث في تصنيفاتهم ؟ وهل تعرف الفارق بين الصحاح والسنن ؟ وبين المسانيد والمعاجم ؟ وهل تعرف شيئاً عما يُسمى بالأجزاء الحديثية ؟

إن أي مبتدئ في علم الحديث يعرف هذه الفروق ، وليس عيباً أن نقول : إنه كان يجب عليك العودة إلى كتاب - ولو صغير - في مصطلح الحديث للتعرف على هذه الفروق قبل أن تطعن فيهم مثل هذه الطعنات التي تعود على صاحبها .

فمثلاً كتب الصحاح يضع فيها جامعوها بعض ما صح - عندهم - من أحاديث ، أما الأجزاء الحديثية فيضع فيها جامعوها كل ما وصل إليهم من أحاديث ، صحيحاً كان أم ضعيفاً وذلك لأسباب ، ليس هنا مجال ذكرها ، فهل هؤلاء حاطبو ليل ؟

أما دعوى أن هذه الأحاديث فيها (اضطراب بين) ، كما يقول الأستاذ في تقريظه (ص ٦ ، ٧) ، فهو كلام متهافت لا يفيد إلا مع الأغرار ، أتباع كل ناعق ، ولكن لا يجدى ولا يثبت عند أهل العلم والتحقيق ، فليس من العلم في شيء أن نضرب الأحاديث الصحيحة بالأحاديث الضعيفة المتناقضة ، وندعي أن هناك تعارضاً يرد كل الأحاديث ! كيف وقد صحح أحاديث المهدي الجهابذة الأعلام من أهل هذا الميدان ؟ فهل تنبهتم لما لم يتنبهوا إليه ؟ كيف وكتابكم يدل على مدى (علمكم) بعلم الحديث ومصطلحات أهله ؟ فاتقوا الله في أنفسكم وفي من يتبعكم من الأغرار حتى لا تُنكر عقيدة قال بها علماء الإسلام على مر العصور ، بالرغم من لغظكم وإنكاركم لكونها عقيدة - كما في (ص ٥) - وهذا عجيب ، فإن لم نضعها في العقائد ، فأين نضعها ؟ هل نضعها في الفقه مثلاً ؟ إن هذا لشيء عجاب !! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

بقلم الشيخ /

مجدي قاسم

رئيس لجنة الدعوة

فرع بلقاس

# إلي طلاب مدرسة :

## « اعرفوني »<sup>(١)</sup> !!

نبتت في أيامنا هذه - كما تثبت في كل عصر  
وُجد فيه ضعاف النفوس - نابتة لم يستضيئوا بنور  
العلم ، ولم يتفرغوا بحلواته ، ولم تستشعر قلوبهم  
خشية الله ، ف« إنما العلم الخشية » ، فأرادوا أن

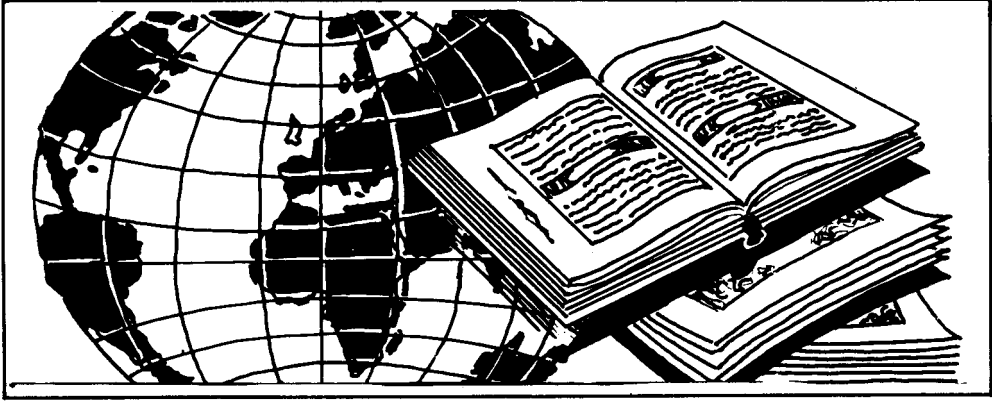
يعرفوا ويتحدث الناس عنهم ولو بلعنهم ، فتمروا  
وأبرزوا عن أنيابهم وشحذوا مخالبتهم ، وانقضوا  
على الثوابت من تعاليم هذا الدين نهشاً ، وعلى  
الشوامخ الأعلام هدمًا ، ينفش أحدهم ريشه مختالاً  
كالطاووس ، يسوقه داء الغرور إلى دعوى  
المنافحة عن العلم والتحقيق ، والذب عن تعاليم  
الدين القويم ، وبذل الجهد في إبراز نصاعة الدين ،  
وتجديده ، ومسايرته لروح العصر !!  
حتى أصبح « المجددون » المزعمون  
« المتعلمون » كثر ، لا كثر الله أمثالهم ، وأراحنا  
من أمراضهم !!  
ويزعمون أيضاً أنهم يبينون تشويه الجاهلين  
لتعاليمه ، ويظهرون عوار الجاهدين المتمسكين  
بالنصوص ! وما درى المسكين - المتجرئ على  
الفتيا بغير علم مهما كانت درجته العلمية ومكانته  
الاجتماعية - أنه هو الجاهل بتعاليم وقيم هذا  
الدين ! فليس من الدين في شيء هدم إجماع  
الأمّة ، وليس من الدين في شيء انتقاص العلماء

ندباً !!  
شعوذة تخطر في حجتين<sup>(٢)</sup>

وفتنة تمشي على رجلين

ولما كان الواجب على أهل الإسلام (من باب

النصيحة) ، أن يأخذوا بخبز كل متكالب على



الخطاب ، رضي الله عنه ، لجمع لها أهل بدر  
يستشيرهم ؟ ولم ينتقص الآخر العلماء ويزدري  
أعمالهم ، بل لم يجري أحدهم ويلهث خلف الأقوال  
الساقطة عند العلماء ؟

إنه داء (( اعرفوني )) ، كما قال علي بن أبي  
طالب ، رضي الله عنه ، فعن سعيد بن أبي الحسن  
أنه لقي أبا يحيى المعرقب ، فقال له : من الذي قال  
له : ( اعرفوني ؟ ) قال : ذاك يا سعيد ، إنني أنا  
هو ، قال : ما عرفت أنك هو ، قال : فإني أنا هو ،  
مر بي علي ، رضي الله عنه ، وأنا أقص - أي :  
أعظ الناس - بالكوفة ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت :  
أنا أبو يحيى ، فقال : لست بأبي يحيى ، ولكنك  
تقول : ( اعرفوني ، اعرفوني ) ، ثم قال : هل علمت  
الناسخ من المنسوخ ؟ قلت : لا ، قال : هلكت  
وأهلكت ، فما عدت بعد أن أقص على أحد .

وقال ابن عون لشعبة بن الحجاج : يا أبا  
بسطام ، ما يحمل هؤلاء الذين يكذبون في الحديث  
على الكذب ؟ قال : ( يريدون أن يُعظّموا بذلك ) .

نعم ، إنهم يطلبون التكثير والظهور ، ليسوا  
لباس الحديث وهم عنه بمعزل ، وليسوا لباس الفقه  
والبون شاسع ، ركبوا مطايا الخير للشر !!

النار ، وأن يُصّروه بمواضع الأقدام ، وإن لم  
ينتصح يُؤخذ على يديه ، بل إن أمكن الحجر عليه ،  
صوتًا لهذا الدين ، وذُبًا عن ببيضته ، فكما قيل :  
( الحجر لاستصلاح الأديان ، أولى من الحجر  
لاستصلاح الأموال والأبدان ) .

فلذا كان لا بد من تنف ريشه وإظهار عواره ،  
نصحًا للمسلمين ، حتى لا يروج بهرجه ( وهو  
المفلس ) على ضعاف العقول ( الهمج الرعاع ) ،  
الذين يسبرون وراء كل ناعق ، فيظنون أنه على  
شيء ؛ لظنهم أنه قد استدرك على العلماء وصحح  
لهم ما أخطئوا فيه !!

فإن من حفظ الله لهذا الدين ؛ هنك من يكذب  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال  
السخاوي ، رحمه الله ، ولعل سائلًا يسأل : لم  
يتعلم أحدهم فيخرق (( الإجماع )) ، ويطعن الآخر في  
الصحابة ، وغيره في الأحاديث الثابتة التي أفنى  
الجهابذة الأثبات من علماء الأحاديث أعمارهم في  
خدمتها والذب عنها ، ويتطاول آخر على أئمة  
الحديث كالبخاري ومسلم ؟! ولم يحرص أحدهم على  
أن يُحدّث الناس بما لم يسمعوا هم ولا آباؤهم ؟! لم  
يتفهيق هذا ، ويتشدد الآخر بالغريب المهجور ؟  
ولم يخوض أحدهم في مسائل لو عرّضت لعمر بن

إنهم سوس ينخر في عظام الأمة ، ينشرون الخلاف والشقاق ، مستهينين بطم من سبقهم ، فيهدرون جهود كل العلماء السابقين ( فهم رجال ونحن رجال بزعمهم ) ! وكذبوا ( فسلفنا رجال وهم صغار ) ، عليهم الذلة والصغار ، قال أبو عمرو بن العلاء ، أحد القراء السبعة : ( ما نحن فيمن مضى ، إلا كبقل في أصول نخل طوال ) ، بل نقول كما في حديث أم زرع : ( كلحم جمل غث على رأس جبل وعر ) .

قال أبو إسحاق الشاطبي : ( قلما تقع المخالفة لعلم المتقدمين ، إلا ممن أدخل نفسه في أهل الاجتهاد ، غطاً أو مغالطة ) .

وقال ابن حزم : لا آفة على العلوم وأهلها أضرت من الدخلاء فيها ، وهم من غير أهلها ، فاتهم بجهلون ، ويظنون أنهم يعلمون ، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون .

قال الشافعي : ( فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب من السلامة له إن شاء الله ) .

فسدنة الخلاف لا يعيشون ولا ينتعشون إلا باستنشاق هذا الهواء المسموم بالخلاف والشقاق المميت لروح الأمة ، وإلا بالسباحة في دوامة التعالم ، حتى ولو غرقت الأمة وغرقهم معها .

قال سفيان الثوري - فيمن حدث قبل أن يتأهل - : ( إذا كثرت الملاحون غرقت السفينة ) .

خلت الديار فسدت غير مسود

ومن البلاء تفردى بالسودد

فالخلاف نقطة أظهرها وكثرها المتعالمون حتى جطوها بحراً متلاطم الأمواج يفرق الأخضر واليابس ، و( لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف ) ،

ويروى عن علي ، رضي الله عنه : ( العلم نقطة كثرها الجاهلون ) .

إن رعوس الجهل تتصدى للتوقيع عن الله ورسوله وتبليغ ما قاله الله ورسوله رغبة في التصدر وطلباً للشهرة والبروز ، وصرف وجوه الناس إليهم ؛ فيتحصل أحدهم على المال والجاه ، وينتشي بنظر الناس إليه والتفافهم واجتماعهم حوله ، لا أداء لحق الله ونجاة بنفسه من النار ، وحرصاً على دخول الجنة ، فهذا مصيره إلى النار وبئس المصير ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : (( من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة - يعني : ربحها - يوم القيامة )) .

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : (( من طلب العلم ، ليباهي به العلماء ، ويماري به السفهاء - يعني : يجادل به ضعفاء العقول - أو ليصرف وجوه الناس إليه ، فهو في النار )) .

وقال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ؛ رجلٌ استشهد ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال : إنك عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار )) . الحديث .

وقال عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه : ( كيف بكم إذا لبستم فتنه ، يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، وتتخذ سنة ، فإن غيرت يوماً ،

«أجرؤكم على الفتيا ، أجرؤكم على النار» ، ولا يصح حديثاً<sup>(١)</sup> .

ولذا كان الصحابة ، رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان من أئمة الهدى يتهيبون الفتيا ، ويحيل بعضهم على بعض ، ويُسِر إذا وجد من يكفيه مؤنتها ، وكان أحدهم يتوقف عن الإجابة على كثير من المسائل ، ويعلاه الكرب وتأخذه رعدة ويتحدر العرق من جبهته إذا تصدى للإجابة ، ولا يجيب إلا خوفاً من أن يلحقه إثم من كتم علماً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُوهَ فَبَيَّنَّوهُ رِءَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْهُ بِثَمَنٍ قَلِيلٍ لَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٨٧ ] ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به ، كمثل الذي يكثر الكنز ثم لا يتفق منه »<sup>(٣)</sup> .

وقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم من يتصدى لذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا يُقَصَّ إلا أمير أو مأمور ، أو مختال » . وفي رواية بدلاً من مختال : « أو مرأء »<sup>(٤)</sup> .

إن الأمر جدّ خطير : إنه الرياء .. الشرك الأصغر ، وقد ينضاف إليه عدم العمل ، فيكون الخطر أشد ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي ؛ كل منافقٍ عليم اللسان »<sup>(٥)</sup> .

ويصور النبي صلى الله عليه وسلم صورة هذا البائس الذي لا يعمل بعلمه ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « يُجاء بالرجل - أي الذي يخالف علمه

قيل : هذا منكر ، قيل : ومتى ذلك ؟ قال : إذا قلت أمناؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وكثرت فقهاؤكم ، وكثرت قراؤكم ، وتفقه لغير الدين ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ) .

وعن علي ، رضي الله عنه ، أنه ذكر فتناً تكون في آخر الزمان ، فقال له عمر ، رضي الله عنه : متى ذلك يا علي ؟ قال : إذا تفقه لغير الدين ، وتعلم العلم لغير العمل ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة<sup>(٦)</sup> .

ومن أظهر للناس علمه أو عمله رياء وسمعه ، أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة ، وفضحه على رعوس الأنهاد ، والأحاديث في الترهيب من الرياء والسمعة كثيرة منها :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قام مقام رياءٍ وسمعةٍ رآه الله به يوم القيامة وسمع » .

وقال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع الناس يعمله ، سمع الله به مسامح خلقه ، وصغره وحقره » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء ، يقول الله عز وجل إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم ترعون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً »<sup>(٧)</sup> .

إن العلماء الصادقين كانوا - وما زالوا - يعرفون خطورة الفتوى وما تجره على صاحبها ، فليس من السهل أن يفتي المرء فيضل ويضل ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أفتني بغير علم كان إثمه على من أفتاه »<sup>(٨)</sup> ، وقد روي :



عمله - يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أفتابه - أي تخرج أمعاؤه بسرعة - فيدور بها كما يدور الحمار برحاه - أي : الطاحون - فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون : يا فلان، ما شأنك؟ ألسنت كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : كنتُ أمرُكم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن الشر وآتية. متفق عليه.

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : «مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقرض شفاهم بمقاريض من نار، قلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون»<sup>(١١)</sup>.

فنعوذ بالله من علم لا ينفع صاحبه، كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها». رواه مسلم.

ولقد حذر ربنا تبارك وتعالى أن نقول عليه بغير علم، فقال تعالى : ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تبغوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾<sup>(١٢)</sup> إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴿ [ البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩ ] ، فهذا غاية ما يتمناه الشيطان من إغواء بني آدم .

وقال تعالى : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [ الأعراف : ٣٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [ الإسراء : ٣٦ ] ؛ أي لا تقبل ما ليس لك به علم<sup>(١٣)</sup>.

وقد سئل الإمام أحمد عن الرجل يُفتي بغير علم، قال : «يمرق من دينه»<sup>(١٤)</sup>.

لقد حكم عليهم أحمد بن حنبل بحكم الخوارج : «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقرعون القرآن لا يجاوز حناجرهم» .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً من ترأس هؤلاء الجهال المتفهبين، وهذا الحديث من معجزاته وعلم من أعلام نبوته، فقال صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رُعوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». متفق عليه.

ولا فائدة حينئذ من وجود الكتب والمصاحف، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : «يا أيها الناس، خذوا من العلم قبل أن يقبض العلم وقبل أن يرفع»، فقال أعرابي : يا نبي الله، كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرائعنا وخدمنا؟ قال : فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه، وقد علت وجهه حمرة من الغضب، قال : «فقال : أي ثكلتك أمك، وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا منها بحرف مما جاءتهم به أنبيأؤهم، ألا وإن ذهاب العلم ذهاب حملته» ثلاث مرات<sup>(١٥)</sup>.

وعن زياد بن ليبي، قال : ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، فقال : «ذاك عند أوان ذهاب العلم»، قلت : يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناعنا ويقرئه أبنائنا أبناعهم إلى يوم القيامة؟ قال : «ثكلتك أمك، زياد، إن كنت لأراك من أफقه رجل بالمدينة،

حمل هذه الدعوة ، وأدركوا عِظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم ، أن يُشمرُوا عن ساعد الجد وينفضوا هذا الغبار من الباطل ويقشعوا هذه السحابة التي أظلمت أمام الأعين ، فحالت بينها وبين رؤية الوجه المشرق المنير لهذا الدين أيام سلفنا الصالح ، وأن يفضحوا الباطل الذي ألصق به ، وأن يواجهوا كلَّ ما يلصق به من زيف وبهتان ببيان وجه الحق ، وتبصير الناس بما يرمي إليه المتعالمون المتحذلقون الأدياء .

قال تعالى : ﴿ بل قدق بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ [ الأنبياء : ١٨ ] .

نسأل الله النجاة في الدنيا والآخرة .

أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرعون التوراة والإنجيل ، لا يعملون بشيء مما فيهما ؟<sup>(١٥)</sup> .

وبعد ؛ فهذه نفثة مصدور ساءه التطاول غلى علم وأعلام السلف ، فأنا (( النذير العريان )) ، يقول : (صبحكم ومساكم ) ، فلا بد من وقفة : ( أمر بمعروف ، ونهي عن منكر ) ، ولا بد من بصيرة في مواجهة هذا الطوفان من العبث والجهل قبل أن يجرفنا معه ، فلنعد إلى الأصالة والقيم والقواعد والمبادئ ، هاجرين الدعوى وتسويد الأوراق بهذا الغفء الممجوج ، ولا يفتر أحدنا عن محاسبة نفسه والإبراء عليها حتى لا تتطاول فوق مكائنها ، فإتها بطبعها محبة للثناء والظهور .

فعلى الدعوة إلى الله تعالى المخلصين ، والعلماء الربانيين الذين صدقوا مع الله تعالى في

- (١) انظر كتاب (( التعالم )) لفضيلة الشيخ بكر أبو زيد ، ومقدمة كتاب (( الاعتبار في الناسخ والمنسوخ )) للحازمي .
- (٢) أي أن الشعوذة من خيالاتها تمايل وتمشي مشية المعجب ، والحجلين مثني حجل : أي خلخال ، وهو ما تترزين به المرأة في قدمها ، والشعوذة في اللغة : خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين .
- (٣) انظر الأحاديث في (( الترغيب والترهيب )) للمنذري في كتاب (( العلم )) ، باب ( الترهيب من تعلم العلم لغير وجه الله تعالى ) ، وانظر (( صحيح الترغيب )) للألباني ، و(( مشكاة المصابيح )) للخطيب التبريزي .
- (٤) انظر باب ( الترهيب من الرياء ) عند المنذري .
- (٥) رواه أبو داود ، وحسنه الألباني في (( مشكاة المصابيح )) (ح ٢٤٢) .
- (٦) انظر (( السلسلة الضعيفة )) للألباني (ح ١٨١٤) .
- (٧) (( صحيح الجامع )) (ح ٦٢٨٤) .
- (٨) (( صحيح الترغيب )) (ص ٥٢) .
- (٩) (( صحيح الجامع )) (ح ٧٧٥٣ ، ٧٧٥٤) .
- (١٠) (( صحيح الترغيب )) (ص ٥٦) .
- (١١) (( صحيح الترغيب )) (ص ٥٣ ، ٥٤) .
- (١٢) انظر (( فتح الباري )) (١٣/٢٩٥ ، ٢٩٦) .
- (١٣) (( المنهج )) لأحمد (١/٢٥١) .
- (١٤) انظر (( مجمع الزوائد )) (١/١٩٩ ، ٢٠٠) ، و(( فتح الباري )) (١٣/٢٩٩ ، ٣٠٠) .
- (١٥) رواه ابن ماجه وأحمد بسند فيه انقطاع ، وصححه الألباني في (( مشكاة المصابيح )) (ح ٢٤٥ ، ٢٧٧) لشواهد .

# العقيدة الفذة

موضوع

العدد

المهازيل ، فهؤلاء أخطر شيء على مجتمعهم ، فهم لا دين لهم إلا الشهوات يعبئون منها عبداً ، فلا هم لهم إلا إشباع غرائزهم الحيوانية الشهوانية . ونهش ما تصل إليه أيديهم ، فلا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكراً ، إلا ما أشرب من هواهم .. إنهم لا يخيفون عدوًا ، ولا ينصرون صديقًا ، ولا ترتفع بهم راية ، ولا ينهض بهم مجتمع ، فأمثالهم حجرٌ عثرة في سبيل نهضة مجتمعهم وتقدمه ، بل أقولٌ لشمس حضارته ووقفٌ لعجلة رقيّه .

ولكن ما معنى كلمة «عقيدة» : في اللغة : العقد ؛ نقيض الحل ، وعقد الحبل والبيع والعهد واليمين ، يعقده عقداً : أي أحكمه وشده ، والعقد : العهد ، والجمع : عقود ، وهي أوكد العهود ، وتعاقد القوم : تعاهدوا ، وعقد العهد واليمين يعقدهما عقداً ، وعقدّهما : أكدهما ، والمعاقدة : المعاهدة والميثاق .

والعقيدة في الإسلام تقابل الشريعة ، إذ الإسلام عقيدة وشريعة ، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات<sup>(١)</sup> .

فالعقيدة اصطلاحاً : هي الأمور التي تصدق بها النفوس ، وتطمئن إليها القلوب ، وتكون يقيناً عند أصحابها ، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك<sup>(٢)</sup> .

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري : هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة ، يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثني عليها صدره ، جازماً بصحتها ، فاطعاً بوجودها وثبوتها ، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً<sup>(٣)</sup> .

فالعقيدة إذن أمورٌ قلبية تتبع منها تصرفات وسلوكيات صاحبها ، فهي ليست أموراً عملية ، ولكنها مظهرٌ لها .

وعقيدتنا الإسلامية تدور حول الإيمان بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، نستقي

إن العقيدة هي دائماً المحركة للإنسان ، فجميع تصرفات الإنسان ما هي إلا صورة لما يعتقد ، ولا يوجد إنسان بلا عقيدة ، سواء كانت تلك العقيدة حقاً أو باطلاً ، صحيحة أو فاسدة ، وقيمة الإنسان على قدر ما يؤمن به ؛ فشتان بين إنسان لا يؤبه له ولا وزن له لا اعتقاده في الخرافات والخزعبلات ، وبين إنسان يؤمن بالله العظيم ، فمن آمن بالله وارتبط به وحده سما وعزّ وارتفع ، ومن كفر هوى وضل وأخذ إلى الأرض والتصقت هامته بالتراب ، فما يستطيع أن يرفع رأساً بعد أن صار عبداً لكل حقيرٍ ودنيءٍ ! ولهذا جاءت جميع الشرائع تدعوه إلى عبادة الله وحده ليحرر من العبودية لغيره سبحانه ، وليتناغم من غير تشاؤم مع الكون بأسره الذي يُسبِّح بحمد مولاه .

فإنسان دائماً في حاجة ماسة وملحة إلى الإيمان والتدين ، لا غنى له عن ذلك ، فالإنسان بغير دين ولا إيمان لا قيمة له ولا جذور ، كسفينة فقدت ربابها ، ومزقت الرياح شراعها ، يحيط بها الموج من كل مكان ، يتلاعب بها ، وسرعان ما تهوى إلى الأعماق ! أو كرىشة في مهب الرياح ، لا تستقر على حال ، ولا تعرف لها وجه ، ولا تسكن إلى قرار ! إنه إنسان ضائع تائه ، لا اطمئنان عنده ولا سعادة ، بهرج زائل وزيف سرعان ما ينكشف وينقشع .. إنسان حائر قلق متبرم يعاني من الرعب والخوف والقلق والتمزق النفسي والإحساس بالضيق الذي لا يُخفف وطأته عليه وفرّة المال أو الجاه ، بل ولا نعيم الدنيا كله .. إنسان لا انسجام بينه وبين الحياة ، حيوانٌ شره أو سبع فاتك ، منكب على الشهوات والملذات ، يغترف منها بغير حساب ، فهو يعلم في قرارة نفسه أنه ليس له في الآخرة نصيب ، ولذا فما أشقى مجتمع فيه أمثال هؤلاء الأهباء الأقياء<sup>(٤)</sup>

## بقلم الشيخ / محمدي فاسم

رئيس لجنة الدعوة - فرع بلقاس

ولست أبالي حين أقتل مسلماً  
على أي جنب كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله ، وإن يشأ  
بيارك على أوصال شلوه ممزج  
إن عقيدة المؤمن عقيدة يقينية ثابتة مطمئنة ، لا  
زعزعة فيها ولا اضطراب ، ولا تهجس فيها  
الهُواجس .. عقيدة فذة - بين كل العقائد الفاسدة -  
فيها الحزم واليقين ، تؤثر ولا تتأثر ، تغير ولا تتغير ،  
تقتحم الأخطار ، وتزلزل الجبال ، وتنسف الشك  
والتردد .. بحر زخار لا يسمح للهوام الوضيعة أن  
تتوالد على سطحه .

فالمؤمن وحده هو صاحب يقين لا يزول ، وعقيدة  
لا تتحول ، كالجبل لا تزلزله العواصف ، وكالطود  
الشامخ لا ترحزحه السيول ، لا تلين عريكته ولا  
تخور عزيمته ، ولا يرتاب ولا يتردد ، ينشر الضياء  
من حوله ، فهو في يقينه في هذا العالم المضطرب  
من حوله كمصباح في غابة مظلمة ، ومنارة النور في  
بحر الظلمات ، والجزيرة التي يأوي إليها الحيارى  
اليانسون ، لا يحفل بالكاره له والمنقذ ، بل يمضي  
في طريقه كالسيف يشق طريقه إلى الجنة .

إن العقيدة الحية النشطة والمتحركة هي التي  
تصنع تاريخ الأمم العظيمة ، والإسلام هو الدين  
الأوحد الذي سُتقي منه هذه العقيدة ، ولا خلاص  
للإنسانية الحيرى من ظلمات العقائد الباطلة وضلالات  
المناهج المادية القاصرة إلا من خلال هذه العقيدة  
الفذة .

ذلك من كتاب الله ، عز وجل ، وسنة رسول الله ﷺ  
مما كان عليه صحابته الكرام وما أجمع عليه سلفنا  
الصالح أئمة هذا الدين الطائفة المنصورة المتبعين  
للآثار المحفوظة .

وهذه العقيدة هي حياة القلوب لا حياة لها إلا  
بها ، وبهذه العقيدة تتوحد القلوب وتتماسك وتجمع  
الأفراد على هدف واحد وغاية واحدة ، مما يؤدي إلى  
تماسك المجتمع واستقراره وانضباطه ، فيرتقي بذلك  
المجتمع ويتقدم لما يسود بين أفراده من حب وونام  
واتسجام ، ويصل إلى سعادة الدارين .

فلا بد أن نرجع إلى ديننا وعقيدتنا (( عقيدة  
التوحيد )) إن أردنا العز والسود ، فتلك العقيدة هي  
التي تعيد للإنسان إنسانيته وكرامته ، وتغرس في  
النفس معاني الحرية الحققة ؛ فيأبى الذل والخضوع إلا  
لله ، ويرفض أن يتخذ الطواغيت أرباباً من دون  
الله .

أنا إن عشتُ لست أعدم قوتاً  
وإذا متُ لست أعدم قبراً  
همتي همة الملوك ونفسي  
نفس حر ترى المذلة كفرة  
وإذا ما قنعت بالقوت عمري

فلماذا أخاف زيذا وعمراً  
تلك العقيدة التي تجعل المؤمن يشعر بسعادة ما  
بعدها سعادة ، وطمأنينة ما تعادلها طمأنينة .. فيشعر  
من خلال تلك العقيدة أنه يعيش في كنف الله ورعايته  
وحمايته ونصرته ، ينتظر إحدى الحسنين : إما  
النصر وإما الشهادة ، بل الموت في سبيل الله أسمى  
وأغلى أمانيه .

(١) الإقضاء : جمع فداء ، وهو ما يقع في العين من الأذى ، وفي الشراب والطعام من تراب وتين وغير ذلك .

(٢) انظر (( شرح العقيدة الطحاوية )) (ص ٦٩) .

(٣) انظر (( مجموع الرسائل )) (ص ٤٢٩) .

(٤) عقيدة المؤمن (ص ١٨) .

بقلم الشيخ :  
مجدي قاسم

## فقه الاختلاف

إن وقوع الخلاف بين البشر أمرٌ طبيعي ، وذلك نظرًا لاختلاف الألوان والألسنة والطباع والعقول والفهوم والمعارف والمدرجات ، ولذا كانت مشيئة الله أن يكون الخلاف والاختلاف بين البشر أمرًا واقعيًا ، قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٩] ؛ أي ﴿ لا يزالون مختلفين ﴾ في ملهم ونحلهم وعقائدهم وطرقهم وطرانقهم ، ﴿ إلا من رحم ربك ﴾ من أهل الملة الحنيفية : ملة الإسلام ، ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ ففريق في الجنة وفريق في السعير<sup>(١)</sup> ، فأهل الرحمة مستثنين من الاختلاف<sup>(٢)</sup> .

الخلاف الممدوح الذي يُثاب عليه المسلم .

وسنقصر حديثنا على الخلاف الواقع بين المسلمين بعضهم البعض ، فنقول وبالله التوفيق :

لا بد - بادئ ذي بدء - أن ننبه على أنه لا بد من الخروج من الخلاف ما أمكن ذلك ، أو على الأقل تضييق دائرته ، (( فالخلاف شر ))<sup>(١)</sup> ، وكما يقول النووي : ( فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف ، إذا لم يلزم منه إخلالٌ بسنةٍ أو وقوع في خلاف آخر )<sup>(٢)</sup> . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (( لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ))<sup>(٣)</sup> ، فاختلاف الظاهر يؤدي إلى اختلاف الباطن .

والخلاف ينقسم إلى قسمين : خلاف سائغ مقبول ، وخلاف مذموم .

في الجملة بدلائل الكتاب والسنة والإجماع والأثر والاعتبار ، فمخالفتهم في هديهم أمر مشروع : إما إيجابًا ، وإما استحبابًا بحسب المواضع<sup>(٣)</sup> ، ففي الشرع نهى صريح عن مشابهتهم والتشبه بهم ، و(( من تشبه بقوم فهو منهم ))<sup>(٤)</sup> ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة معلومة<sup>(٥)</sup> .

فالمسلم المخالف لأهل الشرك والبدع هو الممدوح المثاب ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم ﴾ [الحج : ١٩] ، إلى قوله تعالى : ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [الحج : ٢٣] ، فهذا من

فأله يمن على عباده المؤمنين بهدايتهم إلى الحق المبين ، كما قال تعالى : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ٢١٣] ؛ أي هداهم لما جاءت به الرسل فأقاموا على الأمر الأول قبل اختلاف الناس ، واعتزلوا الاختلاف<sup>(٦)</sup> .

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلي يقول : (( اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل . فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ))<sup>(٧)</sup> .

واليهود والنصارى وأهل الفسق والفجور والزندقة أمرٌ منهي عنه

فالخلاف المذموم : هو الخلاف الذي يناقضه نصٌ صحيح لا معارض له أو إجماع صريح لا منازعة في ثبوته ، فهو خلاف في القطعيات ومواضع الإجماع .  
قال الشافعي : ( كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيئاً لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه )<sup>(٩)</sup> .  
فالأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع ليس لأحد خروجٌ عنها البتة ، ولا أن يتركها بعد أن تستبين له تصبياً لقول أحد ، أو لغير ذلك من الأسباب ودون تعسف في التأويل أو تحجج بحجج واهية ، قال الشافعي : ( أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد ) ، وقال أبو حنيفة : ( لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه ) .  
وقال أبو حنيفة وأيضاً قاله الشافعي : ( إذا صح الحديث فهو مذهبي ) . وقال أحمد بن حنبل ( من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة )<sup>(١٠)</sup> .  
وقال مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك : ( ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم )<sup>(١١)</sup> .  
وقال ابن تيمية : ( من خالف الكتاب المستبين والسنة

المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يُعذر فيه ، فهذا يُعامل بما يُعامل به أهل البدع )<sup>(١٢)</sup> .  
وقال الشاطبي : ( وقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل ، والاعتماد على الرجال ، أقوامٌ خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين ، واتبعوا أهواءهم بغير علم ، فضلوا عن سواء السبيل ) .  
وقال أيضاً : ( إن تحكيم الرجال من غير الثقات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً ضلالٌ ، وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره )<sup>(١٣)</sup> .  
ولا يجوز الاختلاف في الكتاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (( إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب والسنة ))<sup>(١٤)</sup> . ولما رأى حذيفة بن اليمان أهل الشام وأهل العراق يختلفون في القرآن الاختلاف الذي نهى صلى الله عليه وسلم عنه ، قال لعثمان بن عفان : ( أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى )<sup>(١٥)</sup> .  
ولا يجوز أيضاً الاختلاف في مسائل العقائد والأصول التي كان عليها الصحابة والتابعون ، مثل قضية أسماء الله وصفاته وأفعاله ، فهذا خارج عن منهج الصحابة ؛ لأنهم جميعهم متفقون

على الإيمان بأسماء الله وصفاته من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ، فلم يرد عن واحد منهم خلاف ذلك )<sup>(١٦)</sup> .  
ويدخل في الاختلاف المذموم كلُّ اختلافٍ يُحرّكه الحسد والهوى ، وطلب الزعامة والوجاهة ، والتنافس على الدنيا ، ولا يكون أهله مخلصين في طلب الحق .  
فهذا الاختلاف شر كله ومذمومٌ أهله ، وحرماً فعله ، وأثم سالكه ، وعلى كل مسلم غيور حريص على دينه ، أن يحارب أصحاب هذا النوع ويناهضهم ، ويكشفهم للناس )<sup>(١٧)</sup> .  
أما الخلاف السائغ : فهو الذي يجري في موارد الاجتهاد وهي : كل ما لم يقم عليه دليل قاطع من نصٌ صحيح أو إجماع صريح ، وتكون أيضاً في المتشابهة<sup>(١٨)</sup> الذي يقبل تعدد الأفهام والتفسيرات ، ويكون ذلك في الفرع دون الأصول ، وفي الجزئيات دون الكليات .  
يقول الشاطبي : ( فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأظنار ومجالاً للظنون ، وقد ثبت عند النظر أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة ، فالظنيات عريضة في إمكان الاختلاف ، لكن في الفروع دون الأصول ، وفي الجزئيات دون الكليات ، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف )<sup>(١٩)</sup> .

ويقول الشافعي : ( وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياساً ، فذهب المتأول أو القاييس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس ، وإن خالفه فيه غيره ، لم أقل يَضِيقُ عليه ضيقَ الخلاف في المنصوص )<sup>(١٧)</sup> .

فلا نحجر على رأي له من النص مستند مع احترامنا رأي كل مجتهد<sup>(١٨)</sup> جاز آلة الاجتهاد<sup>(١٩)</sup> سواء كان مخطئاً أم مصيباً ، طالما كان دون تحمل حُجج واهية أو تعسف في التأويل ، فمن بذل وسعه في سبيل الوصول إلى الحق ولم يدخر جهداً في ذلك ، فقد أتى ما كلفه الله إياه ، ولو أخطأ الطريق .

ولقد جاءت الشريعة وفيها مسائل فيها أدلة قطعية محكمة ، ومسائل أخر ليس فيها ذلك ، فمجئها في الشريعة على هذا الوجه دليل الإذن بالاجتهاد فيها وأنها تتسع لأكثر من فهم وأكثر من تفسير ، وإلا لجعل الله تعالى فيها من قواطع الأدلة ما يرفع التشابه ويغني عن النظر ويمنع الاختلاف<sup>(٢٠)</sup> .

ولقد أجمعت الأمة بكل مذاهبها على مشروعية الاجتهاد ،

ومارسته بالفعل ، وكان من ثمراته هذه الثروة الفقهية العريضة<sup>(٢١)</sup> .

ولذا كان - وما زال - العلماء والفقهاء منذ عهد الصحابة - وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً - إلى يومنا هذا يختلفون في كثير من مسائل الأحكام<sup>(٢٢)</sup> ، بل ما اختلفوا فيه فوق الحصر .

يقول ابن تيمية : وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضب<sup>(٢٣)</sup> .

ولكن ليس كل خلاف يُعتد به وينظر فيه ، كما قيل :

ليس كلُّ خلافٍ جاء مُعْتَبِراً  
إلا خلافٌ له حظٌّ من النظرِ  
فلا يُعتد بالخلاف إذا كان :

١- خطأ مقطوع به في الشريعة يناقض نصاً صحيحاً أو إجماعاً صريحاً<sup>(٢٤)</sup> ، كما سبق بيانه .

٢- إذا جاء ممن لا يُعتد بخلافه ، كأهل الفرق الضالة والمبتدعة .

٣- إذا كان اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، فهذا في الحقيقة ليس بخلاف ، فكل واحد من المختلفين مصيب بلا تردد ، ولكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه ، وهذا الخلاف مثل :

أ- تنوع في العبارات والألفاظ ؛ فمنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر ، لكن العبارتان مختلفتان ؛ كتفسير الصراط المستقيم بأنه كتاب الله أو الإسلام أو الحق أو النبي صلى الله عليه وسلم ، وحاصلها يرجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول<sup>(٢٥)</sup> .

ومنه ما يكون المعنيان متغايرين لكن لا يتنافيان<sup>(٢٦)</sup> .

ب- تنوع الواجبات : فيجب على قوم الجهاد وعلى غيرهم الزكاة .

ج- تنوع المستحبات باختلاف القدرة والفعل والانتفاع بالفعل المستحب ، فالطريقة مشروعتان ، ولكن هؤلاء قد سلخوا هذه الطريق ، وآخرون قد سلخوا الأخرى<sup>(٢٧)</sup> .

وأكثر الاختلاف بين الأمة - الذي يورث الأهواء - تجده من هذا الضرب ، وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما هو عليه ، ولكنه يخطئ في نفي ما عليه الآخر<sup>(٢٨)</sup> ، بل ربما وصل الأمر إلى الاقتتال بينهما .

وإننا لله وإننا إليه راجعون .

(١) انظر : (( تفسير ابن كثير )) ( ٤٦٥/٢ ) .

(٢) انظر : (( اقتضاء الصراط المستقيم )) لابن تيمية ( ١٣٠/١ ) .

(\*) انظر : (( تفسير ابن كثير )) ( ٢٥٠/١ ) .

(\*\*) رواه مسلم ( ح ٧٧٠ ) .

(٣) انظر المصدر السابق ( ٤٢٢/١ ) .

- (٤) رواه أبو داود (ح ٤٠٣١) ، وأحمد (٥٠/٢) ، وانظر (( صحيح الجامع )) (ح ٦١٤٩) .
- (٥) انظر كتاب (( اقتضاء الصراط المستقيم )) ، فإنه نفيس في بابه .
- (٦) قد ورد هذا عن عبد الله بن مسعود .
- (٧) شرحه لمسلم (٢٣/٢) .
- (٨) رواه مسلم (ح ٤٣٢) .
- (٩) الرسالة (ص ٥٦٠) .
- (١٠) راجع الآثار التي وردت عن الأئمة الأربعة في ذلك في كتاب (( صفة صلاة النبي )) للألباني (ص ٢٣ - ٣١) ، و(( بدعة التعصب المذهبي )) لمحمد عيد عباسي (ص ٩٧ - ١٠٠) .
- (١١) رواه ابن عبد البر في (( بيان العلم )) (٩١/١) ، وانظر الموافقات للشاطبي (١٦٩/٤) ، وقد وردت أيضاً عن ابن عباس وأحمد بن حنبل . انظر هامش (( صفة الصلاة للألباني )) (ص ٢٧) .
- (١٢) (( مجموع الفتاوى )) (١٧٢/٢٤) .
- (\*) الاعتصام (٣٤٧/٢ ، ٣٥٥) نقلاً عن (( بدعة التعصب )) (ص ١٧٠) .
- (١٣) رواه مسلم (ح ٢٦٦٦) .
- (١٤) رواه البخاري (ح ٤٩٨٧) .
- (\*) انظر (( إعلام الموقعين )) (٤٩/١) ، و(( التقيين والإلزام )) لبكر أبو زيد (ص ٥٩) ، و(( الصحوة الإسلامية )) للعثيمين إعداد أبي لوز (ص ١٤٨ ، ١٤٩) .
- (\*\*) انظر ملحق كتاب (( بدعة التعصب )) (ص ٩) .
- (١٥) قال تعالى : ﴿ هو الذي أزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ﴾ [ آل عمران : ٧ ] ، والمتشابه : ما كان محتتم المعنى وغير منضبط المدلول ، والمحكم : البين المعنى الواضح الدلالة المحدد المفهوم .
- (١٦) الاعتصام (١٦٨/٢) .
- (١٧) الرسالة (ص ٥٦٠) .
- (١٨) والاجتهاد هو : بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط . قاله الشوكاني في (( إرشاد الفحول )) (ص ٢٥٠) ، ويجب أن يكون صادراً من أهله وفي محله ، فإن صدر عن غير أهله كان زيفاً سببه تحكيم الهوى واتباع المتشابه ومفارقة الجماعة . انظر (( الموافقات )) (١٧٤/٤) وما بعدها .
- (١٩) لا مجرد أن يحفظ الفروع الفقهية فقط ، وراجع (( بيان العلم )) لابن عبد البر (٤٣/٢ - ٤٩) باب (من يستحق أن يُسمى فقيهاً أو عالماً حقيقة لا مجازاً ومن يجوز له الفتيا عند العلماء) ، وراجع أيضاً (( إعلام الموقعين )) (١/٤٤) ، (٤٥) ، وقد اشترط أبو حامد الغزالي في كتابه (( المستصفى )) (ص ١٠١) للمجتهد بعد شرط العدالة : أن يكون محيطاً بمدارك الشرع متمكناً من استثارة الظن بالنظر فيها ، وهذا يكون بمعرفة المدارك المثمرة للأحكام ومعرفة كيفية الاستثمار ، ويكون ذلك كله بمعرفة علوم ثمانية هي : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل أو القياس ، ومعرفة أصول الفقه ، واللغة والنحو ، والناسخ والمنسوخ ، ومصطلح الحديث .
- (٢٠) انظر (( الاجتهاد )) ليوسف القرضاوي (ص ٦٥ ، ٦٦) .
- (٢١) المصدر السابق (ص ٧٨) .
- (٢٢) ولكنهم لم يتنازعوا في الأصول كمسائل الأسماء والصفات والأفعال ، كما سبق بيانه .
- (٢٣) (( مجموع الفتاوى )) (١٧٣/٢٤) .
- (٢٤) انظر (( الموافقات )) (٢١٤/٤) .
- (٢٥) انظر (( تفسير ابن كثير )) (٢٧/١ ، ٢٨) .
- (٢٦) انظر (( اقتضاء الصراط المستقيم )) (١٣٣/١) .
- (٢٧) انظر المصدر السابق ، و(( الموافقات )) (٢٢١/٤ ، ٢٢٢) .
- (٢٨) انظر (( الاقتضاء )) (١٢٨/١ ، ١٢٩) .



# فقه الاختلاف

## الحلقة الثانية

بقلم الشيخ :

مجدي قاسم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد : فلقد تحدثنا في العدد الماضي عن وقوع الخلاف بين البشر، وأن المسلم المخالف لأهل الشرك هو الممدوح المثاب، ثم تحدثنا عن الخلاف الواقع بين المسلمين، وأنه ينقسم إلى : خلاف سائغ مقبول، وخلاف مذموم، وتحدثنا أيضاً عن ما لا يُعتد به الخلاف.. ثم نكمل ما بدأناه في العدد الماضي، فنقول وبالله تعالى التوفيق :

٢- اختلاف في أمور تنازع فيها الصحابة وأقر كل فريق الفريق الآخر على العمل باجتهاده كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة، وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

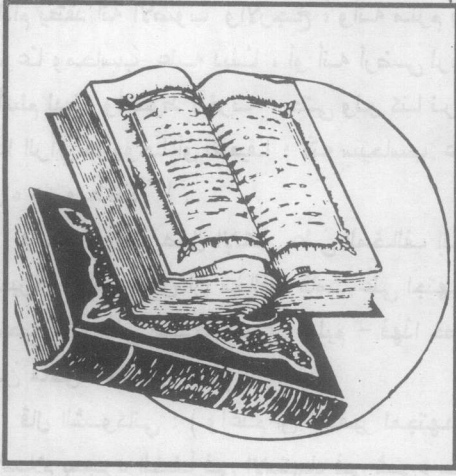
على أنه يجب التنبيه على أن ما اختلف فيه الصحابة لا يعني إيجاد آراء أخرى، فإذا كان لهم رأيان لا نأتي برأي ثالث، بل نقول : قد أجمعوا على أن هذه المسألة ليس فيها إلا رأيان، فلا نخرج على خلافهم<sup>(٤)</sup>.

فلاجتهاد أمر مشروع، والاختلاف بين المجتهدين أمر وارد<sup>(٥)</sup>، والمصيب منهم له أجران، والمخطأ له أجر واحد، كما قال رسول الله ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر »<sup>(٦)</sup>. قال الشافعي : ( يؤجر - أي المخطئ - ولكنه لا يؤجر على الخطأ ؛ لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد، وإنما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه )<sup>(٧)</sup> أي : إنما أجر في نيته لا في خطئه، كما قال المُرَني، فهو قد أدى ما عليه .

أما اختلاف التضاد ؛ وهو القولان المتنافيان، فمنه ما ثبت تسويغ العمل به إما بالقرآن، أو السنة، أو تقرير الصحابة، كماختلفهم في مسائل في العبادات والمناكح والمواريث .. إلخ .

### فاختلاف التضاد السائغ مثل :

١- اختلاف في اجتهاد الصحابة جاء في القرآن أو السنة إقرارهم عليه وساغ لهم العمل به ؛ كاجتهادهم في قطع اللينة وتركها، كما في قوله تعالى ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ [ الحشر : ٥ ]، وقد كان الصحابة في حصار بني النضير اختلفوا في قطع الأشجار والنخيل، ومثل اجتهادهم في صلاة العصر في بني قريظة، حيث قال لهم النبي ﷺ : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة »<sup>(٨)</sup>، فصلى بعض الصحابة في الطريق الصلاة في وقتها، وأخرها آخرون حتى وصلوا إلى بني قريظة فصلوها بعد فوات وقتها، فأقرهم الرسول ﷺ جميعاً، فكما أن الصحابة لم يتفرقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم الحديث، فكذلك يجب ألا تتفرق<sup>(٩)</sup>، ويسعنا ما وسعهم .



قال ابن تيمية : ( فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ ، فإن الله يغفر له خطأه كأنما ما كان ، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية ، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أمة الإسلام )<sup>(٨)</sup> .

والمسلم مأمور باتباع ما بان له من الحق بالدليل الشرعي ، وليس لأحدهما أن يوجب على الآخر طاعته<sup>(٩)</sup> ، ولو أنني ألزمتُ أحداً أن يأخذ بقولي ، لكان إلزامي إياه بذلك ليس أولى بإلزامه إياي أن آخذ بقوله<sup>(١٠)</sup> .

فلا يتعصب أحد لقول من الأقوال ويحمل الناس عليه وينكر على من أخذ بقول آخر ، بل يصل الأمر إلى معاداته وهجره .

عن يحيى بن سعيد قال : ( ما برح أولو الفتوى يفتنون فيحلّ هذا ويحرّم هذا ، فلا يرى المحرّم أن المحلّ هلك لتحليله ، ولا يرى المحلّ المحرّم هلك لتحريمه )<sup>(١١)</sup> .

وقد ورد أن أبا جعفر المنصور - وفي رواية : ابنه المهدي ، وفي رواية أخرى : حفيده هارون الرشيد - طلب من الإمام مالك أن يجمع الناس على ما في كتابه (( الموطأ )) ، فأبى ونهاه عن ذلك<sup>(١٢)</sup> .

ويقول ابن تيمية : ( وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ، ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا إخوة )<sup>(١٣)</sup> .

والذي عليه العلماء : عدم الإنكار في الأمور الاجتهادية المختلف فيها .

قال سفيان الثوري : ( إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه ، وأنت ترى غيره فلا تنهه )<sup>(١٤)</sup> .

وقال ابن قدامة : ( إنه لا ينبغي لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه ، فإنه لا إنكار في المجتهدات )<sup>(١٥)</sup> .

وقال النووي : ( العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه ، وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه )<sup>(١٦)</sup> .

وقال أيضاً : ( وكذلك قالوا : ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً )<sup>(١٧)</sup> .

وقال ابن رجب الحنبلي : ( والمنكر الذي يجب إنكاره ما كان مجمعاً عليه ، فأما المختلف فيه ؛ فمن أصحابنا من قال : لا يجب إنكاره على من فعل مجتهداً أو مقلداً لمجتهد تقليداً سائغاً )<sup>(١٨)</sup> .

وقال ابن مفلح : ( ولا إنكار فيما يسوغ فيه خلاف من الفروع على من اجتهد فيه أو قلّد مجتهداً فيه )<sup>(١٩)</sup> . ذكره القاضي والأصحاب ، وصرحوا بأنه لا يجوز<sup>(٢٠)</sup> .

وقال القاضي أبو يعلى وأيضاً الماوردي : ( وأما اختلاف الفقهاء في حظره وإباحته فلا مدخل له في إنكاره ، إلا أن يكون مما ضعف فيه الخلاف ، وكان ذريعة إلى محذور متفق عليه )<sup>(٢١)</sup> .

وللمسلم الحق في أن يختار رأياً من الآراء ، مادام يعتقد أنه الأصوب والأرجح ، وأنه ملزم به شرعاً ومحاسب عليه ديناً ، أو أنه أرضى لربه وأسلم لدينه وأحوط لآخرته ، حتى ولو كنا نرى هذا الرأي مرجوحاً أو ضعيفاً ؛ لأنه سيحاسب عما يراه هو ويعتقده<sup>(٢٢)</sup> .

فما بالكم أن يصل الإنكار على المخالف إلى تكفيره - بالرغم من أن مخالفته قامت على اجتهاد صحيح قائم على استدلال شرعي سليم - فهذا خطأ بين مأخوذ عن أهل البدع .

قال الشوكاني : ( واعلم أن التكفير لمجتهد في الإسلام بمجرد الخطأ في الاجتهاد في شيء من مسائل العقل عقبة كنود لا يصعد إليها إلا من لا يبالي بدينه ولا يحرص عليه ؛ لأنه مبني على شفا جرف هار ، وعلى ظلمات بعضها فوق بعض ، وغالب القول به ناشئ عن العصبية ، وبعضه ناشئ عن شبه واهية ليست من الحجة في شيء ، ولا يحل التمسك بها في أيسر أمر من أمور الدين ، فضلاً عن هذا الأمر الذي هو مزلة الأقدام ومدحضة كثير من علماء الإسلام - إلى أن قال :- فإن ذلك دعوى باطلة مترتبة على شبهة داحضة )<sup>(٢٣)</sup> .

فالخلاف في الرأي لا يجوز أن يكون سبباً للفرقة والشقاق ، وأن يصير المسلمون شيعاً وأحزاباً<sup>(٢٤)</sup> ، ولا يستدعي هذا الخلاف التحامل على المخالف أو التشنيع عليه ، أو الانتقاص منه ، أو غييبته ، أو تجريحه ، أو تسفيهه وتتبع زلاته وعثراته ، أو إصاق التهم به للنيل منه<sup>(٢٥)</sup> .

يقول ابن تيمية : ( وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعا في الأمر ، اتبعوا أمر الله تعالى في قوله : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [ النساء : ٥٩ ] ، وكانوا يتناظرون في

المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة ، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية ، مع بقاء الألفة والعصمة وإخوة الدين )<sup>(٢٦)</sup> .

وكل ذلك بشرط عدم الخروج على نصوص وقواعد الشريعة ، وأن يكون أصحابه مخلصين في طلب الحق ، باذلين الجهد لبلوغه بصدق وإنصاف ودون تعصب لشيء إلا للحق<sup>(٢٧)</sup> ، مع الأخذ في الاعتبار ضوابط إنكار المنكر في مسائل الخلاف ، وضوابط الولاء والبراء ، مع التحذير من خطر البدع وخطر التفرق .

### والأحكام أنواع ثلاثة :

**النوع الأول :** حكم لله أو للرسول ﷺ أو إجماع ، فلا يجوز الخروج أو العدول عن هذا الحكم .

**النوع الثاني :** حكم مضاد لله أو للرسول ﷺ أو للإجماع ، فهذا لا يجوز ، وهو الحكم بغير ما أنزل الله ، مع التنبيه للفرق بين رفض الحكم بما أنزل الله ، وبين من يحكم بغير ما أنزل الله جهلاً ، أو متأولاً أو مرتشياً ، فالأخير حكمه حكم السارق والزاني وشارب الخمر ، أما من يجعل حكمه شرعاً بديلاً عن شرع الله مظاهياً لشرع الله ، أو يفضله عن شرع الله فهذا يحكم بكفره .

### مع العلم أن للمحكم أن يتصرف في :

أ- المصالح المرسلّة التي لم يرد فيها نصّ بما يحقق المصلحة العامة .

ب- الأمور المتغيرة التي تتغير بتغير الأحوال التي للاجتهاد فيها نصيب ، والتي وردت فيها نصوص عامة .

**النوع الثالث :** حكم قد اجتهد فيه العلماء ، فلنا أن نأخذ بقول منها إذا بان لنا الدليل عليه ، ولا يجوز الأخذ بما لا نعتقده<sup>(٢٨)</sup> ، ف (( لا ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهب ، ولا يشدد عليهم )) . كما قال الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٢٩)</sup> .

وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله .

- (١) رواه البخاري (ح ٩٤٦) ، ومسلم (ح ١٧٧٠) .
- (٢) قاله الشيخ العثيمين في (( الصحوة الإسلامية )) (ص ١١٤) .
- (٣) انظر (( مجموع الفتاوى )) (١٢٢/١٩) .
- (٤) انظر المصدر السابق (٣٦١/١٣ ، ٣٦٢) .
- (٥) وهو كاختلاف الشرائع بين الأنبياء ، مع الفارق ، انظر المصدر السابق (١١٦/١٩ - ١٢١) .
- (٦) رواه البخاري (ح ٧٣٥٢) ، ومسلم (ح ١٧١٦) .
- (٧) كما في (( بيان العلم )) لابن عبد البر (٧٢/٢) .
- (٨) (( مجموع الفتاوى )) (٢٤٦/٢٣) .
- (٩) كما في (( مجموع الفتاوى )) (١٢٤/١٩) .
- (١٠) انظر : (( الصحوة الإسلامية )) للعثيمين (ص ١١٥) .
- (١١) رواه ابن عبد البر في (( بيان العلم )) (٨٠/٢) .
- (١٢) انظر : (( كشف المغطاء )) لابن عساكر (ص ٤٧ ، ٤٨) ، و(( الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء )) لابن عبد البر (ص ٤٠ ، ٤١) ، و(( حلية الأولياء )) (٣٣٢/٦) ، نقلًا عن (( التقيين والإلزام )) لبكر أبو زيد (ص ١٥ - ١٧) ، وانظر (( بدعة التعصب )) (ص ٩٧) .
- (١٣) (( مجموع الفتاوى )) (١٧٣/٢٤) .
- (١٤) (( الحلية )) لأبي نعيم (٣٨٦/٦) .
- (١٥) المصدر السابق (١٦٦/١) .
- (١٦) شرحه لمسلم (٢٣/٢) ، ونقله ابن مفلح في (( الآداب الشرعية )) (١٧٠/١) .
- (١٧) شرحه لمسلم (٢٤/٢) .
- (١٨) (( جامع العلوم والحكم )) (ص ٣٠٦) .
- (١٩) (( الآداب الشرعية )) (١٦٦/١) .
- (٢٠) المقصود بالأصحاب ؛ أي الحنابلة ، والقاضي هو أبو يعلى الفراء ، كما سيأتي قوله .
- (٢١) (( الأحكام السلطانية )) لأبي يعلى (ص ٢٩٧) ، و(( الأحكام السلطانية )) للمواردي (ص ٢٥٣) .
- (٢٢) انظر (( الصحوة الإسلامية )) للشيخ العثيمين (ص ٣٦ ، ٣٧) .
- (٢٣) (( إرشاد الفحول )) (ص ٢٦٠) .
- (٢٤) انظر (( الموافقات )) (٢٢١/٤) .
- (٢٥) انظر المصدر السابق (١٧٠/٤) وما بعدها .
- (٢٦) (( مجموع الفتاوى )) (١٧٢/٢٤) .
- (٢٧) انظر ملحق كتاب (( بدعة التعصب )) (ص ٨) .
- (٢٨) انظر (( الموافقات )) (١٣٢/٤) ، وما بعدها .
- (٢٩) في رواية المروزي ، انظر (( الآداب الشرعية )) لابن مفلح (١٦٦/١) .

# فقه الاختلاف

## الحلقة الأخيرة

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

تحدثنا في العديدين الماضين عن الخلاف السائغ والخلاف غير السائغ ، وبيننا الفرق بين اختلاف التباین والتنوع واختلاف التضاد ، وتحدثنا عن اختلاف التضاد السائغ ، كما بينا ما عليه العلماء من عدم الإنكار في الأمور الاجتهادية المختلف فيها ، وأن الخلاف في الرأي لا يجوز أن يكون سبباً للفرقة ، كل ذلك بشرط عدم الخروج على نصوص وقواعد الشريعة .

د- الاجتهاد مصدر هام من مصادر الشريعة الإسلامية ، وهو ضروري جدا لبقائها وحياتها واستمرارها ؛ لأنها الشريعة الخاتمة إلى قيام الساعة ؛ ولذا جاء فيها من الأصول والأحكام ما يجعلها قادرة على أن تفي بجميع حاجات الإنسان في كل زمان ومكان ، بالرغم من أن حوادث الحياة كثيرة متجددة غير محصورة ، بينما نصوص الشريعة محصورة ، فخصها الله بالعموم والشمول ، وجعل فيها عوامل السعة والمرونة ، وشرع الله للمسلمين الاجتهاد يستنبطون بواسطته الأحكام من الشريعة وقواعدها العامة ، فأوجد الله فيه مجالاً رحباً لمواجهة كل مستحدث دون تفريط في حدود الله ولا تضييع لحقوق الإنسان<sup>(٢)</sup> .

هـ- الرجوع في مسائل الخلاف إلى ما أرشد الله إليه ، في قوله تعالى : { فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول } [ النساء : ٥٩ ] ، وفي قوله : { وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله } [ الشورى : ١٠ ] .

فلا بد من رد مسائل الخلاف إلى الله ورسوله ، فإذا ظهر الدليل اتبعناه أياً كان قائله ، ويدخل في هذا الباب :

و- وجوب إعادة النظر في المسائل الفقهية المختلف فيها ، وترك الآراء التي ثبتت بطلانها

وحول هذه القضية نكمل ما بدأناه ، فنقول وبالله التوفيق : يجب ضرورة التنبيه إلى :

أ- الاختلاف - في اللغة - مصدر الفعل : اختلف ، وتخالف الأمران واختلفا ؛ لم يتفقا ، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف .

والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله ، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع ، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة .

ونبه على أنه : ليس كل مختلفين ضدين ؛ لأن الخلاف أعم من الضد ، ولكن كل ضدين مختلفان ، فكل متضاد مختلف ، وليس كل مختلف متضاداً - كما أوضحنا ذلك فيما سبق - وبيننا أن ليس كله مذموماً<sup>(١)</sup> .

ب- لا بد من نشر روح المحبة والتسامح وتحسين الظن بين المسلمين ، وتعريف الناس فقه الخلاف وآدابه ، ولا بد من (( التناصر والتكاتف ضد العدو المشترك والأفكار التي تناقض دعوتهم وتسعى لاقتلاعها من الجذور ))<sup>(٢)</sup> .

ج- الاستفادة من آراء جميع الأمة والمجتهدين وعلومهم ، وتعريف الناس بمكانة هؤلاء الأئمة وعلو قدرهم وجليل أعمالهم وعظيم جهودهم .

وضعفها لمخالفتها تصوص صحيحة ، وطرح ما كان مبنيا منها على قياس فاسد ، أو تأويل بعيد ، أو عدم اطلاع على الحديث ، أو عدم صحته ، وأشبهه ذلك مما أخطأ فيه بعض الفقهاء<sup>(٤)</sup> ، وهم معذورون مأجورون ، كما أوضحنا<sup>(٥)</sup> ، لكن لا عذر لمن عرف الحق من بعدهم وحاد عنه واطرح الدليل تعصبا أو هوى ! ويدخل في هذا الباب :

ز - عدم تتبع زلات العلماء العلمية والشذوذات الفقهية ، وهو وإن كان على ظهر قصد من العلم ولا تعمد ، وصاحبه معذور ومأجور ، ولكن ينبغي ألا يتبع في ذلك ، ففيه خطر عظيم<sup>(٦)</sup> .

قال سليمان التيمي : (( إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله ))<sup>(٧)</sup> .

وقال سليمان لابنه المعتمر : (( أي بني ، إن أخذت بشر ما في الحسن - أي البصري - وبشر ما في ابن سيرين اجتمع فيك الشر كله ))<sup>(٨)</sup> .

وقال معمر بن راشد : (( لو أن رجلا أخذ يقول أهل المدينة في السماع وإتيان النساء في أدبارهن ، ويقول أهل مكة في المتعة والصرف ، ويقول أهل الكوفة في المسكر ، كان أشد عبادة لله )) .

وقال الأوزاعي : (( من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام )) . وقال الإمام أحمد : (( لو أن رجلا عمل بقول أهل الكوفة في التبيذ ، وأهل المدينة في السماع ، وأهل مكة في المتعة كان فاسقا )) .

وقال القاضي إسماعيل : (( دخلت يوما على المعتضد ، فدفعت إلي كتابا فقرأته ، فإذا فيه الرخص من زلل العلماء ، وقد جمعها بعض الناس ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما جمع هذا زنديق ، فقال : كيف ؟ فقلت : إن من أباح المتعة لم يبيح الغناء ، ومن أباح الغناء لم يبيح إضافته إلى آلات اللهو ، ومن جمع زلل العلماء ، ثم أخذ بها ، ذهب دينه ، فأمر بتحريق الكتاب ))<sup>(٩)</sup> . وقد سبق نقل قول مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك بن أنس : (( ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ ))<sup>(١٠)</sup> .

وقال ابن عبد البر : (( هذا إجماع لا أعلم فيه خلافا ))<sup>(١١)</sup> .

وعن ابن عباس ، رضي الله عنه ، قال : (( ويلى للأتباع من عثرات العالم ، قيل : كيف ذلك ؟ قال : يقول العالم شيئا برأيه ، ثم يجد من أعلم برسول ﷺ منه ، فيترك قوله ثم يمضي الأتباع ))<sup>(١٢)</sup> .

أما حكم من أخذ من كل مذهب ما هو الأخف والأسهل ، فقال أحمد والمرزوقي : يفسق ، وقال الأوزاعي : من أخذ بنوادر العلماء خرج عن الإسلام .

ونقل ابن حزم الإجماع على تفسيق متبوع الرخص<sup>(١٣)</sup> .

ولا ندعي أنه أخذ باليسر وألا يشدد الإنسان على نفسه فيشدد الله عليه .

ولقول عائشة ، رضي الله عنها : (( ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ))<sup>(١٤)</sup> .

فهذا يكون في أمور الدنيا ، فقولها ، رضي الله عنها : (( ما لم يكن إثما )) دل هذا على أن المقصود بقولها : (( بين أمرين )) أي من أمور الدنيا ؛ لأن أمور الدين لا إثم فيها<sup>(١٥)</sup> .

من هنا يتبين لنا مدى الشر في قول القائل : (( كل مسألة ثبت لأحد من العلماء فيها القول بالجواز ، شذ عن الجماعة أو لا ، فالمسألة جائزة ))<sup>(١٦)</sup> . ويدخل في هذا الباب :

ح - عدم تلفيق المذاهب على وجه يخرق إجماعهم<sup>(١٧)</sup> ، مع ما في هذا التلفيق من مفاصد ، كمن تزوج بلا صداق ولا ولي ولا شهود<sup>(١٨)</sup> .

وأیضا عدم تلفيق صورة لم ترد في السنة ؛ كأن ترد في السنة صورتان للعمل ، فيلحق منهما صورة ثالثة لم ترد ، مثال ذلك : ورد في السنة وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة ، وورد أحيانا القبض ، فتأليف صورة ثالثة تجمع بين الوضع والقبض : بدعة<sup>(١٩)</sup> .

ط- عدم التعصب لقول فقيهه وتقليده ، سواء أخطأ أم أصاب ، حتى يصل الأمر إلى رد الدليل الواضح الذي يناقض قول هذا الفقيه ، ومن هنا نرى مدى بشاعة قول أبي الحسن عبيد الله بن الحسن الكرخي رئيس الحنفية بالعراق في القرن الرابع الهجري الذي قال في أصوله : (( الأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها محمولة على النسخ أو على الترجيح ، والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق ، الأصل أن كل خبر يجيء بخلاف قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله ، ثم صار إلى دليل آخر ، أو ترجيح بما يحتج به أصحابنا من وجوه الترجيح ، أو يحمل على التوفيق )) !!  
وصدق من قال :

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة

بين الرسول وبين قول فقيهه

وما أجل تلامذة الأئمة الذين أخذوا العلم عنهم والذين خالفوهم في زمنهم في كثير من المسائل دون تكبير على ذلك ، حتى إن المسائل التي خالف فيها أبا حنيفة تلميذاه أبو يوسف ومحمد بن الحسن تعدل ثلث المذهب أو أكثر (٢٠) .

ي- عذر المخالف في الفرع لا في الأصول ، فإن للخلاف الواقع بين حملة الشريعة أسبابا أخذ كل بما بان له أنه الحق وما ابتغى إلا الوصول إلى الحق ، ولكن هذا العذر لا يكون في الأصول ، فإن الصحابة والتابعين لم يختلفوا في ذلك إلا القليل ، وانقرضت القرون المفضلة ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر أخيرا في العقائد ، فالمسائل التي وجد فيها الخلاف في عهد الصحابة يعذر بعضها بعضا فيها ، وما لم يختلفوا فيه فلا عذر (٢١) .

ك- عدم اتباع الهوى ، كما قال تعالى : { وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم } [ المائدة : ٤٩ ] ، وقال تعالى : { يا داود إنا جعلناك

خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله } [ ص : ٢٦ ] .

فصاحب الهوى يعنيه هواه ويضله عما يرضي الله ورسوله (٢٢) .

ويؤدي ذلك إلى عدم الرجوع إلى الحق عند ظهوره ، قال تعالى عن المشركين : { فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم } [ القصص : ٥٠ ] .

ل- الدعوة لما نعتقد صحته بالحكمة والموعظة الحسنة بإظهار الأدلة وإبطال ما يناقضها (٢٣) .

يقول ابن تيمية ، رحمه الله (٢٤) : (( وقولهم : ومسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح ، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول بالحكم أو العمل ، أما الأول : فإن كان القول يخالف سنة أو إجماعا قديما ، وجب إنكاره وفاقا ، وإن لم يكن كذلك فإنه ينكر ، بمعنى بيان ضعفه عند من يقول : المصيب واحد ، وهم عامة السلف والفقهاء ، وأما العمل : إذا كان على خلاف سنة أو إجماع ، وجب إنكاره أيضا بحسب درجات الإنكار )) (٢٥) .

م- عدم الجدال والمرء واتباع الحق حال ظهوره ، فقد قال رسول الله ﷺ : (( أنا زعيم بيتي في رياض الجنة )) لمن ترك المرء وإن كان محقا )) (٢٦) .

وقال رسول الله ﷺ : (( ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل )) . ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : { ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون } [ الزخرف : ٥٨ ] (٢٨) .

وبعد : فيجب ألا تضيق الصدور باصطرار العقول ، ولا أن تتنافر القلوب ، ولا أن يتسلل إليها غبار جرح من جراء ذلك ، وعلى الأمة أن تأتلف كتابها المختلفة ، وتلتقي جميعها في خندق واحد ، ترابط حوله ، وترمي دونه .

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى

خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا  
وإذا افترقن تكسرت أفرادا  
ن- مصاحبة الإخلاص في طلب الحق ؛ فلا يكون  
طلبه إلا لله وحده ، يبتغي بذلك القرب من الله ،  
متعرضا لما عنده من رضوان ، راجيا ما لديه من  
ثواب وفضل ، قاصدا بطلبه هذا الوصول إلى الحق ،

ولا شيء غير الحق ، والعمل به ، والدعوة إليه .. لا  
أن يقصد مباحة الأقران وتصدر المجالس والارتفاع  
في أعين الناس ، وصرف وجوه الناس إليه ،  
وتعظيمهم له ، فيستبدل به الأدنى بالذي هو خير<sup>(٢٩)</sup> .  
هذا ، وبالله التوفيق ومنه العون والستاد .

- (١) راجع في ذلك المعاجم اللغوية ، كـ « لسان العرب » ، و« تاج العروس » ، وأيضا « المفردات » للراغب ، و« الفروق اللغوية » لأبي هلال العسكري .
- (٢) انظر ملحق كتاب « بدعة التعصب » (ص ٨ ، ٩) .
- (٣) انظر « بدعة التعصب المذهبي » (ص ١٥ ، ٢٤) ، و« الاجتهاد » ليوسف القرضاوي (ص ٦) .
- (٥) راجع كتاب « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » لابن تيمية ، فإنه نفيس في بابه .
- (٤) ولكنهم ليسوا معصومين ، فليس ليشر عصمة إلا الأنبياء ، فكل عالم يخطئ ويصيب ، ويؤخذ من قوله ويترك ، كما قالوا ذلك ، وقد سبق نقل بعضه .
- (٦) انظر « الموافقات » (١٧٠/٤) .
- (٧) رواه ابن عبد البر في « بيان العلم » (٩٢ ، ٩١/٢) .
- (٨) « الموافقات » (١٦٩/٤) .
- (٩) انظر تلك الآثار في كتاب « زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء » لجاسم الدوسري . و« علو الهمة » لأخيना سيد العفاني (١٦٦/١) .
- (١٠) « بيان العلم » (٩١/١) ، و« الموافقات » (١٦٩/٤) .
- (١١) « بيان العلم » (٩٢/٢) .
- (١٢) « الموافقات » (١٦٩/٤) .
- (١٣) قلت : أو يتغير اجتهاده مثلما غير الشافعي ، رحمه الله ، مذهبه جملة بعد انتقاله من العراق إلى مصر ، فيقال : قال الشافعي في القديم كذا ، وقال الشافعي في الجديد كذا .
- (١٤) كما في هامش « الموافقات » (١٤٤/٤) .
- (١٥) رواه البخاري (ح ٣٥٦) ، ومواضع ، ومسلم (ح ٢٣٢٧) .
- (١٦) انظر هذا القول في « الاعتصام » (٣٤٧/٢ : ٣٦٢) ، و« بدعة التعصب » (ص ١٧١) .
- (١٧) « الموافقات » (١٤٨ ، ١٤٧/٤) .
- (١٨) انظر « صفة الصلاة » (ص ١٠٧) .
- (١٩) انظر « صفة الصلاة » (ص ١٠٧) .
- (٢٠) انظر « صفة الصلاة » (ص ١٠٧) .
- (٢١) حصر البعض أسباب الخلاف في ثمانية أسباب ، انظر « الموافقات » (٢١١/٤ - ٢١٤) ، وراجع أسباب الخلاف الذي نشأ بين الفقهاء في الكتب التالية : « الإنصاف في التنبية على أسباب الخلاف » للبطيوسي الأندلسي ، و« الإنصاف في أسباب الخلاف » لولي الله الدهلوي . و« محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء » لعلي الخفيف ، و« أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء » لمصطفى سعيد الحن .
- (٢٢) انظر « منهاج السنة » لابن تيمية (٢٥٦/٥) .
- (٢٣) انظر « الصحوة الإسلامية » للعظيمين (ص ١٤٧ ، ١٤٨) ، وقد سنل (ص ١٧١) : ما رأيكم فيمن يقول : تجتمع فيما اتفقنا فيه . ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ؟ فأجاب - حفظه الله - : رأينا في هذه الكلمة أن فيها إجمالا : أما تجتمع فيما اتفقنا فيه فهذا حق . وأما يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، فهذا فيه تفصيل . فما كان الاجتهاد فيه سائغا فإنه يعذر بعضنا بعضا فيه . ولكن لا يجوز أن تختلف القلوب من أجل هذا الخلاف . وأما إن كان الاجتهاد غير سائغ ، فإننا لا نعذر من خالف فيه ، ويجب أن يخضع للحق . فأول العبارة صحيح . وأما آخرها فيحتاج إلى تفصيل . اهـ . (٢٤) « الفتاوى الكبرى » (١٨١/٣) ، ونقله عنه ابن مفلح في « الآداب الشرعية » (١٦٩/١) .
- (٢٥) انظر « إعلام الموقعين » (٣٠٠/٣) ، و« الموافقات » (١٦٧/٤) . (٢٦) أي ما حولها .
- (٢٧) رواه أبو داود (ح ٤٨٠٠) وغيره ، وحسنه الألباني بطرقه في « الصحيحة » (ح ٢٧٣) ، وانظر « صحيح الترغيب » (ص ٦٠) .
- (٢٨) رواه الترمذي (ح ٣٢٤٨) ، وابن ماجه (ح ٤٨) ، وغيرها ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (ص ٦١) .
- (٢٩) انظر « تذكرة السامع والمتكلم » (ص ٦٨) .



إن المسلم عيدٌ لله في كل وقت وحال ، يتقلب في وظائف العبودية لله ، وما من شهر أو موسم إلا والله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعته ، يتقرب بها إليه ، والسعيد من اختتم مواسم الشهور والأيام والساعات ، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات ، فعسى أن تصيبه نعمة من النفحات فيصل إلى السعادة في الدارين .

ولما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها شهر رجب الحرام ، وآخرها شهر الصيام والقرآن ، أقبلت بعدها أشهر الحج إلى بيت الله الحرام ، فمن فاتته المغفرة من صيام رمضان وقيامه ، فليستدرك ذلك بالدمج إلى البيت الحرام ، ف« مَنْ حجَّ لله فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . [رواه البخاري (ح ١٥٢١) ، ومواضع ، ومسلم (ح ١٣٥٠) ] .

وشهر سؤال<sup>(١)</sup> هو أول شهور الحج ، ويبدأ بعيد الفطر المبارك ، ويستقبله المسلمون بصدقة الفطر التي هي طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وإظهار شكر نعمة الله بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه .

ويومُ العيد هو يوم الفرح والسرور - لمن صام رمضان لله بحق - حيث يرجع الصائمون يومَ الفطر مغفوراً لهم ، قد نالوا ثواب الصيام والقيام ، فمن فاتته المغفرة فليس له عيد ، بل هو مطرودٌ بعيد ! فليس اعيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن طاعته تزيد ، ليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب ، إنما العيد لمن غُفرت له الذنوب !

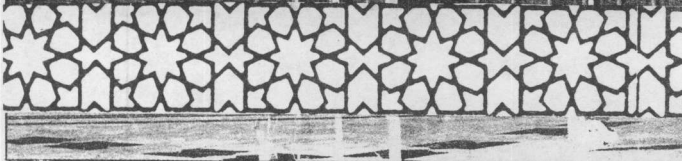
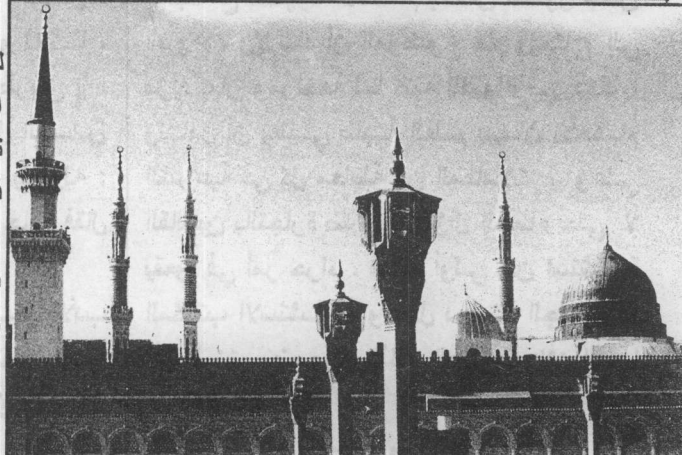
(كان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر ، فيقال له : إنه يوم فرح وسرور ، فيقول : صدقتم ، ولكنني عيدٌ أمرني مولاي أن أعمل له عملاً ، فلا أدري أيقبله مني أم لا ؟! رأى وهيب بن الورد

# ماذا

# بعد

# رمضان؟<sup>(١)</sup>

بقلم الشيخ / مجدي قاسم



قوماً يضحكون في يوم عيد ، فقال : إن كان هؤلاء تُقبل منهم صيامهم ، فما هذا فعلُ الشاكرين ، وإن كانوا لم يُقبل منهم صيامهم فما هذا فعلُ الخائفين .

وعن الحسن قال : إن الله جعل شهر رمضان مضمار خلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق قومٌ ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبتلون<sup>(٣)</sup> .

فالصالحون يعملون الصالحات وهم على خوف ووجل ، فقد سألت عائشة ، رضي الله عنها ، رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ [ المؤمنون : ٦٠ ] ، فقالت : أ هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ فقال ﷺ : (( لا يا بنت الصديق ! ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ؛ أولئك الذين يسارعون في الخيرات )) .

[ رواء الترمذي وابن ماجه والحاكم ، وفي سنده انقطا - أقوى برواية الطبري (٣٤/١٨) ، انظر كتابنا (( بقاء الصحابة )) (ص ١٧ ، ٢٤) ] .

قال عبد العزيز بن أبي رواد : ( أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع عليهم اللهم أيقبل منهم أم لا ؟ ) .

وقال مالك بن دينار : ( الخوف على العمل أن لا يُقبل أشد من العمل ) .

وقال معلى بن الفضل : ( كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم ) .

وقال يحيى بن كثير : ( كان من دعائهم : اللهم سلمني إلى رمضان ، وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني متقبلاً ) .

● فعلى من صام رمضان كما أمره الله :

١ - يستغفر الله من تقصيره في طاعته ، فالعمل لا يخلو من قصور ، ولذا كان النبي ﷺ يستغفر ربّه بعد أدائه خير الأعمال (( الصلاة )) التي

هي خير موضوع ، فيقول بعد التسليم : (( أستغفر

الله )) ثلاث مرات ، وبعد الإفاضة من المشعر الحرام في الحج يأمر الله عباده بالاستغفار ، فيقول

تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند

المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من

قبله لمن الضالين ﴾ ثم أفيضوا من حيث أفاض

الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴿

[ البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩ ] ، وقد دلّ النبي ﷺ

عائشة على أن تدعو ربّها ليلة القدر بطلب العفو ،

فقد قالت عائشة ، رضي الله عنها ، للنبي ﷺ :

أرأيت إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ، ما أقول

فيها ؟ قال : (( قولي : اللهم إنك عفوٌ كريمٌ تحبُّ

العفو فاعفُ عني )) . [ رواء الترمذي ( ح ٣٥١٣ ) ، وأحمد

( ١٧١/٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ) ] .

فهذه عائشة - وهي من هي - يأمرها النبي

ﷺ أن تسأل الله العفو كالمسيء المقصّر .

فهكذا علمنا النبي ﷺ أن نستغفر بعد الطاعة

كما يستغفر المذنب من ذنبه .. فإذا كان هذا هو

حال المحسنين في عباداتهم ، فكيف حال المسيئين

مثلنا !؟

كان مطرف بن الشخير يقول في دعائه :

( اللهم ارض عنا ، فإن لم ترض عنها فاعفُ

عنا ) .

وبسبب تقصير العبد في صيامه فرض الله عليه

صدقة الفطر طهرة له من اللغو والرفث ؛ فعن ابن

عباس ، رضي الله عنهما ، قال : ( فرض رسول

الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو

والرفث ، وطعمة للمساكين ) . [ رواء أبو داود

( ح ١٦٠٩ ) ، وابن ماجه ( ١٨٢٧ ) ] .

٢ - أن يعزم على عدم العودة إلى الذنوب التي

كان يقترفها قبل رمضان ؛ قال ابن رجب : ( أنفع

الاستغفار ما قارنته التوبة ، وهي حلُّ عقدة الإصرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية

المعقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ويعود ، فصومه عليه مردود ، وباب القبول عنه مسدود (٤) .

وقال أيضاً : ( يا من أعتقه مولاه من النار ، إياك أن تعود بعد أن صيرت حراً إلى رِقِّ الأوزار ، أيعذك مولاك عن النار وأنت تتقرب منها ؟ وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها ؟ ) (٥) .

فأما من يقابل نعمة توفيق الله له لصيام رمضان بارتكاب المعاصي بعده ، فهو من فعل من يدل نعمة الله كفرًا .

٣- أن يشكر الله على توفيقه لصيام رمضان وإعانتة عليه ومغفرة ذنوبه ، فقد أمر الله عباده بذلك ، فقال : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [ البقرة : ١٨٥ ] ، وقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، فيقال له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » . [ رواه البخاري (ح ١١٣٠) ، ومواضع ، ومسلم ( ح ٢٨١٩ ) .

فكل نعمة من الله على العبد في دين أو دنيا يحتاج إلى أن يشكر الله عليها ، وحقيقة الشكر اعترافه بالعجز عن الشكر .

٤- أن لا يقطع الأعمال التي كان يتقرب بها إلى الله في شهر رمضان ، فقد أصبحت حجة عليه ؛ لكونها في استطاعته ومقدوره ، فيحافظ على ما كان يقرؤه من القرآن في رمضان ، ويمكث في المسجد كما كان يفعل في رمضان ، ويحافظ على صلاة الجماعة كما كان يحافظ عليها في رمضان ، ويتحلى بالأخلاق الكريمة التي كان يتحلى بها في رمضان ، وكذلك الصيام والأذكار والصدقات وسائر أنواع البر ، فإذا كان رمضان قد انقضى فإن الأعمال الصالحة لا تنقضي ، فلا يكن العبد « رمضانيًا » ، ولكن فليكن « عبدًا ربانيًا » ،

فرب رمضان هو رب شوال هو رب سائر شهور

السنة ، فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد انقضى ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

قيل لبشر الحافي : إن قومًا يتعبدون ويجهدون في رمضان ، فقال : ( بنس القوم قوم لا يعرفون الله حقًا إلا في شهر رمضان ، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها ) .

وسئل الشبلي : أيما أفضل : رجب أو شعبان ؟ فقال : ( كن ربانيًا ، ولا تكن شعبانيًا ) .

وقد كان النبي ﷺ يحافظ على أعمال البر في غير رمضان كما في رمضان ، فقد سئلت عائشة ، رضي الله عنها : كيف كان عمل رسول الله ﷺ ، هل كان يخص شيئًا من الأيام ؟ فقالت : « لا ، كان عمله ديمة » . [ رواه البخاري ( ح ١٩٨٧ ) ، ومسلم ( ح ٧٨٣ ) .

وقالت أيضاً : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة » . [ رواه البخاري ( ح ١١٤٧ ) ، ومسلم ( ح ٧٣٨ ) .

( والمحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ، ولا يأمل إلا قربه ورضاه .. كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره ، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة ترة .

فوا أسفاه على زمان ضاع في غير طاعته ! وواحسرتاه على وقت فات في غير خدمته !!

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها ، فعلمة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية ، ما أحسن الحسنه بعد السيئة تمحوها ! وما أحسن منها الحسنه بعد الحسنه تتلوها ، وما أقبح السيئة بعد الحسنه تمحقها وتعفوها !

ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبًا قبلها ، النكسة أصعب من المرض ، وربما أهلكت ، سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات ،

وتعودوا به من تقلب القلوب ، ومن الحَوْر بعد الكَوْر - أي من نقصان بعد الزيادة - ما أوحش ذلَّ المعصية بعد عز الطاعة (١) .

٥- أن يصوم ستة من شوال ؛ لقول النبي ﷺ : (( من صام رمضان ، ثم أتبعه ستاً من شوال ، كان كصيام الدهر )) . [ رواه مسلم ( ح ١١٦٤ ) ] .

فالحسنة بعشر أمثالها ، كما جاء ذلك مفسراً في حديث النبي ﷺ : (( من صام رمضان فشهراً بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بعد الفطر ، فذلك تمامُ صيام سنة )) . [ رواه أحمد ( ٢٨٠/٥ ) ، وغيره ، وانظر (( صحيح الجامع )) ( ح ٣٨٥١ ) ] .

ومعاودة الصيام بعد رمضان علامة على قبول الصيام ، كما مرَّ من أن علامة قبول الطاعة الطاعة بعدها ، كما أن هذا الصيام يقوم مقام السنن الرواتب التي تكون قبل الصلاة المفروضة وبعدها ، فتجبر ما يكون في الفرض من نقص وخلل .

كما أن هذا الصيام صورة من صور شكر الله التي أمرنا بها بعد الطاعات .

( ومن كان عليه قضاء من صيام رمضان فليبدأ بقضائه في شوال ؛ فإنه أسرع لبراءة ذمته ، وهو أولى من التطوع بصيام ستٍّ من شوال ، فإن العلماء اختلفوا فيمن عليه صيام مفروض : هل يجوز أن يتطوع قبله أم لا ؟ وعلى قول من جوز التطوع قبل القضاء فلا يحصل مقصودُ صيام ستة أيام من شوال إلا لمن أكمل صيامَ رمضان ، ثم أتبعه بستٍّ من شوال ) (٢) .

بل يُستحب أن يقضي العبد ما فاتته من صيام شعبان في شوال ، كما كان النبي ﷺ يقضي ما

فاتته من السنن الرواتب للصلوات ، وقد سأل النبي ﷺ رجلاً : (( أصمت من سرَّ شعبان ؟ )) فقال : لا ، قال : (( فإذا أفطرت فصمَّ يومين )) . [ رواه البخاري ( ح ١٩٨٣ ) ، ومسلم ( ح ١١٦١ ) ، وأبو داود ( ح ٢٣٢٨ ) ] .

فصيام أول شوال كصيام آخر شعبان ، وكلاهما حريمٌ لرمضان ، وفي الحديث دليل على استحباب قضاء ما فات من التطوع بالصيام ، وأن يكون في أيام مشابهةً لأيام التي فات فيها الصيام في الفضل (٣) .

٦- أن يقضي ما فاتته من اعتكاف العشر الأواخر من رمضان بأن يعتكف العشر الأول من شوال ، فإن النبي ﷺ لما ترك في عام من الأعوام اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، قضى ذلك في شوال ؛ فاعتكف العشر الأول منه .

٧- أن يعتمر في شوال ؛ لأنه من أشهر الحج ، وقيل : إن النبي ﷺ اعتمر عُمره الجعرانة - وهي آخر عُمره اعتمرها ﷺ قبل عُمرته في حجة الوداع - في آخر شوال عام الفتح لما قسم غنائم حنين ، والذي عليه جمهور العلماء أنها كانت كسائر عُمر النبي ﷺ في ذي القعدة .

( وقد روي عن طائفة من السلف ؛ منهم ابن عُمر ، وعائشة ، وعطاء ، تفضيلُ عُمره ذي القعدة وشوال على عُمره رمضان ؛ لأن النبي ﷺ اعتمر في ذي القعدة ، وفي أشهر الحج ، حيث يجب عليه الهدي إذا حجَّ من عامه ؛ لأن الهدي زيادةٌ نسكٌ ، فيجتمع نسكُ العُمره مع نسك الهدي ) (٤) .

نسأل الله أن يوفقنا إلى حسن طاعته وعبادته ، وأن يتقبلنا في عباده الصالحين .

(١) مستقى من « لطائف المعارف » لابن رجب الحنبلي .

(٢) شوال يُجمع على « شواويل » على القياس ، و« شواول » على طرح الزائد ، و« شواولات » .

(٣) « لطائف المعارف » ( ص ٣٧٦ ) .

(٤) « لطائف المعارف » ( ص ٣٨٥ ) ، وانظر ( ص ٣٩٥ ) .

(٥) « لطائف المعارف » ( ص ٣٨١ ) .

(٦) « لطائف المعارف » ( ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ) .

(٧) انظر « اللطائف » ( ص ٣٩٧ ) بتصريف .

(٨) انظر « اللطائف » ( ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ) .

(٩) قاله ابن رجب في « اللطائف » ( ٤٥٦ ) .

# أولئك العلماء حقاً

بقلم الشيخ / مجدي قاسم



فوجودهم عصمة من الهلاك ، فقد سُئل سعيد بن جبير ، رحمه الله : ما علامة هلاك الناس ؟ قال : ( إذا هلك علماؤهم )<sup>(٤)</sup> ، ولذا قال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : ( موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه )<sup>(٥)</sup> .

والعلماء هم سمع الأمة وبصرها .. فهم النور الذي يسري في العين ، والدماغ التي تجري في القلب ، فبهم اللسان ينطق ، والأذن تسمع ، وتدب الحياة في الجسد .

ولقد حفظوا على الأمة معاهد الدين ومعاقله ، وحماوا من التغيير والتكدير موارده ومناهلها ، وبيدهم مقود أمان الأمة ، وهم أطواد ثابتة أمام الفتن والشبهات والبدع والمفتريات ، وإليهم يرجع الأمر وقت الفتن حين تشبته الأمور ويكثر الخلط وتزيغ الأفهام والعقول ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعنه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [ النساء : ٨٣ ] ، فمردّ الأمر وقت الفتن إلى أهل العلم والفهم ، فالعلماء هم غيظ العدو وقوام الأمر ، وهم لأهل الأرض كمثل النجوم في السماء ، وكالشمس للدينا ،

إن العلماء هم ورثة النبي ﷺ وجميع الأنبياء ، ورثوا عنهم العلم ، كما قال رسول الله ﷺ : (( إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ))<sup>(١)</sup> .

وقد أخذ الله عليهم الميثاق ليبينن دين الله للناس كافة ولا يكتمونه ، وهم الذين نطقوا بالكتاب ونطق بهم ، ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين<sup>(٢)</sup> .

فالعلماء هم قوام الدين ، وزينته ، وأئمنته ، وقادته ، وأركانته ، وأمناء الله في خليقته ، العارفون بشرعه ، المتفقهون في دينه ، القائمون في الأمة بعد نبيها بمهمة البلاغ والتعليم والتوجيه والإرشاد ، فهم قادة الأمة إلى طريق الهدى والفلاح والرشاد ، وهم دعاة الحق وهداة الخلق وعمادهم في العلم والفقه وأمور الدين والدنيا ، وإليهم تآرز الأفتدة وترجع الأمة وتفزع حين يحزبها أمر ذو بال ، و (( صلاح الوجود بالعلماء ، لولاهم كان الناس بالبهائم ، بل أسوأ حالاً ))<sup>(٣)</sup> .

فهم أداة إصلاح الناس كافة ، والذين يجنبون الأمة الردى ، ويبعدونها عن طريق المهالك ،

## العلماء هم عصمة الأمة من الضلال ، فوجود العلماء يمنع إفتاء الجهال بغير علم ، فهم في النهاية مانع من الضلال والإضلال .

وكالعافية للناس ، ولا يُعرف كيف يُعبد الله - كما  
يُحب أن يُعبد - إلا بهم ، وبهم يُزكى الوجدان ،  
وتصقل النفوس ، ويجلو الفكر ، وما علق بالنفوس  
من عوالم الشر والفساد ، ويظهر الحق أبلج .  
فالعلماء ( في الخير قادة وسادة يُقتدى بهم ،  
أدلة في الخير تقتص آثارهم وتُرمق أفعالهم ،  
وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنتها تمسحهم ،  
يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيطان البحر  
وهوامه وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ،  
والعلم حياة القلوب من العمى ، ونور للأبصار من  
الظلم ، وقوة للأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد  
منازل الأبرار والدرجات العلى ، التفكر فيه يعدل  
بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، وهو إمام للعمل ،  
والعمل تابعه ، يُلهمه السعادة ، ويُحرمه  
الأشقياء )<sup>(١٠)</sup> .

ولذا فالناس أحوج إلى العلماء من حاجتهم إلى  
الطعام والشراب ، قال الإمام أحمد : ( الناس  
محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام  
والشراب ؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في  
اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يُحتاج إليه بعدد

الأنفاس )<sup>(٧)</sup> .

بل حاجتهم إليهم أعظم من حاجتهم إلى  
التنفس<sup>(٨)</sup> ؛ لأن بالتنفس تحيا الأبدان ، وبهم تحيا  
القلوب ، والعلم للقلب مثل الماء للسّمك إذا فقده  
مات ، وقد قال ميمون بن مهران : ( وجدت صلاح

قلبي في مجالسة العلماء )<sup>(٩)</sup> .  
والعلماء هم الوسطة بين النبي ﷺ وأمتة ،  
فهم أرفع الناس منزلة بعد الأنبياء ، قال سفيان بن  
عيينة : ( أرفع الناس عند الله منزلة : من كان بين  
الله وبين عباده ، وهم الرسل والعلماء )<sup>(١٠)</sup> .

وقال سهل بن عبد الله التستري : ( من أراد أن  
ينظر إلى مجالس الأنبياء ، عليهم السلام ، فليُنظر  
إلى مجالس العلماء )<sup>(١١)</sup> . قال ابن القيم : ( وهذا  
لأن العلماء خلفاء الرسل في أممهم ، ووارثوهم في  
علمهم ، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة )<sup>(١٢)</sup> .

وقال أبو الأسود الدؤلي : ( ليس شيء أعز من  
العلم ، الملوك حكام الناس ، والعلماء حكام على  
الملوك )<sup>(١٣)</sup> .

هم حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم  
وحملته ، ( سلخوا محجة الصالحين ، واتبعوا آثار  
السلف من الماضين )<sup>(١٤)</sup> ، الكتاب عدتهم ، والسنة  
حجتهم ، ( فعقولهم بلذاذة السنة غامرة ، وقلوبهم  
بالرضا في الأحوال عامرة ، تعلم السنن سرورهم ،  
ومجالس العلم حبورهم ، وأهل السنة قاطبة  
إخوانهم ، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها  
أعداؤهم )<sup>(١٥)</sup> .

والعلماء هم عصمة الأمة من الضلال بتروّس  
الجهال ، فقد قال رسول الله ﷺ : (( إن الله لا  
يقبض العلم انتزاعاً من العباد ، ولكن يقبض العلم  
بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس  
رءوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلّوا  
وأضلّوا ))<sup>(١٦)</sup> .

فوجود العلماء يمنع إفتاء الجهال بغير علم ،  
فهم في النهاية مانع من الضلال والإضلال ، وهم

(ينابيع الحكمة، ومصابيح الظلم) (١٧)، وكما قال عبيد الله بن أبي جعفر: (العلماء منار البلاد، منهم يُعتَبَرُ النور الذي يُهتَدَى به) (١٨).

وهم رأس الطائفة الظاهرة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: (( لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)) (١٩).

قال البخاري: (هم أهل العلم)، وقال الإمام أحمد: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم) (٢٠).

قال القاضي عياض: (إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث) (٢١).

فالعلماء هم رأس الجماعة التي أمرنا بلزومها، كما في قول النبي ﷺ: ((من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه)) (٢٢). وغيره من الأحاديث.

قال عنهم علي بن أبي طالب: (العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأثارهم في القلوب موجودة) (٢٣). وقال علي لكميل: (أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤديها إلى نظرائهم، ويزرعها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلثوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى) (٢٤).

ونقصد بالعلماء: العلماء الربانيين أهل الأثر والفقه الذين يتميزون بالإتقان والفهم والعقل والرزانة، ولا بد أن نميز بينهم وبين كل من:

● القراء الذين يقرءون كتاب الله ويحفظونه دون فقه وفهم، ودون التعرف على مقاصده، فنحن في زمن قد كثر فيه القراء، وقل فيه الفقهاء، كما قال النبي ﷺ: ((سيأتي على أمتي زمان تكثر فيه القراء، وتقل الفقهاء، ويُقبض

العلم، ويكثر الهرج)) (٢٥)، وقد لا يكون لحافظ القرآن منه نصيب إلا مجرد مروره على لسانه دون أن يصل إلى قلبه فيعلق به ويؤثر فيه، كما قال النبي ﷺ عن الخوارج: ((يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم)) (٢٦).

● الخطباء والوعاظ: بالرغم من حسن حديثهم وحلاوة منطقتهم الذي يسلبون به الأبواب والمشاعر، وقد يكون منهم علماء أفذاذ ولكنهم قلة، قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه: (إنكم في زمان كثير علمائهم، قليل خطبائهم، وإن بعدكم زماناً كثيراً خطبائهم، والعلماء فيه قليل) (٢٧). فالعلماء قليلون، أما المتكلمون فكتيرون، قال مجاهد، رحمه الله: (ذهب العلماء فلم يبق إلا المتكلمون، وما المجتهدون فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم) (٢٨).

ونحذر من هؤلاء الذين لم يعلقوا من العلم بشيء إلا رسوماً وأشكالاً في اللباس والهيئة، ويتقرون ويتشددون بأساليب المنطق والكلام، فغاية ما عندهم من العلم عبارات وشقائق لا يعبا الله بها، يُحرفون بها الكلم عن مواضعه، فهم متشدقون متفيهون، يوهمون الأغرار أنهم علماء، وما هم بعلماء، إنما هم اتخذوا العلم مهنة يتعيشون بها ويتأكلون.

إننا نريد علماء أبرار قذوة، عندهم من سعة العلم وصفاء النفس وقوة المعرفة والفهم ما يستطيعون أن يدفعوا به الحيرة المدمرة عن خاطر العوام والجهال.. علماء تشرب إليهم الأعناق إجلالاً وتقديراً وولاءً، لا تخيفهم المحن، ولا تلهيهم الفتن، بل يتحملون نارها بصبر وجلد، فنار جهنم أشد حراً.. لا يهابون سلطناً جاتراً، ولا حاكماً جباراً، لا يدهنون ولا يتملقون، ولا يكتمون علماً، ولا يسكتون عن حق، ولا يخشون في الله لومة لائم، لا يغريهم المال، ولا القرب من أصحاب الجاه والنفوذ، بل هم في حرص بالغ

على الوصول إلى الجنة ، يقول الله تعالى : ﴿ ومن  
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [ البقرة : ٢٠٧ ] ،  
يحتاج الناس إلى دينهم ولا  
يحتاجون لدنياهم ، قال أحد الولاة عن الحسن  
البصري : ( احتجنا إلى دينه ، واستغنى عن  
دنيانا ) ، فماذا يكون الحال إذا احتاج العلماء إلى ما  
عند الحكام من دنيا ، واستغنى الحكام عما عند  
العلماء من دين !؟

فهؤلاء هم العلماء بحق ، الذين جاءت  
النصوص من الكتاب والسنة مستفيضة في فضلهم .  
حشرنا الله وإياهم في جنات النعيم في  
الفرديوس الأعلى مع سيد الأنبياء والمرسلين ،  
وإمام الدعاة المخلصين محمد بن عبد الله عليه  
أفضل الصلاة وأتم التسليم .

- (١) رواه أبو داود (ح ٣٦٤١) ، والترمذي (ح ٢٦٨٢) ، وابن ماجه (ح ٢٢٣) ، وغيرهم ، وحسنه الألباني في (( صحيح الترغيب )) ، والأرنؤوط في تحقيقه لـ (( شرح السنة )) (٢٧٦/١) .
- (٢) روى ابن عدي (١٥٢/١) ، والبيهقي في (( سننه الكبرى )) (٢٠٩/١٠) ، وغيرهم ، أن رسول الله ﷺ قال : (( يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين )) . وكل طرق الحديث لا تخلو من ضعف ، وقد سئل عنه الإمام أحمد فقال : ( هو حديث صحيح ) ، وجزم العلائي بحسنه لتعدد طرقه ، وكذا قواه ابن القيم في (( مفتاح دار السعادة )) (ص ١٧٧ - ١٧٩) ، وانظر : (( الفقيه والمتفقه )) (٥٠/٢) ، و(( شرف أصحاب الحديث )) (ص ١٢) ، كلاهما للخطيب البغدادي ، و(( الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم )) لمحمد بن الوزير اليماني .
- (٣) انظر (( مفتاح دار السعادة )) لابن القيم (ص ٧٤) .
- (٤) رواه ابن أبي شيبة (٦٨/٨) .
- (٥) كما في (( مفتاح دار السعادة )) (ص ١٣٢) ، وانظر (( جامع بيان العلم )) لابن عبد البر (٢٦/١) .
- (٦) رواه الخطيب وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل . رضي الله عنه ، كما في (( مفتاح دار السعادة )) (١٣١/١) ، وانظر (( جامع بيان العلم وفضله )) لابن عبد البر (٥٤/١ ، ٥٥) .
- (٧) كما في (( مفتاح دار السعادة )) (ص ٦٦) ، و(( إعلام الموقعين )) (٢٥٦/٢) .
- (٨) انظر (( مفتاح دار السعادة )) (ص ١٢١) .
- (٩) رواه ابن عبد البر في (( جامع بيان العلم )) (٤٩/١) .
- (١٠) كما في (( مفتاح دار السعادة )) (ص ١٢٩ ، ١٨١) .
- (١١) (( أدب الفتوى )) لابن الصلاح (ص ٣٣) ، و(( مفتاح دار السعادة )) (ص ١٢٩ ، ١٨١) .
- (١٢) (( مفتاح دار السعادة )) (ص ١٢٩) .
- (١٣) (( تذكرة السامع والمتكلم )) لابن جماعة (ص ١٠) .
- (١٤) (( معرفة علوم الحديث )) للحاكم (ص ٢) .
- (١٥) المصدر السابق (ص ٣) .
- (١٦) متفق عليه . رواه البخاري (ح ٧٣٠٧ ، ١٠٠) ، ومسلم (٢٠٥٨/٤) .
- (١٧) انظر (( جامع بيان العلم )) لابن عبد البر عن ابن مسعود (٥٢/١) .
- (١٨) رواه ابن عبد البر في (( جامع بيان العلم )) (٥٠/١) .
- (١٩) متفق عليه . رواه البخاري (ح ٣٦٤٠ ، ٧٣١١ ، ٧٤٥٩) ، ومسلم (ح ١٩٢٠) .
- (٢٠) انظر : فتح الباري (٣٠٦/١٣) .
- (٢١) (( شرح النووي على مسلم )) (٦٧/١٣) .
- (٢٢) راجع تخريجه في (( السلسلة الصحيحة )) (ح ٩٨٣ ، ٩٨٤) ، و(( تخريج السنة )) لابن أبي عاصم (ح ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤) .
- (٢٣) انظر ابن عبد البر في (( جامع بيان العلم وفضله )) (٥٧/١) ، وهو جزء من حديث عليّ لـ كميل بن زياد النخعي .
- (٢٤) حديث علي لـ كميل : رواه أبو نعيم في (( الحلية )) (٧٩/١ ، ٨٠) ، والخطيب في (( الفقيه والمتفقه )) (٤٩/١ ، ٥٠) ، وانظر (( جامع بيان العلم )) (١١٢/٢) ، و(( مفتاح دار السعادة )) (ص ١٢٤) .
- (٢٥) رواه الحاكم (٤٥٧/٤) ، والطبراني في (( الأوسط )) ، كما في (( مجمع الزوائد )) (١٨٧/١) ، وانظر (( المجمع )) (١٢٧/١) .
- (٢٦) متفق عليه . رواه البخاري (ح ٣٣٤٤) ، ومسلم (ح ١٠٦٤) .
- (٢٧) رواه البخاري في (( الأدب المفرد )) (ح ٧٨٩) ، وصححه الهيثمي في (( المجمع )) (٢٤٩/١٠) ، والحافظ في (( الفتح )) (٥١٠/١٠) ، والألباني في (( تخريج العلم )) لأبي خيثمة (ص ١٠٩) .
- (٢٨) رواه أبو خيثمة في (( العلم )) (ص ٦٩) .



رسالة

إلى

من

فاتحه

الحج

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

يقول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي  
النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى  
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ  
عَمِيقٍ ﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ  
وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ  
مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ  
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا  
الْبَنَاتِيسَ الْفَقِيرِ ﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ  
وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ وَلِيُطُوفُوا  
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ [ الحج : ٢٧ - ٢٩ ] .

وما زال الناس إلى اليوم ، بل  
إلى قيام الساعة يلبون نداء  
إبراهيم عليه السلام ، يرفعون أصواتهم  
بالتلبية : « لبيك اللهم لبيك » ،  
يشدُّهم الحنين والشوق الدائم الذي  
لا ينقطع إلى بيت الله الحرام ،  
وقد تعلقت به قلوبهم ؛ مصداقًا  
لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم  
عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ  
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ  
آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَيْتِي أَنْ تَعْبُدَ  
الْأَصْنَامَ ﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ ضَلُّوا كَثِيرًا  
مَنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي  
وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ ﴿  
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ  
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ  
رَبَّنَا لِتَقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً  
مَنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ  
مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿  
[ إبراهيم : ٣٥ - ٣٧ ] .

قال ابن عباس ومجاهد  
وسعيد بن جبير وغيرهم : ( لو

قال : ( أفئدة الناس ) لارزحم  
عليه فارسُ والروم واليهود  
والنصارى والناس كلُّهم ، ولكن  
قال : ﴿ من الناس ﴾ ، فاخص  
به المسلمون ) . [ تفسير ابن  
كثير ] : ( ٥٤١/٢ ) .

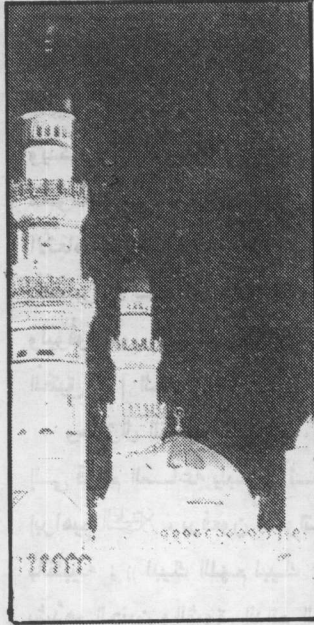
وقال ابن كثير ( ٢١٦/٣ ) :  
( فليس أحد من أهل الإسلام إلا  
وهو يحن إلى رؤية الكعبة  
والطواف ، والناس يقصدونها من  
سائر الجهات والأقطار ) .

فما زال المسلمون يترددون  
إلى بيت الله الحرام يعفون فيه ،  
ويرجعون عنه ولا يرون أنهم  
قضوا وطهرهم منه ، فهو أشرف  
بناية على وجه الأرض في أظهر  
بقعة مباركة ، ذكره الله في كتابه  
بأعظم ذكر وأجل وصف وأفخم  
تعظيم وثناء ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ  
جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا  
وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى  
وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ  
طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ  
أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ  
فَأَمَّغُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ  
النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ  
إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ  
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ [ البقرة :

١٢٥-١٢٧] ، وقال تعالى :  
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي  
بِبَكَّةٍ مُّبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ فِيهِ  
آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ  
دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿ [ آل عمران :  
٩٦ ، ٩٧ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ  
بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا  
تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي  
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ ﴾ وَأَنْ فِي النَّاسِ بِالنَّحْجِ  
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ  
مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿ [ الحج :  
٢٦ ، ٢٧ ] .

فيا حسرة من انقطع عن  
الوصول إلى هذا البيت ! ويزداد  
حزنه وقلقه وهو يرى السائرين  
إلى تلكم الديار المباركة ،  
الواصلين إلى بيت الله الحرام ،  
وهو منقطع عن الوصول ، قاعد  
محزون ، فما يؤمنه أن يكون  
ممن : ﴿ كَرِهَ اللَّهُ اتِّبَاعَهُمْ فَيَبْطِطُوهُمْ  
وَيَقِيلُ أَفْذُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾  
[ التوبة : ٤٦ ] ، نعوذ بالله من  
الخدلان .

ويزداد حزن من شاهد - من  
قبل - تلك الديار ، وعابن تلك  
الآثار ، ثم انقطع عنها ، فيموت  
أسفًا عليها والحنين إليها ،  
ويؤرقه الشوق المقلق والحنين  
الجارف إلى هاتيك الديار ، ويقتله  
البعد .  
قالوا : أصبر وليس ذا في وسعي



يا حزن أقيم وأنت سير يا دمعي  
بالرغم من علمه بأن حج  
الفريضة إنما هو مرة واحدة في  
العمر كما جاء في حديث أبي  
هريرة ، رضي الله عنه ، فقال :  
خطبنا رسول الله ﷺ فقال :  
« أيها الناس ، قد فرض الله  
عليكم الحج فحجوا » ، فقال  
رجل - جاء في الروايات الأخرى  
أنه الأقرع بن حابس - أكل عام  
يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى  
قالها ثلاثًا ، فقال رسول الله  
ﷺ : « لو قلت : نعم ، لوجبت ،  
ولما استطعتم » . ثم قال :  
« ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك

من كان قبلكم بكثرة سؤالهم  
واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا  
أمرتكم بشيء فأتوا منه ما  
استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء  
فدعوه » . [ رواه مسلم :  
( ح ١٣٣٧ ) ] .

ولم لا يحزن ويأسف مثل هذا  
المنقطع ، بل ويبيكي على ما فاته  
من الدرجات العلى والنعيم المقيم ،  
والله تبارك وتعالى يقول :  
﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [ البقرة :  
١٤٨ ] ، والمائدة : ٤٨ ] ، وقال  
تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ  
مَنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ  
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾  
[ آل عمران : ١٣٣ ] ، وقال  
تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ  
مَنْ رَبِّكُمْ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ  
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
الْعَظِيمِ ﴾ [ الحديد : ٢١ ] .

فصاحب الهمة العالية والنفس  
الشريفة تَوَاق إلى الجنة ، بل إلى  
الدرجات العلى منها ، لا يرضى  
بغير ذلك بديلاً ، يحزن لفوات  
درجة من درجات الآخرة أو حسنة  
صالحة ربما تكون هي الفارق بين  
درجة وأخرى ، والفرق بين  
الدرجة والدرجة في الجنة كما بين  
السماء والأرض ، كما ينظر أحدنا  
إلى الكوكب الدرّي في السماء ،

ولذا فكلما رأى حسنة طار إليها بأجنحة الشوق ويحزنه انقطاعه عنها ، فهمه أن يكون من السابقين ومعهم : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] .

قال وهيب بن الورد : إذا استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل .

وقال بعض السلف : لو أن رجلاً سمع برجل أطوع لله منه فاتصدع قلبه ، فمات ، لم يكن ذلك يعجب !!

وقال الحسن البصري : إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا ، فنافس في الآخرة .

ولذا يقول النبي ﷺ : (( لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق <sup>(١)</sup> ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها )) .

[رواه البخاري (ح ٧٣) ، ومسلم (٨١٦ج)] .

وعن أبي كبشة الأثماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (( إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقى ربه فيه ، ويصل به رحمه ، ويعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً

(١) أي إنفاقه في الطاعات .

ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعلمت فيه بعمل فلان فهو بنيتي ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً ، فهو يُخبط في ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه مالاً ولا علماً ، فهو يقول : لو أن لي مالاً لعلمت فيه بعمل فلان فهو بنيتي ، فوزرهما سواء )) . [رواه الترمذي (ح ٢٣٢٥) ، وابن ماجه (٤٢٢٨) ، وأحمد (٢٣٠/٤ ، ٢٣١)] .

ولذا فالمتخلف عن الحج شريك للسائر إليه طالما كان تخلفه عذر ، كما قال النبي ﷺ : (( إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر )) . [متفق عليه] .

ولذا يقول الشاعر :

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا  
إنا أقمنا على عذرٍ وقد رحلوا  
ومن أقام على عذرٍ كمن راحا  
فأجر من عجز عن العمل ، وحزن لفواته ، وتمنى حصوله ، مثل أجر العامل ، سواء بسواء ، لا ينقص ذلك من أجر العامل شيئاً ، وكذلك في الوزر .

قال المباركفوري في (( تحفة الأحمدي )) : ( فأجر من عقد عزمه على أنه لو كان له مال أنفق منه في الخير ، وأجر من له مال ينفق منه ، سواء ، ويكون أجر العلم زيادة له ) .

ولذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم أول المتسابقين إلى الخيرات ، وكان رأسهم هو صديق هذه الأمة أبو بكر ، رضي الله عنه ، فيقول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : ( ما سأقت أبا بكر إلى خير إلا وسبقتي إليه ) .

فالعجب كل العجب من أصحاب النفوس الدنية الخسيسة المتكالبين على الدنيا ، المتهافتين عليها كالفراس الذي يتهافت على النار فيحترق بها .

قال الشبلي : ( من ركن إلى الدنيا أحرقتة بنارها ، فصار رماداً تذروه الرياح ، ومن ركن إلى الآخرة أحرقتة بنورها ، فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن ركن إلى الله أحرقه نور التوحيد ، فصار جوهراً لا قيمة له ) ؛ أي معدناً نفيساً لا يقدر بثمن .

فكيف لا يتسابق المسلم إلى الحج وهو يسمع حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (( من حج

فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولادته أمه» . [ متفق عليه ] .

وأيضاً قوله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . [ متفق عليه ] .

وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : استأذنت النبي ﷺ في الجهاد ، فقال : « جهادكُن الحج » . [ متفق عليه ] .

وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« تابعوا بين الحج والعمرة ، فإتياهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » . [ رواه الترمذي والنسائي ، وهو صحيح بطرقه ] .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وفد الله ثلاثة : الغازي ، والحاج ، والمعتمر » . [ رواه النسائي بإسناد حسن ] .

وعن جابر ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الحجّاج والغفّار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم » . [ وهو حديث حسن ، كما في « الصحيحة » للألباني ( ح ١٨٢٠ ) ] .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ :

« ثلاثة في ضمان الله عز وجل : رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل ، ورجل خرج غازياً في سبيل الله تعالى ، ورجل خرج حاجاً » . [ رواه أبو نعيم في « الحلية » ، كما في « الصحيحة » للألباني ( ح ٦٠٠ ) ] . إلى آخر هذه الأحاديث التي تبين فضل الحج وأهله .

ولكن لا بد أن ننبه إلى أن أداء الواجبات كلها أفضل من التثفل بالحج والعمرة وغيرها ، فكما جاء في حديث النبي ﷺ عن الولي في الحديث القدسي قال : « وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه » . [ رواه البخاري ] .

فإنه ما تقرب العباد إلى ربهم بأفضل وأحب إليه من أداء الواجبات التي افترضها عليهم ، وكثير من الناس - وللأسف الشديد - لا يتنبهون لهذا ، فيكثرون من التثفل مثلاً بالصدقات والحج والعمرة ، ولا يؤدون ما عليهم من حقوق وديون وأمانات ومظالم للناس ، وكثير من الناس يكثرون من التطوع في الحج والعمرة ، ويغفلون عن كفا الجوارح عن المحرمات ، فحبس

اللسان - مثلاً - عن الخوض في أعراض الناس والوقوع في الكذب والغيبة والنميمة أفضل من التطوع بالحج والجهاد .

قال بعضهم : عجباً لمن يقطع المفاوز والقفار ؛ ليصل إلى البيت فيشاهد فيه آثار الأنبياء ، كيف لا يقطع هواه ليصل إلى قلبه .

وعلى من فاته الحج وعجز عنه ، أن يحرص على أداء تلك الأعمال التي يبلغ أجرها أجر الحج ، كما في حديث النبي ﷺ :

« من صلى الغداة في جماعة ، ثم قد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة : تامة ، تامة ، تامة » . [ رواه الترمذي ( ح ٥٨٦ ) ، وغيره ، وانظر رسالتي « الفضائل العشر لشهود صلاة الفجر » ] ، وكما في حديث

أبي أمامة ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة ، فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى ، لا ينصبه إلا إياه ، فأجره كأجر المعتمر ، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين » . [ رواه أبو داود ( ح ٥٥٨ ) ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » ( ح ٦٢٢٨ ) ] .

وفي رواية : « من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة ، ومن مشى إلى صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة » .  
[ رواه الطبراني ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » ] ( ح ٦٥٥٦ ) .

فإن الإنسان قد يعجز عن أداء الحج في العمر مرة ، فيستطيع أن يحصل على ثواب خمس حجات كل يوم ، وفضل الله أعظم ، ويقول النبي ﷺ : « عمرة في رمضان تعدل حجة » . [ متفق عليه ، وانظر « إرواء الغليل » ] ( ح ٨٦٩ ، ١٥٨٧ ) ، وفي رواية : « عمرة في رمضان كحجة معي » . انظر « الإرواء » ( ح ١٥٨٧ ) .

وهناك من الأعمال ينال صاحبها ثواب عمرة ، مثل قول النبي ﷺ : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » . [ رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، انظر « صحيح الجامع » ] ( ح ٣٨٧٢ ) .

وقوله ﷺ : « من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ، كان له كأجر عمرة » .  
[ رواه ابن ماجه وغيره ، انظر « صحيح الجامع » ] ( ح ٦١٥٤ ) .

مع التنبه إلى أن هذه الأعمال لا تجزئ عن أداء الفريضة لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وإذا كان الجهاد في سبيل الله أفضل من الحج كما في حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : سئل رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ورسوله » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حجٌّ مبرور » . [ متفق عليه ] .

فقد جعل النبي ﷺ العمل الصالح في أيام العشر من ذي الحجة أفضل من الجهاد ، فعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني أيام العشر » . قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء » . [ رواه البخاري ( ح ٩٦٩ ) ] .

فطى المسلم أن يكثُر من الأعمال الصالحة في الأيام العشر ؛ فيصوم نهارها ، ويقوم ليلها ، ويكثُر من الذكر والصدقة وسائر الأعمال الصالحة . ويوجه ابن رجب الحنبلي ، رحمه الله ، رسالة إلى من حُبِس

عن الحج هذا العام فيقول في « لطائف المعارف » : ( إخواني ، إن حُبستم العام عن الحج فارجعوا إلى جهاد النفوس ، فهو الجهاد الأكبر<sup>(١)</sup> ، أو أحصرتم عن أداء النسك فأريقوا على تخلفكم من الدموع ما تيسر ؛ فإن إراقة الدماء لازمة للمُحصر ، ولا تحلقوا رعوس أدياتكم بالذنوب ؛ فإن الذنوب حائلة الدين ليست حائلة الشعر ، وقوموا لله باستشعار الرجاء والخوف مقام القيام بأرجاء الخيف والمنتشر<sup>(٢)</sup> ، ومن كان قد بَعَدَ عن حرم الله ، فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله ، فإن رحمة الله قريبٌ ممن تاب إليه واستغفر . ومن عجز عن حج البيت أو البيت منه بعيد ، فليقصد رب البيت ؛ فإنه ممن دعاه ورجاه أقرب من حبل الوريد ) .

وعلى الله قصد السبيل ، والحمد لله رب العالمين .

(١) تنبه على عدم صحة حديث : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : جهاد النفس » . فتنه .

(٢) المقصود : مسجد الحرف بمنى ، والمشعر الحرام : المزدلفة .

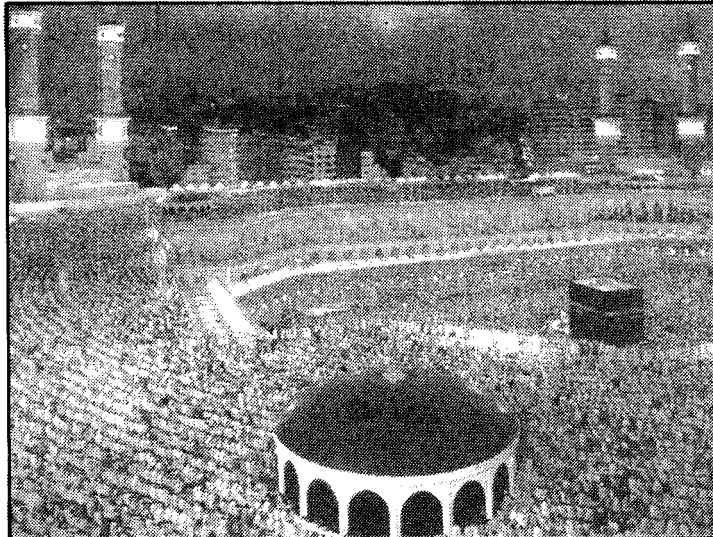
# بعث أمة الإسلام

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

ما جاء الإسلام إلى الأرض إلا بعد أن أسينت الحياة وفسدت ، وقد اتسدت ستائر الظلام على الكون بأسره ، وأضحت كل فجاج الحياة في ظلمة ظلماء وضلالة عمياء ، وشقوة وشقاء ، وأمست الإنسانيّة تضرب في تيه العماء ، وعمت الجاهلية جميع مناحي الحياة ، ولقت الإنسانيّة من كل جانب ؛ في الفكر والتصور ، في السلوك والعمل ، في العقيدة والعبادة ، وعمّ الشرك أرجاء الأرض ، وعُبدت الأصنام والأوثان والكواكب والنجوم والبشر والحيوانات وهوام الأرض بعد أن أوبق الشيطان رأي الإنسان وفكره ، وباض الشيطان وأفرخ ، وقاد مسيرة الفساد والشر ، واستشرى الفساد وتغلغل في نفوس البشر ، وجرى في عروقهم مجرى الدم ، وعانت البشرية من المسخ الرهيب للفضائل والقيم ، وفساد الفِطْر<sup>(١)</sup> .

وتخبّط العالم أجمع في دياجير الظلام والجهل والوثنية والضلالة ، وظلمات الطغيان والقهر والاستبداد ، ولم تخل من ذلك - وقدّاك - أمة من الأمم ؛ الرومان ، واليونان ، والهند ، والصين ، واليابان ، والعرب ، ومصر ، وجميع الشعوب الإفريقية إلى غيرها ؛ فجعل اليونانيون إلهًا للمطر ، وآخر للحرب ، وأخرى للحب .. وهكذا ، وفي الهند عبدوا الجبال والأنهار والأبطال وآلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل والحيوانات والأجرام الفلكية .. وغير ذلك . وقد بلغ عدد الآلهة في الهند وحدها في القرن السادس الميلادي (٣٣٠) مليون إله !!

(١) فد فطر الله الإنسان على معرفة ربّه وتوجيهه والتزام طاعته وعبادته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وما خلق الإنسان إلا من أجل عبادة ربّه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .



وكان لكل قبيلة من العرب صنم ، وكل ناحية أو مدينة صنم خاص ، وكان في جوف الكعبة وفتاتها ثلاثمائة وستون صنماً ، وصار الشرك وعبادة الأوثان أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم عليه السلام ، بالرغم من عبادتهم للأصنام ، بل بلغ بهم السفه إلى تلك الحالة التي يصفها لنا أبو رجاء العطاردي ، فيقول : ( كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو خيرٌ منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ، ثم جننا بالشاه فحلبنا عليه ثم طفنا به ) . رواه البخاري .

وما ورثت الجاهلية أصحابها إلا الشقاء والحيرة ، بعد أن نزعت منها الإيمان وزرعت فيهم الكفر والشرك ، وسقته بماء آسن وملح أجاج ، فأتبنت ثمار الحنظل التي رعت فيها الشهوات والغرائز ، وجعلت من أصحابها حيوانات منطلقة لا تلوي على شيء بعد أن أصيبت بالسعار ، أصنام تعبد ، وأوثان تمجد ، ودماء تسفك ، ومظالم ترتكب ، وأموال تُغتصب ، انتهاك للحرمات ، وواد للبنات ، استبداد الخاصة بالعامّة ، وفتك القوي بالضعيف :

مُسيطرُ الفرس يبغي في رعيته

وقيصر الروم من كيزر أصم عمى

والأرض مملوءة جوراً مسخرة

لكل طاغية في الخلق محتكم

من أجل ذلك مقت الله سبحانه أهل الأرض بعد أن عم الفساد أرجاء العالم بما كسبت أيدي الناس من جرائم وذنوب ، كما قال النبي ﷺ (( إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب )) . [ رواه مسلم :

( ٢١٩٧/٤ ) ] .

ولذا تطلعت الدنيا لبزوغ فجر جديد يعيد للإنسان إنسانيته وأدميته ، ويضع حداً لهذا الهوان الذي انحدر إليه الإنسان ، بعد أن أسس قياده

للشياطين تتلاعب به ، وانطمس فيه نور الفطرة تحت أوزار الشرك وعفن المذاهب الأرضية وبتن البيئات الساقطة ، وبعد أن عانت الإنسانية المعذبة من القهر والاستعباد ، وأحست بالتمزق والضياع ، واستشعرت باليأس والمذلة والشقاء ، وغرق الناس في دوامة الفجور والرذيلة والاحتلال ، يترنمون على فيشارة الثأر والحروب ، وزين الشيطان للناس سوء عملهم ، ولبس عليهم الحق بالباطل ، وأضلهم عن السبيل .

ولما أن الله سبحانه وتعالى انبجس من قلب الصحراء العربية ينبوعاً يكفي ليرى العالم الصدى كله ، كما ينبجس الماء الصافي العذب الزلال من قلب الصخر ليملاً الدنيا من حوله خصباً ونماء ، وبعث الحياة في هذا الموات ، ونصر وجه الحياة ، وملاً جوها بالعطر ، وأشرفت الأرض بنور ربها ، وأضاء معالم الوجود ، ورفع رعوس البشر المنكسة إلى السماء ، وأطاح بالاستبداد والاستعباد لغير الله ، وطوى بساط الجور والظلم والفساد والطغيان .

فاتبعث النور من مكة هادياً ومبشراً ونذيراً ، ليهدي الله به بعد طول ضلال ، ويظهر الحق بعد طول اختلاف ، فأرسل الله نبيه بالرسالة الخاتمة إلى البشر كافة ، وأنزل عليه القرآن هداية للعالمين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فبدد - في أقصر فترة من عُر الزمن - جحافل الظلام من حول هؤلاء الحفاة الجفاة ، وأزاح عنهم تراب الغفلة والجهل ، وأنقذهم من برائن الضلال والجهالة والهمجية والوحشية ، ونسف الخرافة والكهانة ، وقضى على المفاصد والشرور ، وأخذ بأيديهم من الظلام والتخبط والتهيه ، فاتفشعت سحب الجهل المتراكمة ، وانزاح عن الفطرة ركام القرون البالية ومخلفاتها العفنة ، وظهرت القلوب من الكفر والشرك والنفاق ، والنفوس من الغرور والفسوق

والعصيان ، واستل الرذائل من قلوب أتباعه ، فأضاعت بنور الله ، وأضاعت فجاج الدنيا من حولهم ، بعد أن عادت للإنسان إنسانيته ، وبُعثت من رمسها ، وسُقيت من رحيق الله السلسل ، فاهتزت وربت ، وأنبئت ، وصبَّ النبي ﷺ أصحابه وصهرهم في قالب جديد كأنما خلُقوا من جديد ، بعد أن خرج بهم في آفاق النور والهداية ، فصاغهم بالقرآن صياغة فريدة ، ما رأت البشرية من قبل مثيلاً لها ، فأخرج من هؤلاء الحفاة الجفاة حضارة عالمية راقية ناهضة ، تبعث النور والعرفان في أرجاء المعمورة ، فيها أرقى الحواضر وأجمل المدن ، رقياً وتقدماً ، وحضارة لا شبيه لها على مرِّ العصور ، فنفت فيهم النبي ﷺ قوة محرّكة دافعة ، فاتطلقوا لتحرير شعوب الأرض ، وتطهير الوجود ، وبناء الحياة من جديد على هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فقد قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس : ( الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لنُدعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى ، قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله ، قال رستم : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي ) . [ رواه الطبري في تاريخه (٣/٥٢٠) ، وانظر « البداية والنهاية » لابن كثير : (٣٩/٧) ]<sup>(١)</sup> .

وقد أخبرت أم سلمة ، رضي الله عنها ، أن النجاشي سأل أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا إلى الحبشة ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : ( أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهاها عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ) . قالت - أي أم سلمة - فعند عليه أمور الإسلام ، ( فصدقناه وأماناً به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وقتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ) . [ رواه أحمد (١/٢٠١-٢٠٣ ، ٥/٢٩٠-٢٩٣) ، والطيالسي كما في « منحة المعبود » (٢/٨٩ ، ٩٠) ، وابن هشام في « السيرة » (١/٤١٣-٤١٨) ، وغيرهم ، وانظر « مجمع الزوائد » (٦/٢٤) ] .

فاتنظر كيف أبان جعفر ، رضي الله عنه - بأوجز وأبلغ عبارة - ما كاتوا عليه في الجاهلية من وثنية وضلال ، وما جاءهم به الإسلام من توحيد وقيم وفضائل؟! وانظر كيف أظهر ربعي

(١) انظر حوار النعمان بن مقرن مع يزيدجرد ملك فارس في تاريخ الطبري (٣/٤٩٨ ، ٤٩٩) ، والمغيرة بن زُرارة الأسدي مع يزيدجرد أيضاً (٣/٤٤٩ ، ٥٠٠) ، وزهرة مع رستم (٣/٥١٧ ، ٥١٨) .



المهمة الموكلة إلى أهل الإسلام من الله سبحانه وتعالى بإخراج الناس كافة من الظلمات إلى النور ، من الوثنية إلى التوحيد ، من الظلم إلى العدل ، حتى يفضوا إلى موعود الله الصادق الذي لا يتخلف؟! فالإسلام هو المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه البشر من عبودية البشر .

وانظر كيف جعل النبي ﷺ من رعاة الإبل والغنم سادة للأمم وساسة وقادة ، يقودونهم إلى الحق وصرائط مستقيم ، ومن عباد الحجر إلى عبّاد لله وزُفّاد وفقهاء وعلماء ومحدثين وحكماء ، ومن الغبراء الصعاليك الذين استعبدتهم الأهواء والشهوات والفرايز وعبّوا منها عبّاء معلّمين للدنيا الفضائل ومحاسن الأخلاق والحكمة وفصل الخطاب ، وتكونت منهم باقة مزهرة عطرة ، لكل زهرة منها عطر ، ولكل وردة سحر ، ولكل منها رونق جذاب .

أتطلبون من المختار معجزة

يكفيه شعب من الأجداد أحياه

إنها معجزات بشرية وقف التاريخ مبهوراً يُنصت لهم ويُسجل مآثرهم وأمجادهم ، واستجابت الدنيا لتوجيهاتهم وتوجهاتهم ، فقادوها بمنهج القرآني ، وازدهرت بهم الحضارة القرآنية ، وآتت أكلها بإذن ربها .

وقد بذل هؤلاء الصحب الكرام كل مرتخص وغال ، وخاضوا معارك ضارية ، وتحملوا من المشاق والمتاعب وصنوف التعذيب والآلام ما لا يُقبل لبشر به ، فتحملوا كل ذلك بصبر وجلد ، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والبذل والعطاء ، وبذلوا جهوداً جبارة مباركة في سبيل ما آمنوا به ليصبح المنهج القرآني الفريد واقعاً ملموساً في حياة البشر .

ولا وجه للمقارنة بينهم وبين من سبقهم من أصحاب الرسائل السابقة والكتب السماوية

الأخرى ، ولا بين دعوتهم ورسالتهم ودعوات ورسالات من سبقهم ، فقد كانت كل رسالة سابقة عليهم لفئة من البشر في بقعة معينة من الأرض لمدة محدودة من الزمن ، أما هم فقد كان عليهم أن يبلغوا دعوة نبيهم إلى كافة أرجاء المعمورة جيلاً بعد جيل إلى قيام الساعة ، وذلك لأن دعوة نبيهم هي الدعوة الخالدة الشاملة الخاتمة للعالم أجمع ، فقد قال رسول الله ﷺ : (( .. وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة )) .

[ رواه البخاري ( ح ٣٣٥ ) ، ومواضع ] .

فما أحوج البشرية اليوم - بعد أن تردت قيمها وانتكست فضائلها - إلى بعث إسلامي جديد بعودة إلى المنهج القرآني الذي أنقذ البشرية بالأمس ، وهو القادر - بإذن الله - على انتشالها من هوة وحمأة ما هوت إليه .

وما أحوج أهل الإسلام خاصة - في هذه الحقبة الكئيبة من تاريخها - إلى عود حميد إلى السبب الوحيد لعزها ومجدها على مرّ التاريخ ، إلى القرآن والسنة من جديد : ( فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ) . كما قال الإمام مالك ، رحمه الله .

وقال رسول الله ﷺ : (( تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه )) . [ رواه مالك ص ( ٨٨٩ ) ، وانظر (( الصحيحة )) ( ٣٦١/٣ ) ، و (( المشكاة )) ( ١٨٦ ) ] .

فإلى الإسلام يا عباد الله ، فإما شريعة الله ، وإما أهواء الذين لا يعلمون ، وإما هدي الله ، وإما غواية الشيطان ، ولا ثالث لهما .

(و) أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

الأكل شيء ما خلا الله باطل ) . [ رواه البخاري ( ٥٣/٥ ) ] .

رُفعت الأقلام ، وجفت الصحف .

# أولئك الرجال حقاً .. رجال المساجد

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

نبع الإيمان والرحمة والروح والريحان ، حيث يشتاق الملهوفون والمتضرعون والمستغيثون ، حيث يحن الركعون الساجدون ، يستشعرون أنه فيها طمأنينة وسكينة البيت ، حيث يقول النبي ﷺ : (( المسجد بيت كل مؤمن ))<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ : (( المسجد بيت كل تقى ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله ؛ إلى الجنة ))<sup>(٢)</sup>.

فقد قال عدي بن حاتم ، رضي الله عنه : ( ما دخل وقت صلاة حتى اشتاق إليها ) . وقال رضي الله عنه : ( ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء )<sup>(٣)</sup>.

وقال إمام التابعين سعيد بن المسيب : ( ما دخل علي وقت الصلاة إلا وقد أخذت أهبتها ، ولا دخل علي قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق )<sup>(٤)</sup> .

وقد أمر الله ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها من الدنس واللفو من الأقوال والأفعال التي لا تليق ،

﴿ في بيوت أنين الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأنصار ﴿ ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [ النور : ٣٦ - ٣٨ ] .

لما ذكر الله النور في آية النور ، ذكر المحل الذي يتجلى فيه ، ويتبلور هذا النور لتتصل به القلوب المؤمنة وتقتبس منه ، وهي المساجد التي هي خير بقاع الأرض على الإطلاق ، وأحب البقاع إلى الله ، وهي بيوته التي فيها يُعبد ويوحّد ، فقد قال النبي ﷺ : (( خير البقاع المساجد ، وشر البقاع الأسواق ))<sup>(٥)</sup>.

وقال ﷺ : (( أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها )) . [ رواه مسلم ] .

وهي أحب البقاع إلى قلوب عباد الله المخلصين ، وهذا من تمام وكمال حبهم لمولاهم ، وإليها يهرع من يريد المسكينة والطمأنينة ، ومن أرهقته ماديات الحياة ، وألرقها ، إلى حيث الطهر والطهارة ، إلى

(٢) رواه أبو نعيم ، وحسنه الألباني في (( صحيح الجامع )) ( ح ٦٥٧٨ ) .

(٣) رواه الطبراني وغيره ، وحسنه البزار والمنذري ، وصححه

الألباني في (( صحيح الزغب )) ( ص ١٣١ ) .

(٤) (( سير أعلام النبلاء )) ( ٣/١٦٤ ) .

(٥) (( الحلية )) ( ٢/٩٥ ، ٩٦ ) .

(١) رواه الطبراني والحاكم ، وحسنه الألباني في (( صحيح الجامع )) ( ح ٣٢٦٦ ) ، وانظر (( صحيح الزغب )) ( ح ٣٢٣ ) .

● نهى النبي ﷺ عن النخامة والتفل والبصاق في المسجد ، ومن فعل ذلك فعليه إزالته أو دفنه ، وقد نهى عن نشد الضالة في المسجد ، أو البيع والشراء ورفع الصوت .  
● المسجد بيت كل تقى ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة .

بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله ، في صحته وحياته ، تحفته من بعد موته (١) .

وقد أمر النبي ﷺ ببناء المساجد وتطهيرها وتطبيبتها ، فعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : ( أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور - أي القبائل - وأن تُنظف وتُطَبَّ ) (٢) .

وعن سبرة بن جندب ، رضي الله عنه ، قال : ( أمرنا رسول الله ﷺ أن نتخذ المساجد في ديارنا ، وأمرنا أن نُنظفها ) . [ رواه أحمد وغيره ، وصححه الألباني ] .

ولذا نهى النبي ﷺ عن النخامة والتفل والبصاق في المسجد ، ومن فعل ذلك فعليه إزالته أو دفنه ، فقد قال رسول الله ﷺ : (( البصاق في المسجد خطيئة ، وكفارتها دفنها )) . [ رواه الستة ، إلا ابن ماجه ] . وقد كان عمر يجمر مسجد رسول الله ﷺ كل

فقد أذن الله لمن أراد به الخير أن يبنيها ، ووعده على ذلك الجنة ، فقد قال رسول الله ﷺ : (( من بنى مسجداً بيتني به وجه الله ، بنى الله له بيتاً في الجنة )) . وفي رواية : (( بنى الله له مثله في الجنة )) (٣) .

وقال النبي ﷺ : (( من بنى لله مسجداً قدر مَفْخَصِ قِطَاةٍ - أي مجتمها لتبيض - بنى الله له بيتاً في الجنة )) (٤) .

وفي حديث : (( من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً ... )) . وفي حديث : (( .. بنى الله له بيتاً في الجنة أوسع منه )) . وفي حديث : (( .. أفضل منه )) . وفي حديث : (( من بنى مسجداً لا يريد به رياء ولا سمعه .. )) (٥) .

وقال النبي ﷺ : (( إن مما يحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته ، علماً علمه ونشره ، أو لئذا صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً

(١) رواه البخاري ومسلم ، قال الألباني في (( صحيح الرغيب )) ( ص ١٠٩ ) عن معنى (( مثله )) : أي في الشرف والفضل والتوفير ؛ لأنه جزء المسجد ، ليكون مثلاً له في صفات الشرف .

(٢) رواه البزار والطبراني وابن حبان ، وصححه الألباني في (( صحيح الرغيب )) .

(٣) وقد حسن الألباني هذه الأحاديث في (( صحيح الرغيب )) .

(٤) رواه ابن ماجه وغيره ، وقد حسنه المنذري والألباني ، كما في (( صحيح الرغيب )) ( ص ١١١ ) ، وانظر حديث أنس في (( صحيح الجامع )) ( ح ٣٦٠٢ ) .

(٥) رواه أحمد وأصحاب السنن ، إلا السائي ، وصححه الألباني في (( صحيح الرغيب )) ( ص ١١٣ ) ، و(( مشكاة المصابيح )) ( ح ٧١٧ ) .

جمعة . [ رواه أبو يعلى ، وحسن إسناده ابن كثير في (( تفسيره )) ] .  
وقد نهى النبي ﷺ عن نشد الضالة في المسجد ، وأيضاً نهى عن البيع والشراء فيه ، وعن رفع الصوت ، وعن التباهي في المساجد ، وتناشد الأئمة افتخراً ومباهاة ، أو تضييعاً للأوقات ، وعن اتخاذها قبوراً ، وأن يدعى مع الله أحد فيها ، وأن لا تتخذ طرقاً بغير ذكر أو صلاة ، كما نهى أن يستقذ في المسجد ، أو تقام فيه الحنود .. إلى آخر آداب المساجد<sup>(١)</sup> .

وقد قال النبي ﷺ : (( ... إنما بُنيت المساجد لما بُنيت له )) . [ رواه مسلم ] ، وقد بين ذلك في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد ، فقال له : (( إن المساجد لم تبني لهذا ، إنما بُنيت لذكر الله والصلاة فيها )) . فلم تجعل المساجد للهو الحديث - كما نرى في زماننا هذا - فقد قال رسول الله ﷺ : (( سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ، ليس لله فيهم حاجة )) . [ رواه ابن حبان ، وحسنه الألباني في (( صحيح الترغيب )) ( ص ١١٩ ) ] .

وقال ﷺ : (( سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد جلقاً جلقاً ، إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم ، فإنه ليس لله فيهم حاجة ))<sup>(٢)</sup> .  
وقد أن الله لمن أراد به الخير أن يغير هذه

المساجد التي أقيمت لتقوى الله وعبادته ، فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَغْفِرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ . [ إنما يغير مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فسوى أولئك أن يكونوا من المهتدين ] [ التوبة : ١٧ ، ١٨ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَلَّوْا كُلَّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [ الأعراف : ٢٩ ] ، وقد قال النبي ﷺ : (( من غدا إلى المسجد وراح ، أعد الله له نزلاً من الجنة كلما غدا أو راح )) . [ أخرجه البخاري ] . وقال ﷺ :

(( صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة ، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة ؛ لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها

درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ، وتُصلي الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي يُصلي فيه ، يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، اللهم تب عليه ، ما لم يؤذ فيه أو يُحدث فيه )) . [ متفق عليه ] . وقال ﷺ : (( إذا تطهر الرجل ، ثم أتى المسجد يرعى الصلاة ، كتب له كتاباه أو كتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات ، والقاعد يرعى الصلاة كالفقير<sup>(٣)</sup> ، ويكتب من المصلين ، من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه ))<sup>(٤)</sup> .

وقال ﷺ : (( من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا يُصعبه إلا إياه ، فأجره كأجر المعتمر ، وصلاة على أثر صلاة ، لا لغو بينهما ، كتاب في عليين )) . [ رواه أبو داود ، وحسنه الألباني ] .

ويزداد الأجر ويغظم الثواب إذا كان السير إلى المسجد في ظلمة الليل ، والجزاء من جنس العمل ، فمن تحمل السير في الظلام إلى المسجد فأجره أن ينال النور يوم القيامة ، يوم يغظم الاحتياج إلى التور ليجتاز الصراط إلى الجنة ، فيقول الرسول ﷺ : (( بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة ))<sup>(٥)</sup> .

وكما كانت الدور أبعد عن المسجد والخطوات أكثر كل الأجر أعظم ، فقد قال رسول الله ﷺ : (( الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً )) . [ رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ] . وقال ﷺ : (( إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أهدم إليها ممثسى فأهدم ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصلبها مع الإمام ، أعظم أجراً من الذي يصلبها ثم ينام )) . [ متفق عليه ] . وقال ﷺ : (( إسباغ الوضوء في المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، تغسل الخطايا غسلًا ))<sup>(٦)</sup> . وقال ﷺ : (( ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ )) قالوا : بلى ، يا رسول الله ؟ قال :

(٣) القنوت له عدة معان : منها السكوت ، والدعاء ، والطاعة ، والتواضع ، وإدامة الحج ، وإدامة الغزو ، والقيام في الصلاة .. قال المنذري : ( وهو المراد في هذا الحديث ) .

(٤) رواه أحمد وغيره ، وقد صححه المنذري والألباني في (( صحيح الترغيب )) ( ص ١٢١ ، ١٨٣ ) .

(٥) رواه أبو داود والترمذي ، وصححه في (( الترغيب )) ( ص ١٢٦ ) ، وقد رواه جمع من الصحابة ، فانظره هناك ( ص ١٢٧ ) .

(٦) رواه أبو يعلى والبخاري بإسناد صحيح ، قاله المنذري كما في (( صحيح الترغيب )) ( ح ٣١١ ) .

(١) راجع الأحاديث في (( صحيح الترغيب )) ( ص ١١٤ - ١٩٩ ) ، و(( مسكاة المصابيح )) باب : المساجد ومواضع الصلاة .

(٢) رواه الطبراني وغيره ، وصححه الألباني في (( الصحيحة )) ( ح ١١٦٣ ) .

وقال رسول الله ﷺ : (( ثلاثة في ضمان الله عز وجل : رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل ، ورجل خرج غازياً في سبيل الله تعالى ، ورجل خرج حاجاً ))<sup>(٤)</sup> .

وهؤلاء الذين توطنوا المساجد هم أوتادها ولهم جلساء من الملائكة ، كما قال رسول الله ﷺ : (( إن للمساجد أوتاداً ، هم أوتادها ، لهم جلساء من الملائكة ، فإن غابوا سألوا عنهم ، وإن كانوا مرضى عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم ))<sup>(٥)</sup> .

وطالما كان العبد في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ، وتدعو له الملائكة ، كما قال رسول الله ﷺ : (( لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة )) .

[ متفق عليه ] . وفي رواية للبخاري ولمسلم نحوها : (( إن أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ، والملائكة تقول : اللهم اغفر له ، اللهم

ارحمه ، ما لم يقم من مصلاه ، أو يُخِذْ )) . وقد تقدمت أحاديث تدخل في هذا المعنى . وهؤلاء يباهي الله بهم الملائكة ، فعن عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : صلينا مع رسول الله ﷺ

المغرب ، فرجع من رجوع ، وغيب من عقب ( أي تأخر من تأخر ) ، فجاء رسول الله ﷺ مسرعاً قد حفزه النفس ، قد حسر عن ركبتيه ، قال :

(( أبشروا ، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء ، يباهي بكم الملائكة ، يقول : انظروا إلى عبدي ، قد قضوا فريضة ، وهم ينتظرون أخرى ))<sup>(٦)</sup> .

كل هذا الخير وكل هذا الفضل ينزل من الله على أهل المساجد ؛ لأنهم زوار الله ، وحق على المزور أن يكرم زائره ، فما بالكم بأكرم الأكرمين سبحانه وتعالى ، يقول النبي ﷺ : (( من تواضأ في بيته فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد فهو زائر الله ، وحق على المزور أن يكرم الزائر ))<sup>(٧)</sup> . وقال أيضاً

رسول الله ﷺ : (( إن الله لينادي يوم القيامة : أين جبرتي ؟ أين جبرتي ؟ قال : فتقول الملائكة : ربنا ، ومن ينفي أن يجورك ؟ فيقول : أين غلر للمسجد ؟ ))<sup>(٨)</sup> .

(( إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط )) . [ رواه مسلم وغيره ] .

وقال ﷺ : (( منتظر الصلاة بعد الصلاة ، كفارس اشتد به فرسه في سبيل الله على كسبه - أي عدوه المضرر العدو - وهو في الرباط الأكبر ))<sup>(٩)</sup> .

وهذا المجاهد المرابط لا يكون إلا لمن قلبه مُطَقٌّ بالمساجد .. يتردد على المسجد خمس مرات ، وما أشبع منه وطره ، كلما تركه هذا القلب إليه اشتواقاً فأسرع إليه ، لا يشعر باللذة إلا بذلك ، بل لا يعرف معنى الحياة إلا بذلك ، فالمسجد له كالماء للمسك لا يحيا بعيداً عنه ، كما قال رسول الله ﷺ : (( سبعة يُظلمهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ، أي في ظل عرشه ... )) . وذكر منهم : (( ورجل قلبه مطقٌّ بالمساجد )) . [ متفق عليه ] .

جعل المسجد بيته ووطنه ، فيه أسرته ووطنوته وسكنته ، فلا يجد الراحة إلا في رحابه ، والرب تبارك وتعالى مقبل على عبده هذا فرح به ، يرضى عنه ويقربه منه ويكرمه . وقد مضى حديث النبي ﷺ :

(( المسجد بيت كل تقي ، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة ، والجواز على الصراط إلى رضوان الله ؛ إلى الجنة )) .

وهؤلاء الذين استوطنوا المساجد وجعلوها مجالسهم وبيوتهم وحرصوا على المشي إليها هم في ضمان الله وأمنه وراحته ورحمته وإكرامه ، فهم ممن قال فيهم رسول الله ﷺ : (( ست مجالس المؤمن ضامن على الله تعالى ما كان في شيء منها : في مسجد جماعة ، وعند مريض ، أو في جنازة ، أو في بيته ، أو عند إمام مقسط يعززه ويؤقره ، أو في مشهد جهاد ))<sup>(١٠)</sup> . وقال رسول الله ﷺ :

(( ثلاثة كلهم ضامن على الله : رجل خرج غازياً في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة ، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل دخل بيته بسلام ، فهو ضامن على

الله ))<sup>(١١)</sup> .

(١) رواه أحمد والطبراني ، كما في (( صحيح الرغيب )) ( ح ٤٥٠ ) وحسنه .  
(٢) رواه الطبراني وغيره ، وقد حسنه الألباني .  
(٣) رواه أبو داود وغيره ، وانظر (( صحيح الجامع )) ( ح ٣٠٤٨ ) .

(٤) رواه أبو نعيم ، وانظر (( الصحيحة )) ( ح ٦٠٠ ) .  
(٥) رواه أحمد ( ح ٩٤١٤ ) ، والحاكم ، وصححه الألباني في (( صحيح الرغيب )) ( ح ٣٢٧ ) ، وقد ورد موقوفاً عن عبد الله بن سلام عند الحاكم ( ٣٩٨/٢ ) .

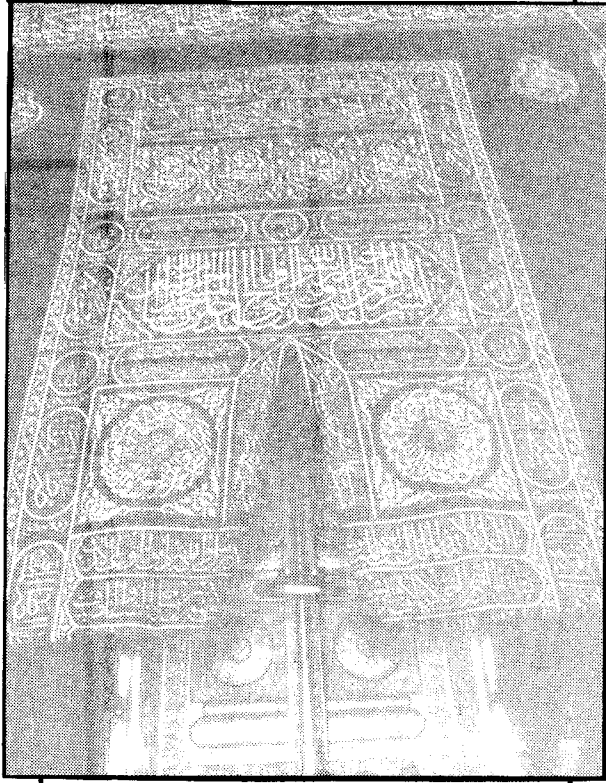
(٦) رواه ابن ماجه ، وانظر (( صحيح الجامع )) ( ح ٤٤٥ ) .  
(٧) رواه الطبراني ، وحسنه المنذري والألباني في (( صحيح الرغيب )) ( ح ٣٢٠ ) .  
(٨) رواه الحارثي في (( مسنده )) ، وصححه الألباني في (( الصحيحة )) ( ح ٢٧٢٨ ) .

قال تعالى : ﴿ فِي بَيْوتِ أَنْبَاءِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ  
وَيَذَكَرُ فِيهَا اسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾  
رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ  
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ  
وَالْأَبْصَارُ ﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ  
مَنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿  
[ النور : ٣٦ - ٣٨ ] .

قوله تعالى : ﴿ وَيَذَكَرُ فِيهَا اسْمَهُ ﴾ أي : اسم  
الله ، وقال ابن عباس : يعني يتلى كتابه ، وقوله  
تعالى : ﴿ فِي بَيْتٍ لَهُ فِيهَا ﴾ قال ابن عباس : كل  
تسبيح في القرآن هو الصلاة . ﴿ بِالْغُدُوِّ  
وَالْآصَالِ ﴾ أي : في أوقات الصباح وآخر النهار .  
وقوله : ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ قرئت بكسر الباء وبفتوحها ؛  
فمن قرأها بالكسر جعلها فعلاً وقاطعه :  
﴿ رَجَالٌ ﴾ ، وحينئذ لا يحسن الوقف إلا على  
الفاعل ؛ لأنه تمام الكلام ، ومن قرأها بالفتح جعلها  
فعلاً مبنياً للمجهول لم يسم فاعله ، وأصبح الوقف  
على قوله : ﴿ وَالْآصَالِ ﴾ وقفاً تاماً ، وابتدأ  
بقوله : ﴿ رَجَالٌ ﴾ ، وكأنه مفسر للفاعل  
المحذوف .

وقوله تعالى : ﴿ رَجَالٌ ﴾ فيه إشعار بهمهمهم  
السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا  
عماراً للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه  
ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه .

وقوله تعالى : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ  
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ  
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾  
[ المنافقون : ٩ ] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى  
ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ [ الجمعة : ٩ ] ، والآية  
معناها : لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملذات  
بيعها وربحها عن أن يأتوا الصلاة في أوقاتها في  
جماعة ، وأن يذكروا ربهم الذي هو خالقهم



## أولئك الرجال

## حقاً ..

## رجال المساجد

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

ورازقهم ، والذي يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأتباع مما بأيديهم ؛ لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق .

قال مطر الوراق : كانوا يبيعون ويشترون ، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزاته في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة<sup>(١)</sup> .

كان إبراهيم بن ميمون المروزي - ومهنته الصياغة وطرق الذهب والفضة - كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردّها !

أحين اشتياقاً للمساجد لا إلى

قصور وفرش بالطراز موشح

كان السلف - رحمهم الله وحشرنا في زمريهم - أكثر الناس تعظيماً لأوامر الله وإتياناً لفرائض الله ، بل كانوا أعظم الناس اشتياقاً للقاء الله ومناجاته والوقوف بين يديه ، فكانوا يلَبّون سراعاً نداء الصلاة ، كما قال النبي ﷺ : (( إذا سمعت النداء فأجب داعي الله ))<sup>(٢)</sup> .

وقال ﷺ : (( من سمع النداء فلم يأتيه ، فلا صلاة له إلا من عذر ))<sup>(٣)</sup> . وقال ابن عباس ، رضي الله عنهما : ( من سمع : حيّ على الفلاح فلم يُجب ، فقد ترك سنة محمد رسول الله ﷺ )<sup>(٤)</sup> .

وقال سفيان بن عيينة : ( لا تكن مثل عبد السوء لا يأتي حتى يُدعى ، أت الصلاة قبل النداء<sup>(٥)</sup> )<sup>(٦)</sup> . وقال أيضاً : ( إن من توفير الصلاة أن تأتي قبل الإمامة )<sup>(٧)</sup> .

فكانوا - رحمهم الله - يأتون الصلاة في المساجد وهم مرضى أصحاب أعدار ، فكان الربيع بن خثيم بعد ما سقط شقّه يهادى بين رجلين إلى مسجد قومه ، يقولون : يا أبا يزيد ، لقد رخص لك ، لو صليت في بيتك ! فيقول : ( إته كما تقولون ، ولكني سمعته يُنادي : حيّ على الفلاح ، فمن سمعه منكم ينادي : حيّ على الفلاح ، فليجبه ولو زحفاً ، ولو حبواً )<sup>(٨)</sup> .

وسمع عامر بن عبد الله المؤذن وهو يوجد بنفسه ، ومنزله قريب من المسجد ، قال : ( خذوا بيدي ) ، فقيل له : إتك عليل ، فقال : ( أسمع داعي الله فلا أجيبه !؟ ) فأخذوا بيده ، فدخل في صلاة المغرب ، فرجع مع الإمام ركعة ، ثم مات ، رحمه الله<sup>(٩)</sup> )<sup>(١٠)</sup> .

وكان أبو عبد الله محمد بن حنيف الشيرازي به وجع الخاصرة ، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة ، فكان إذا نُودي للصلاة يُحمل على ظهر رجل ، فقيل له : لو خففت على نفسك ؟ قال : ( إذا سمعتم : حيّ على الصلاة ، ولم تروني في الصف ، فاطلبوني في المقبرة )<sup>(١١)</sup> .

وقيل لسعيد بن المسيب : إن طارقاً يريد قتلك ، فتقرب ، فقال : ( أبحيث لا يقدر الله عليّ ؟ ) فقيل له : اجلس في بيتك ، فقال : ( أسمع : حيّ على الفلاح ، ولا أجيب !؟ )<sup>(١٢)</sup> .

وكان أبو عبد الرحمن السلمي يُحمل وهو مريض إلى المسجد ، بل كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد وهو مريض .

(١) النظر « تفسير » ابن كثير (٣/٢٩٤، ٢٩٥) .

(٢) رواه الطبراني ، كما في « صحيح الترغيب » .

(٣) رواه ابن ماجه وغيره ، كما في « صحيح الترغيب » (ح ٤٢٤) ، والنظر (ص ١٧٤) .

(٤) رواه الطبراني ، كما في « صحيح الترغيب » (ح ٤٣٢) .

(٥) قلت : رحك الله يا ابن عيينة : لماذا عن الآبق الذي يهرب من سيده فلا يجيب نداءه !؟

(٦) « البصرة لابن الجوزي » (١/١٣٧) .

(٧) « صفة الصفوة » (٢/٢٣٥) .

(٨) « حلية الأولياء » (٢/١١٣) .

(٩) قد مات بعض الصالحين في الصلاة في المسجد ، مثل : حماد بن سلمة .

النظر « السير » (٧/٤٤٤) .

(١٠) « سير أعلام النبلاء » (٥/٢٢٠) ، « صفة الصفوة » (٢/١٣١) .

(١١) « السير » (١٦/٣٤٦) .

(١٢) « تفسير القرطبي » (٢٥١) .

فكان لا يحول بينهم وبين صلاة الجماعة إلا الموت ، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي داوم وحرص على صلاة الجماعة حتى في مرض موته ﷺ ، وسلفهم هم صحابة رسول الله ، رضي الله عنهم أجمعين ، فيقول عبد الله بن مسعود : ( من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإتهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد ، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف )<sup>(١)</sup> .

وعن ابن عمر قال : ( كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن )<sup>(٢)</sup> .

ولقد رهب النبي ﷺ من التخلف عن صلاة الجماعة ، فقال ﷺ : (( والذي نفسي بيده ! لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم )) . متفق عليه .

وروي عن عمر أنه قال : ( ما بال أقوام يتخلفون ، يتخلف بتخلفهم آخرون ، والله ، لقد هممت أن أرسل إليهم ، فيجأ ( أي يضرب ) أعناقهم ، ثم يقال : اشهدوا الصلاة )<sup>(٣)</sup> .

ولم يُرخص النبي ﷺ للأعمى طالما سمع النداء في التخلف عن حضور الجماعة ، فقد أتى النبي ﷺ رجل أعمى ( وهو ابن أم مكتوم ، رضي الله عنه ) ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فسأل رسول الله ﷺ أن يُرخص له فيصلي في بيته ، فرخص له ، فلما ولى دعاه ، فقال له : (( هل تسمع النداء بالصلاة ؟ )) قال : نعم . قال : (( فأجب )) . رواه مسلم .

وعن ابن أم مكتوم المؤذن أنه قال : يا رسول الله ، إن المدينة كثيرة الهوام ( أي كالأفعى والعقرب والسباع ) ، فقال رسول الله ﷺ : (( تسمع حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، فحيها )) . أي تعال<sup>(٤)</sup> .

هذا ، وقد حض النبي ﷺ لا على إجابة داعي الله وإتيان الصلاة في جماعة في المسجد فحسب ؛ لكنه ﷺ رغب المسلمين في المبادرة إلى الذهاب إلى المساجد والتبكير في شهود الجمع والجماعات والحرص على الصف الأول في الصلاة وإدراك تكبيرة الإحرام خلف الإمام ، فقد قال رسول الله ﷺ : (( لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه - أي يفترعوا عليه - لاستهموا ، ولو يعلمون ما في التهجير - أي التبكير إلى المسجد - لاستيقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العمة والصبح لأتوهما ولو حبوا )) . متفق عليه .

وعن العرياض بن سارية ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يستغفر للصف المتقدم ثلاثاً ، ولثلاثي مرة<sup>(٥)</sup> .

وقال رسول الله ﷺ : (( إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول )) . قالوا : يا رسول

(١) رواه مسلم (ح ٦٤) ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه ابن خزيمة وغيره ، كما في « صحيح الترغيب » (ح ٤١٤) . وانظر ترجمته في رسالتي « الفضائل العشر لشهود صلاة الفجر » (ص ١٩) .

(٣) انظر « كنز العمال » (٢٥٢/٨) .

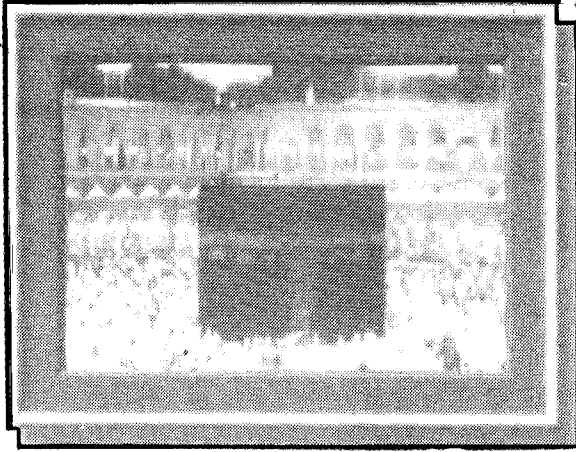
(٤) رواه أبو داود بإسناد حسن ، قاله النووي في « رياضته » (ح ١) .

٠٧٤ .

(٥) رواه ابن ماجه والنسائي وغيرهما ، كما في « صحيح الترغيب » (ح ٤٨٩) .

٤٨٩ .





وعن بشر بن عاصم أنه قال : قلت لسعيد بن المسيب : يا عم ، ألا تخرج فتأكل اليوم مع قومك ؟ قال : معاذ الله يا ابن أخي ، أدع خمسا وعشرين صلاة خمس صلوات (٧) !؟

وقال وكيع بن الجراح : ( كان الأعمش - وهو سليمان بن مهران - قريبا من سبعين سنة لم تفتته التكبيرة الأولى ) (٨). وكان يحيى القطان إذا ذكّر الأعمش قال : كان من النساك ، وكان محافظا على الصلاة في الجماعة وعلى الصف الأول . وقال يحيى : وهو علامة الإسلام . وكان يحيى يلتمس الحائط حتى يقوم في الصف الأول (٩) . إنه الحرص على الصف الأول ، حتى بعد أن ذهب بصره .

وقال يحيى بن معين عن يحيى بن سعيد : إنه لم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة (١٠) . وبشر بن منصور قال عنه ابن أخيه أسيد بن جعفر : ( ما فاتته التكبيرة الأولى قط ) (١١) .

وكان بشر بن الحسن يُقال له : ( الصنفي ) ؛ لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة . وقال ابن سماعة : ( مكثت أربعين

الله ، وعلى الثاني ؟ قال : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول » . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ؟ قال : « على الثاني » (١) .  
وقال : « خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها » . رواه مسلم .  
وقال : « من صلى أربعين يوما في جماعة ، يُدرك التكبيرة الأولى ، كتب له براءة من براءة من النار ، وبراءة من النفاق » (٢) .

وقد رهب النبي ﷺ من التأخر عن شهود الصلاة في الصف الأول ، فقال : « لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار » (٣) .

ولذا كان سلفنا الصالح مضرب المثل في كثرة الخطا إلى المساجد والتكبير لشهود صلاة الجماعة ، بل في توطن المساجد ، كما قال ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح : ( كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس صلاة ) (٤) ، وقال ربيعة بن يزيد : ( ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة ، إلا وأنا في المسجد ، إلا أن أكون مريضا أو مسافرا ) (٥) .

وعن سعيد بن المسيب إمام التابعين أنه قال : ( ما فاتني التكبيرة الأولى منذ خمسين ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة ) . وقال أيضا : ( ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد ) (٦) .

(٧) لأن صلاة الجماعة تعدل صلاة المفرد بخمس وعشرين درجة .  
(٨) « السير » (٢٢٨/٦) ، و« تذكرة الحفاظ » (١٥٤/١) ، و« صفة الصفة » (١١٧/٣) .  
(٩) « الخلية » (٤٩/٥) ، (٥٠) .  
(١٠) « السير » (١٨١/٩) .  
(١١) « الخلية » (٢٣٩/٦) ، (٢٤٠) ، و« صفة الصفة » .

(١) رواه أحمد ، وحسنه الألباني .  
(٢) رواه الرملي وغيره ، وحسنه الألباني في « صحيح الرغيب » ( ح ٤٠٧ ) .  
(٣) رواه أبو داود وغيره ، كما في « صحيح الرغيب » ( ح ٥١٠ ) .  
(٤) « السير » (٨٤/٥) .  
(٥) « السير » (٢٣٩/٥) ، (٢٤٠) .  
(٦) كلاهما في « الخلية » (١٦٢/٢) ، (١٦٣) ، وانظر « وفيات الأعيان » (٣٧٥/٢) .

سنة لم تفتني للتكبير الأولى إلا يوم ماتت أمي (١) .  
فقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة بالعمل  
بقول النبي ﷺ : « مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي  
جَمَاعَةٍ ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى ، كُتِبَ لَهُ بِرَاعَتَانِ :  
بِرَاعَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَبِرَاعَةٌ مِنَ النَّفَاقِ » (٢) . وكان  
إبراهيم التيمي ، رحمه الله ، يقول : ( إذا رأيت  
الرجل يتهاون في التكبير الأولى ، فاغسل يديه  
منه ) (٣) (٤) .

وقد حرص بعض سلفنا على العمل بحديث  
رسول الله ﷺ الذي قال : « مَنْ أَدْنَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ  
سَنَةً وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْدِينِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
سِتُونَ حَسَنَةً ، وَبِرِاقَمَتِهِ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً » (٥) .

إلى غير ذلك من أحاديث تبين فضل الأذان  
وثواب المؤذنين ، وقد ورد عن أبي العباس  
محمد بن يعقوب الأصم ، أن الحاكم قال عنه :  
( بلغني أنه أدن سبعين سنة في مسجده ) (٦) .

من أجل كل هذا ، كان السلف إذا فاتتهم تكبيرة  
الإحرام عزوا أنفسهم ثلاثة أيام ، وإذا فاتتهم  
الجماعة عزوا أنفسهم سبعة أيام (٧) .

كان أبو الليث الطرسوسي يُعزّي ، فقليل له : ما  
شأنه ؟ قالوا : فاتته صلاة الجماعة (٨) ، وقال حاتم  
الأصم : ( فاتتني الصلاة في الجماعة - أي مرة  
واحدة - فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ، ولو  
مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف ؛ لأن

(١) « السير » (٦٤٦/١٠) .

(٢) رواه الرمزي وغيره ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » ( ح  
٤٠٧ ) .

(٣) قلت : ماذا لو رأى زمانا ؟ فليغسل يده من معظم المسلمين ! وأنا لله  
وإنا إليه راجعون !!

(٤) « الحلية » (٢١٥/٤) ، والسير (٦٥ ، ٦٢/٥) ، و« صفة الصغرة »  
(٨٨/٣) .

(٥) رواه ابن ماجه وغيره ، كما في « صحيح الجامع » ( ح ٥٨٧٨ ) .

(٦) « السير » (٤٥٥/١٥) .

(٧) « تحفة الأحوذى » (٤٥/٢) .

(٨) « تاريخ واسط » لبحشل (١٧٤) .

مصيبية الدين أهون عند الناس من مصيبة  
الدنيا (٩) ، وكان سعيد بن عبد العزيز إذا فاتته  
صلاة الجماعة ، بكى (١٠) !!

وكان المُزني - تلميذ الإمام الشافعي - إذا  
فاتته صلاة الجماعة ، صلى تلك الصلاة خمسًا  
وعشرين مرة (١١) ، وكان الأسود إذا فاتته صلاة  
الجماعة ذهب إلى مسجد آخر (١٢) ، وجاء ضمام بن  
إسماعيل إلى المسجد وقد صلى الناس وفاتته  
الصلاة ، فجعل على نفسه ألا يخرج من المسجد  
حتى يلقى الله ، قال : فجعله بيته حتى مات (١٣) .  
وقال القاضي سليمان بن حمزة المقدسي : ( لم  
أصل الفريضة منفرّدًا إلا مرتين ، وكأني لم أصلهما  
قط ) . مع أنه قارب التسعين !!

وأتى ميمون بن مهران المسجد ، فقليل له : إن  
الناس قد انصرفوا ، فقال : ( إنا لله وإنا إليه  
راجعون ، لفضل هذه الصلاة أحب إلي من ولاية  
العراق ) (١٤) . وقال يونس بن عبد الله : ( ما لي  
تضيق لي الدجاجة فأجد لها ، وتفوتني الصلاة فلا  
أجد لها !؟ ) (١٥) .

إنهم كما قال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا ﴾ ؛ أي  
يوم القيامة ، ﴿ تَتَّقِلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ؛  
أي من شدة الفرع وعظم الأحوال ، ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ  
أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ ؛ فيقبل منهم حسناتهم ويتجاوز  
عن سيئاتهم ، ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ ؛ أي  
يضاعفه لهم ويدخلهم الجنة ، ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ  
يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

جعلنا الله منهم ، وحشرنا في زمرةهم .

(٩) « الإحياء » (١٧٧/١) ، و« مكاشفة القلوب » ( ص ٣٦٤ ) .

(١٠) « تذكرة الحفاظ » (٢١٩/١) .

(١١) « السير » (٤٩٢/١٢) .

(١٢) « صحيح الخلفاء إسناده في » الفتح » (١٣١/٢) .

(١٣) « العطل » لأحمد رقم (٥٠٣٣) .

(١٤) « مكاشفة القلوب » ( ص ٣٦٤ ) .

(١٥) « الحلية » (١٩/٣) ، و« صفة الصغرة » (٣٠٧/٣) .

# قبل أن

## تغرق

### السفينة

# أنقذوا

## الشباب

بقلم الشيخ / محدي قاسم

إن الشباب هم اليوم والغد ، هم عنوان مستقبل الأمة ومقياس تقدمها ، وقلبها النابض .. هم القوة الدافعة والشريحة الفعالة في الأمة ، وهم قوام هيكلها ورائد آمالها .. هم حُماة الوطن والمنافحون عن حرمة ، فهم سياج روضه وحرزه المكين ، وهم السواعد التي تبني وتنتج ، وهم الروح الفعالة التي تدفع عجلة الحياة ، ويمثلون في الأمة هيكلها العضلي ، ولذا تقول حفصة بنت سيرين : ( يا معشر الشباب ، اعملوا ، فاتما العمل في الشباب ) .

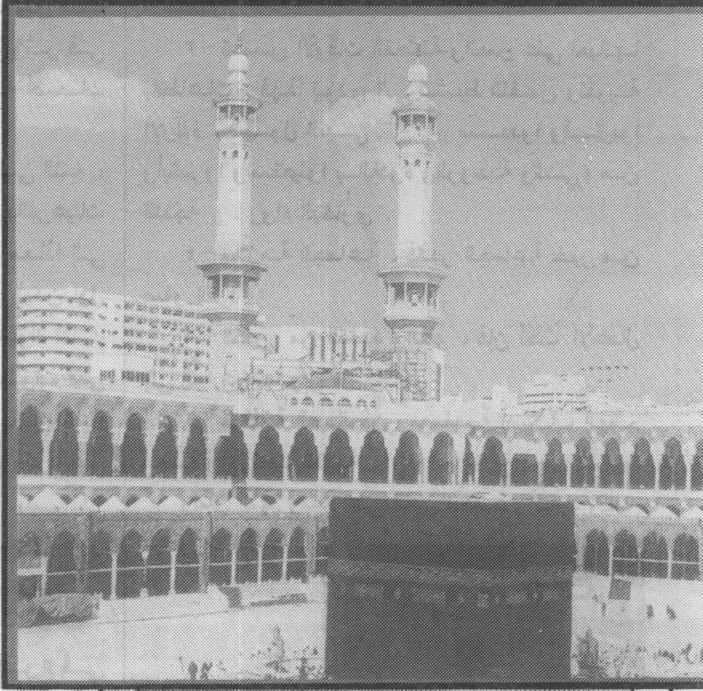
وفترة الشباب هي أزهى وأزهر فترات العمر ، وأثمن أوقاته ، وفيها نضارة الشباب وزهوته وقوته وفتوته ، وهي دور من أهم أدوار العمر في أثناء تنقله بين مراحل العمر المختلفة ، وتمتد من أوائل العشرة الثانية إلى أواخر العشرة الثالثة من العمر ، وتشهد مرحلة الشباب في بدايتها نهاية الطفولة ، والانتقال إلى المراهقة والبلوغ ، وتشهد في أواخرها النضج الجسماني والرشد العقلي والخلقي والالتزام الاجتماعي ، والشعور بالمسؤولية والاستقلال في الحياة ، وسرعان ما يرتحل الإنسان منها وينسل إلى دور الرجولة فالكهولة فالشيخوخة .

لذا وجب على الإنسان أن يستغلها أحسن استغلال وينتفع بها أتم انتفاع ، قبل أن يُولي الشباب ويندم حيث لا ينفع الندم ، ولذا يقول الرسول ﷺ : (( اغتتمُ خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك ))<sup>(١)</sup> .

والشباب هو أول من عناه النبي ﷺ بقوله : (( نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصحة والفراغ )) . رواه البخاري .

فقلما تجتمع هاتان النعمتان إلا للشباب ، وسرعان ما تزول عن الإنسان هاتان النعمتان أو إحداهما عندما يرتحل عن مرحلة الشباب فتصبح

(١) رواه الحاكم ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع »



من سرعة ارتحالها كطيف خيال . يقول أحمد بن حنبل :  
( ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط ) .  
وسيسأل كل إنسان عن هذه الفترة الخصبة من  
حياته : هل ضيعها فيما لا ينفع ولا طائل من ورائه ، أم  
انتفع بها ونفع مجتمعه وأمته ؟ وهل أطاع الله فيها أم  
عصاه ؟ فقد قال رسول الله ﷺ : (( لا تزول قدما ابن  
آدم يوم القيامة من عند ربه ، حتى يسأل عن خمس :  
عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن ماله  
من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وماذا عمل فيما  
علم ؟ ))<sup>(١)</sup> .

وهذه الفترة من العمر فيها اضطراب الشهوات وقوة  
الأعضاء ، وفورة الشباب وحيته وجموحه ، وقوة  
الفتوة .. وقد يكون ذلك سبباً لاسياق الشباب وراء  
الشهوات والملذات ، والتكالب على مطامح الدنيا  
ومطامعها ، حيث يغلب على الشباب اتباع الهوى والميل  
إلى اللهو .

فمن استطاع أن يسمو على ذلك ويجاهد نفسه ويكبح  
جماحها ويصدها عن طرق الغواية ، وينتفع بشبابه في  
طاعة الله ، فذلك الذي عدّه النبي ﷺ في السبعة الذين  
يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فقال :  
( .. وشاب نشأ في عبادة الله .. ) متفق عليه .

فشر ما يصيب الأمم في صميم أحشائها انغماسُ  
شبابها في الملذات والشهوات ، والاندفاع في تيار الغواية  
والشهوة البهيمية والنزوات ، والمروق من شريعة  
العفاف والفضائل ، وغشيان مواطن اللهو والفسوق ..  
فعدنذ تنهار الأمم ، حيث يصيب الخور والضعف عزائم  
أبنائها ، ويسنهل خضوعهم لأعدائهم ؛ فلن يأنفوا من هذا  
الخضوع والإذعان لطاعته ، بعد أن ألفوا الخضوع  
لتقليده وقيمه ، وألفوا تقليده في المظهر والمخبر ،  
وما عاد هناك أدنى فارق في السمات الظاهر ، ناهيك عن  
الحماس المتقد في السير في ركابه واتباع سننه ، كما  
أخبر بذلك الرسول ﷺ ، حيث قال : (( لتتبعن سنن  
الذين من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو

سلكوا جحر ضب سلكتموه )) . قالوا : اليهود  
والنصارى ؟ قال : (( فمن ؟ )) . متفق عليه .  
وفي رواية : (( .. وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته  
بالطريق لعلتموه ))<sup>(٢)</sup> .

إن أمة يحرص شبابها على صيانتها أعراضها وعن  
براءتها من عيوبها ويُعدها عن السيئات ، لهي على يقين  
جازم بأنهم قادرون - بإذن الله - على أن يدبروا  
عنها - إذا قاموا بأمرها - مكائد الأعداء وحلول الداء  
وانتهاك الحرمات واستباحة المقدسات . وإن أمة هؤلاء  
هم شبابها لجديرة أن تعلق بين الأمم ، وأن تكون ذات  
منعة وقوة وبأس وعلم مرفوع وعز منيع .

ولذا فيجب أن لا نستهيئ بالشباب وتربيتهم وتنشئته ،  
فعلى أكتافهم وبسواعدهم تتقدم الأمم وتعلو أو تنهار ،  
وهل أقيم هذا الدين وعلا بنيانه إلا بهؤلاء الصحب  
الكرام ، رضوان الله عليهم أجمعين ، الذين التفوا حول  
رسول الله ﷺ وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي  
أنزل معه ؟ وهل كان هؤلاء الصحب الأول في مجملهم إلا  
شباباً ؟ فوقت البعثة النبوية ؛ كان عمر بن الخطاب ،  
رضي الله عنه ، يبلغ من العُمر (٢٧) عاماً ، وكان  
عُمر عثمان بن عفان (٣٤) عاماً ، وكان أبو عبيدة بن  
الجراح (١٣) عاماً ، وكان سعد بن أبي وقاص (١١)  
سنة ، وكان عمر سعيد بن زيد قريباً من ذلك ، وكان  
عُمر علي بن أبي طالب عند إسلامه عشر سنوات ،  
وكان عُمر الزبير بن العوام ثماني سنوات .

هذا ، وقد أسلم معاذ بن جبل وعُمره ثماني عشرة  
سنة ، وولاه النبي ﷺ على اليمن وكان عُمره دون  
الثلاثين ، وقد ولي النبي ﷺ أسامة بن زيد إمره الجيش  
في آخر حياته - وفيه من فيه من كبار الصحابة - وكان  
عُمره (١٦) سنة ، رضي الله عنهم أجمعين ، وحشرنا  
الله في زمرة يوم الدين .  
وإننا نتهيب بكل من وكل إليه تربية وتنشئة هؤلاء  
الشباب في أيامنا تلك : أن يتقوا الله في الشباب فيحسنا  
هذه التربية وتلك التنشئة بما يحبه الله ويرضاه ،  
فيحسنا اختيار ما يُربى عليه الشباب وما يُعرض عليهم

(١) رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في (( الصحيحة )) ( ح ٩٤٦ ) ،

و« صحيح الجامع » ( ٧٢٩٩ ) .

(٢) رواه الحاكم ، وانظر « الصحيحة » ( ح ١٣٤٨ ) .

من مواد ومناهج<sup>(١)</sup> ، والعناية بإعداد جيل جديد على علم وإدراك وفهم ووعي يتحمل مسنوليته بكفاءة واقتدار ، واستمرارية نقل التراث الإسلامي - إلى الأجيال الشابة والناشئة - بقيمه ومثله ومبادئه وأخلاقه السامية في منهجه الرباني الذي توارثناه عن أسلافنا العظام والذي يميزنا عن سائر أمم الأرض ، وتعليمهم الخصائص المميزة للأمة .

وعليهم أن ينتبهوا لما يراد بهذه الأمة ، بل ما يُراد بالإسلام والمسلمين من تميع شبابنا ، وتشويه ومسوخ عقله وأفكاره ، وإثارة الشبهات حول عقيدته ، وإزالة قواعد الإيمان في قلبه ، والاستخفاف بتاريخه وحضارته ، بل وتحقير ذلك في نظره .. وبتر صلته بهذا الدين القويم وبرجالته الغرّ الميامين ، وإخراج جيل مسخ مشوه ضائع تائه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ولا يصلح لشيء ، فلا هو قادر على الإنتاج والبناء ، ولا يمكن الاعتماد عليه في الدفاع عن وطنه ، بله عن عرضه !

جاء في تحقيق صحفي للأستاذ / عزت السعدني بعنوان (( الذئاب يعثون )) ، المنشور بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/٦/٥ م :

● الفن الهابط في السينما وفي المسرح وفي التلفزيون .. مسلسلات تولع الجسم ، كما قال لي مراهق شاب .. أفلام كل ديكوراتها في حجرة النوم ، وبنات عرايا ، وإعلانات مستفزة مياصة ، ودلع وانفلات في الحركات والإيماءات والإشارات .. ولا أحد يحاسب أحداً .. وفنانات ومخرجات يدافعن عن الجنس علانية وعلى شاشة التلفزيون !!

● غياب القدوة الحسنة في حياتنا وغياب الوعي الديني ، ولم يعد هناك دور للمسجد .. والذي يذهب من الشباب إلى المسجد يقولون عنه : إنه منظر .. والآباء يمنعون أبناءهم من الذهاب إلى المسجد خوفاً عليهم ..

(١) ملصحة من يوضع الشباب في حيرة وقلق وعزق نفسي بسبب الصراع الذي ينشأ بداخله من التناقض بين العقائد والحقائق والمبادئ والقيم والمثل الإسلامية والغاية التي من أجلها خلقت ( وهي عبادة الله وحده ) ، وبين النظريات المستوردة من الشرق والغرب والحياة الغربية البهيمية التي تزين له ؟!

والبرامج الدينية في التلفزيون تقلصت أو تنقلص ، ولا تزيد إلا في رمضان .. ومادة الدين في المدارس من باب العلم بالشيء فقط ، ليس عليها درجات ، فلماذا نهتم بها !؟

● المدارس لم تعد تربي ، والجامعات تحولت إلى علب سردين من كثرة الطلاب ، والمخدرات - وفي مقدمتها الباتجو - انتشرت في المدارس !

● والأبحاث العلمية تقول : إن نحو ١٦٪ من شباب الجامعات مدمنون ، أما الباقيون فمهتمون بالزواج العرفي ، حتى إن ٤٪ من الطالبات متزوجات عرفياً ، وهو رقم أقل بكثير من الحقيقة المرة ؛ لأن من تتزوج عرفياً لا تعلن عن نفسها . اه .

إن المتربصين بالأمة وشبابها بيثون ويزرعون بذور ثقافتهم الفاسدة الفاجرة التي تناوئ المبادئ الإسلامية ، ويريدون بمخططاتهم المدروسة تذيب الحدود والسدود العقائدية والثقافية والأخلاقية بين أبناء أمتنا وبينهم لصالحهم ، وصبغهم بشخصيتهم ومحو الشخصية الإسلامية المميزة ، وانصهارهم في بوتقة الحياة الغربية ، بحيث يسهل انهيار كيانتنا القومي وزوال شخصيتنا الإسلامية من الوجود كما زالت أمم سابقة انحلت خصائصها وذهبت سماتها المميزة ، فما عاد يرى لها أثر في الحياة .

ولذا لا بد أن تنظر الأمة نظرة كره وعداء إلى كل من يريد أن يُربّي شبابنا على الاستهتار بالقيم والمثل ، وتحطيم قيود الأخلاق والآداب ، والاستخفاف بالفرائض والواجبات ، وتزيين الثقافة الغربية العاهرة الفاجرة ، واللوع بالمجون والفجور ، والتقليد الأعمى لكل ما هو غربي في القشور والظواهر .

وعلى المسنولين أن يعلموا أن نهضتنا وتقدمنا ورفعنا وعزتنا وسيادتنا لن تكون إلا بتمييزنا بشخصيتنا الإسلامية واتباع تعاليم الإسلام ، وتعليم الشباب والناشئة : العقيدة الصحيحة الصافية الخالية من الشرك والخرافات والخزعبلات ، وتحصينه ضد الأفكار الهدامة والمبادئ الإلحادية ، والرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ، والتنبيه على قضية الولاء والبراء ، وتأصيلها وعدم السماح بتمييعها ، وتثبيت الأخلاق والقيم

الإسلامية وتبغضهم في جميع المنكرات والموبقات والفواحش الأخلاقية ، وربطهم بسيرة النبي الكريم ﷺ الأسوة والقدوة وسيرة صحابته الكرام ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وسيرة سلفنا الصالح من العلماء والفقهاء والقادة والمجاهدين والزهاد والعباد<sup>(١)</sup> ، والانتفاع بالدروس والعبر والعظات من وراء ذلك مع الإلمام بتاريخهم الإيماني والمحن التي ألمت بهم وحسن بلاتهم وصبرهم ، وتاريخ جهادهم وفتوحاتهم ، ومعرفة عبادتهم وإخلاصهم واستقامتهم وزهدهم وتجردهم وتفانيهم وتضحياتهم ، وربط الشباب بماضينا المجيد وحثهم على العمل على إحيائه وإعادةه بصورة مشرقة براقة إلى واقع الحياة ، وتربيتهم على التضحية والبذل والعطاء والجهاد والاستشهاد واسترخاخص النفس والنفيس في سبيل الإسلام ورفعته ونشره في الآفاق ، وأيضاً تربيتهم على التميز من خلال تعريفهم ما يجب أن تكون عليه الشخصية الإسلامية ، وأن استمرار نقل التراث الحضاري الإسلامي بخصائصه المميزة إلى الأجيال القادمة ضرورة حتمية للإبقاء على كياننا وشخصيتنا ، وحمل هذا اللواء والدعوة إليه واجب ملح من خلال كافة المؤسسات والهيئات التي لها صلة بالشباب ، وخاصة المعاهد التعليمية والتربوية من مدارس وجامعات ، ووسائل الإعلام المختلفة من راديو وتلفاز وصحف ومجلات وكتب ونشرات ، والنوادي الرياضية ودور الشباب .. إلى غير ذلك مما يؤثر ويكون عقلية الشباب وشخصيتهم .

ومما لا شك فيه أنه يوجد بين الشباب من استنارت قلوبهم بنور الإيمان واليقين ، ويقدرّون حجم المسؤولية والمهام الجسام الملقاة على كواهلهم ، وعلى استعداد لبذل المهج والأرواح والنفس والنفيس وكل مرتخص وغال عن طواعية في سبيل عقيدته ومبادئه ؛ لينالوا رضی المولى تبارك وتعالى ، وليستحقوا سعادة الدارين ، ولينقذوا أنفسهم وأهلهم من النار ، ولينهضوا ويرقوا

(١) للأسف أكثر ما يجري على ألسنة شباب اليوم أسماء الممثلين والمطربين والراقصين واللاعبين ، ومن لا قيمة له ولا وزن في ميزان الإسلام : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

بأمتهم دون النظر لكسب دنويي زائل من مال أو منصب أو جاه ، ويعلمون ما يحك بهم ومن حولهم ، ويعرفون واجبهم وما أنيط بهم ، ويؤدونه بوعي وهمة وتشاط لا يعرف الكلل ولا الملل ، ويشقون طريقهم في الأثواك والأخطار وفي الآلام والجراح<sup>(٢)</sup> ، وهم على علم ويقين أن طريق الجنة الذي يجب أن يسلكوه محفوف بالمكاره ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : (( حَفَّتِ الجنة بالمكاره ، وحَفَّتِ النار بالشهوات )) . فالحياة الموصلة إلى الجنة إنما هي جد واجتهاد وكفاح وبذل وتضحية ، طريق لا يعرف العيب ولا يَنْبُت فيه إلا الشديد القوي !

ولكن .. أقولها والقلب يتقطع حشرات ، وتكاد العين تذرف دماً : فوا أسفَى إذ نشأ معظم شباب اليوم نشأة ناعمة رقيقة مترفة ، فنشأ لا صبر عنده ولا جلد ، ولا تماسك ولا ثبات ، ولا خشونة ولا فتوة .. حياته لهو وعبث .. وغناء ورقص .. فوضى وتفسخ ، وربما مجون وفجور ، وجهل فاضح بالإسلام وتعاليمه ، ولا دينية في التفكير والسلوك ، تزعزع في العقيدة ، وردة في الفكر ، واضمحلال لقيم ومبادئ وأخلاق الإسلام في نفوسهم ، وتكالب على الشهوات والملذات .. حياة بهيمية لا صلة لها بحياة المسلمين !

أصبحوا معاول هدم في بناء الإسلام الشامخ ، أو كألواح نخرة في سفينة في عرض البحر ، إن لم نسرع بإصلاح ما اهترأ منها وتفسخ غرقت السفينة بمن فيها وما فيها ، ولا نجاة حينئذ من هذا المصير الأليم كشأن سائر الأمم التي سبقتنا وخرجت عن منهاج ربها .. فهذه سنة ربانية من سنن الله في خلقه ولا محاباة فيها ولا مناص .

فهل ننتبه قبل أن تغرق السفينة ، ويصرخ الجميع معي قِيل فوات الأوان : أنقذوا الشباب !  
فهل من مجيب ؟ اللهم إني قد بلغت ، اللهم فاشهد .

(٢) وربما يُحاربون من القريب قبل الغريب ، لغريبتهم وقتلهم ، تلك الغربة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » . فطوبى لهؤلاء الشباب في غربة الإسلام الثابتة .

# الصيام .. والجهاد!

كتبه الشيخ / مجدي قاسم

لأن هذه الشهوات تحملُ النفس على الأثر والبطر والغفلة .

ومنها : تخلى القلب للفكر والذكر ؛ لأن هذه الشهوات قد تقسي القلب وتعميه ، وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر وتستدعي الغفلة ، وباتخاذ هذه الشهوات يتنور القلب ويرق وتزول قسوته .

ومنها : أن الصيام يضيق مجاري الشيطان في ابن آدم ، حيث يجري الشيطان منه مجرى الدم ، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان ، وتنكسر سورة الشهوة والغضب ، ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم وجاء ؛ لقطعها عن شهوة النكاح .

فبذلك تتربى النفس ( عن طريق إعدادها وتهذيبها وتعويدها الخشوع لله تعالى ، والخضوع لتعاليمه والامتثال لشرعه ، وبذلك يتحقق للنفس الاستقامة على الحق والخير ،

والاعتدال على الطريق المستقيم ) . [ « في رحاب شهر القرآن » لمحمد سحلول ( ص ٤٦ ) ] .

فبجهاد النفس والشيطان عن طريق الصيام يتربى المسلم على الإيمان واليقين والإخلاص

جاء شهرُ الصيام بالبركات

فأكرم به من زائر هو آت

إن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه ، تنزود من معينه الفياض ، وسلسبيله العذب ، وروحانيته السامية ، ودروسه القيمة ، وعطائه المتجدد بزيادة من الإيمان واليقين والإخلاص ، وصلابة الإرادة ومضاء العزيمة وطهارة النفوس وشفافية الأرواح وعزم الجهاد .

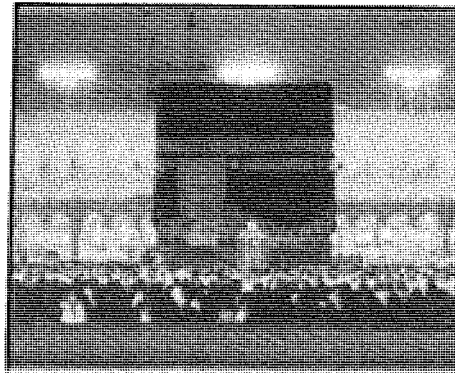
إن المسلم في رمضان يتقرب إلى الله بترك الشهوات من طعام وشراب ومباشرة النساء ، وهذه أعظم شهوات النفس ، ومن ترك ذلك من الشهوات المباحة فهو لغيرها من الشهوات المحظورة والنزوات المنكورة أترك ، ولا يتقرب العبد إلى الله إلا بذلك ، ولهذا قال النبي ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . [ رواه

البخاري ( ح

١٩٠٣ ) ] .

وقال بعض السلف : ( أهونُ الصيام تركُ الشراب والطعام ) .

وإن بالتقرب إلى الله بترك هذه الشهوات المباحة بالصيام فوائد : منها : كسر النفس ؛



والاستقامة على أمر الله  
والالتزام بشريعته  
ومناهجه ، وتربى في  
المسلم القدرة على تغيير  
ذاته ، وتربى في  
المجتمع المسلم القدرة  
على تغيير واقعهم ، وهذا  
دليل على اتساق شريعة  
الإسلام وخلودها .

ففي خروج الإنسان  
في هذا الشهر على إلهه  
وعاداته ومحبيبات  
نفسه ، وإن كان يشق  
على النفس فإنه ينفعها



على ظهر الأرض ، وبهذا  
نستحق نصر الله الذي  
وعنا به في كتابه  
الكريم ) . [ « في رحاب  
شهر القرآن »  
( ص ١١ ) ] .

إن الارتباط بين الصيام  
والجهاد ارتباط وثيق ،  
فكلاهما جاءت فرضيته في  
القرآن لفظة : ﴿ كُتِبَ ﴾ ،  
فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
الصِّيَامُ ﴾ [ البقرة :  
١٨٣ ] ، وقال تعالى :  
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ

كُرْهُ لَكُمْ ﴾ [ البقرة : ٢١٦ ] ، وقال رسول الله  
ﷺ : « مثل المجاهد في سبيل الله ، والله أعلم  
بمن يجاهد في سبيله ، كمثل الصائم القائم الدائم  
الذي لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع ،  
وتوكل الله تعالى للمجاهد في سبيله إن توفاه أن  
يُدخله الجنة ، أو يرجعه سالمًا مع أجر  
وغنيمة » . متفق عليه .

( فقد شبه الرسول ﷺ المجاهد في سبيل الله  
بالصائم القائم الدائم ، والمعروف في اللغة  
والواقع أن المشبه به أفضل من المشبه ) .  
[ « الصوم والجهاد » لمحمد كامل حتة ( ص  
٤ ) ] .

ويقول الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا  
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ  
الصَّابِرِينَ ﴾ [ آل عمران : ١٤٢ ] ،  
والصائمون هم الصابرون على قول كثير من  
المفسرين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّى  
الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر :  
١٠ ] ، ورمضان هو شهر الصبر ، وشهر

ويغديها ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا  
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [ البقرة : ٢١٦ ] ، وقال  
تعالى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ ﴾ [ البقرة : ١٨٤ ] ، والصيام يقوي  
العزيمة ، ويستمد منه صاحبه الإخلاص والبذل  
والتضحية ، ويرفع الإنسان على ثقله اللحم  
والدم ، وجاذبية الأرض والستراب ، وثقله  
تصورات الأرض ، وثقله الخوف على الحياة  
واللذائذ والشهوات والمصالح والمطامع ، وحب  
الدنيا ومتاعها الزائل .. ويرفعه في حياة علوية  
نظيفة كريمة حرة طليقة ، فيها التجرد لله  
والاستعلاء على شهوات الدنيا وملذاتها .

وكل هذه الروافد المستمدة من الصيام تزود  
المجاهد بما يعينه على تحمل شدة الجهاد  
ومخاطره ، ويحقق له النصر أو الشهادة .  
( وإذا توافرت لدينا القوة الروحية والقوة  
الجسدية ، استطعنا أن نكون جنود الحق في  
ميادين الجهاد المتعددة ، نزود عن ديننا وديارنا  
ومقدساتنا التي هي أمانة في أعناق كل المسلمين



النصر ، وشهر الجهاد والبذل والتضحيات ،  
فالصبر ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ،  
وصبر على محارم الله ، وصبر على أقدار الله  
المؤلمة ، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم ، وقد  
قال رسول الله ﷺ : (( الصوم نصف الصبر )) .  
وقد قال بعض العلماء بأن خلوف فم الصائم  
أعظم من دم الشهيد ، فقد قال رسول الله ﷺ :  
(( والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم  
أطيب عند الله من ريح المسك )) . متفق عليه .  
فقال ابن جماعة فيما يستفاد من الحديث :  
( وفيه أن خلوف فم الصائم أفضل من دم الجريح  
في سبيل الله ؛ لأن النبي ﷺ قال في الشهيد :  
إن ريحه ريح المسك ، وقال في خلوف الصائم  
أنه أطيب منه ، ووجهه أن الجريح يظهر أمره  
للناس ، فربما دخله رياء ، والصائم لا يعلم  
بصومه إلا الله ، فعدم دخول الرياء فيه صار  
أرفع ) .

وقال الحافظ ابن حجر : ( ويؤخذ من قوله :  
« أطيب من ريح المسك » أن الخلوف أعظم من  
دم الشهيد ؛ لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح  
المسك ، والخلوف وصف بأنه أطيب ، ولا يلزم  
من ذلك أن يكون الصوم أفضل من الشهادة لما لا  
يخفى ، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل  
منهما ؛ فإن أصل الخلوف طاهر وأصل الدم  
بخلافه ، فكان ما أصله طاهر أطيب ريحاً ) .  
هذا ، وقد قال بعض العلماء بأن الصيام أفضل  
الأعمال ؛ لقول النبي ﷺ : (( عليك بالصوم ؛  
فإنه لا عدل له )) . ولكن يعكر على ذلك - وهو  
القول الراجح - قول النبي ﷺ : (( واعلموا بأن  
خير أعمالكم الصلاة )) .  
وبعد : فمع إطالة هلال رمضان تطل علينا  
ذكريات نصر أسلافنا العظام ، نستشوق عبير  
ذكراهم ، أريج شذا جهادهم البطولي لإعلاء كلمة  
الله في ربوع الأرض ، إن كثيراً من أعظم  
المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام كانت في  
شهر رمضان ، كغزوة بدر الكبرى ( يوم

وفي السنة الثامنة من الهجرة وفي العشرين  
من رمضان كان الفتح الأعظم .. الفتح المبين ..  
فتح مكة معقل الشرك والكفر التي وقف أهلها  
حجر عثرة في سبيل نشر دعوة الله ، وكانت مكة  
تحمل راية محاربة الإسلام ورسول الإسلام ..  
فكان فتح مكة نهاية حاسمة للصراع الرهيب بين  
الإيمان والكفر ، بين الحق والباطل .. ليعز الله  
بهذا الفتح دينه ورسوله وجنده المؤمنين . وتفتح  
مكة أم القرى البلد الأمين ، ويتطهر بيت الله  
الحرام من الأصنام التي وضعها المشركون في  
البيت وحوله ، حتى بلغت ستين وثلاثمائة  
صنم .. فجاء الحق وزهق الباطل وتحطمت  
الطواغيت والأصنام .  
وتوالت الانتصارات والفتوحات الإسلامية في  
رمضان على مر العصور .. فتح الأدلس .. فتح  
عمورية .. سقوط سرقوسة من جزيرة  
صقلية .. وقعة عين جالوت .. فتح أنطاكية ..  
فتح أرمنيا الصغرى .. فتح جزيرة قبرص ..  
فتح البوسنة والهرسك .. فتح بلجراد .. وكثير  
غير ذلك من المعارك والفتوحات والانتصارات من  
الله بها علي المسلمين في رمضان .  
نسأل الله تعالى أن نكون لأمتها أهلاً ، وأن  
يعيدنا إليها ويعيدها إلينا ، إنه ولي ذلك والقادر  
عليه .

## أولئك الرجال

## حقاً..

## رجال الجهاد

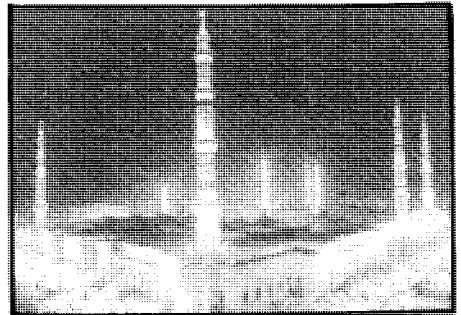
بقلم الشيخ / مجدي قاسم

في الليل رهبانَ وعند قتالهم

لعدوهم من أشجع الفرسيان

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ<sup>(١)</sup> وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

قال الحافظ في « فتح الباري » ( ٢٧/٦ ) : ( أي مات ، وأصل النحب : النثر ، فلما كان كل حي لا بد له من الموت ، فكانه نذر لازم له ، فإذا مات فقد قضاه ، والمراد هنا من مات على عهده لمقابلته بمن ينتظر ذلك . وأخرج ذلك ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن ابن عباس ) . وانظر ( ٣٧٨/٨ )



فمن زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، قال : « نَسَخْتُ الصُّحُفَ فِي المِصَاحِفِ ، فَفَقَدْتُ آيَةَ مِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا ، فَلَمْ أَجِدْهَا<sup>(١)</sup> إِلا مَعَ خَزِيمَةَ بِنِ ثَابِتِ الأَنْصَارِيِّ ، الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ<sup>(٢)</sup> ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> ﴾ . [ رواه البخاري ( ح ٢٨٠٧ ) ومواضع ] .

وقد ثبت عن عائشة أن طلحة ( أي ابن عبید الله ) دخل على النبي ﷺ ، فقال : « أنت - يا طلحة - ممن قضى نحبه » . [ رواه ابن ماجه والحاكم ، وانظر « فتح الباري » ( ٣٧٨/٨ ) ] .

وقد ورد أن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر ( وهو عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ ) وأشباهه الذين استشهدوا في غزوة أحد ، فعن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : ( غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر<sup>(٤)</sup> ) ، فقال : يا رسول الله ، غبتُ عن أول قتالٍ قاتلتُ المشركين ، لئنِ الله أشهدني قتالَ المشركين ليرينَ الله ما أصنع ، فلما كان يومَ أحدٍ وانكشف المسلمون قال : اللهم ، إني أعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المشركين ، ثم تقدم فاستقبله سعدُ بن معاذ ، فقال : يا سعدُ بن معاذ ، الجنةُ وربُّ النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعتُ يا رسول الله

(١) أي لم أجدها مكتوبة ، فهي كانت محفوظة عنده وعند غيره .  
(٢) يشير إلى الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي ، والذي شهد فيه خزيمة للنبي ﷺ بأنه بايع الأعرابي ، وذلك بتصديقه دون أن يكون حاضراً عقد البيع بين النبي ﷺ وبين الأعرابي . انظر « الفتح » ( ٣٧٨/٨ : ٣٧٩ ) .

(٣) قد روى البخاري الحديث من طريق آخر ، وفيه أن الآية هي : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [ التوبة : ١٢٨ ] ، فكانهما جميعاً صحاحاً عنده . انظر « فتح الباري » ( ٢٩/٦ ) ، ٣٧٨/٨ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٨ .

(٤) حيث لم ير كغيره من المسلمين أن سيكون هناك قتال .

ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضغاً وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قُتل وقد مَثَّلَ به المشركون ، فما عرفه أحدٌ إلا أخته بيناته ، قال أنس : كنا نرى - أو نظن<sup>(١)</sup> - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ [إلى آخر الآية] . [رواه البخاري (ح ٢٨٠٥) ، وموضع ، ومسلم (ح ١٩٠٣) . والمعاهدة المقصود بها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَاتَبُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا نُرِيدُ ﴾ [الأحزاب : ١٥] ، وكان ذلك أول خروجهم إلى أحد ، وهذا قول ابن إسحاق ، وقيل : ما وقع ليلة العقبة من الأنصار ؛ إذ بايعوا النبي ﷺ أن يؤوه وينصروه ويمنعوه . ورجح الحافظ ابن حجر قول ابن إسحاق . ( كما في «الفتح» (٢٧/٦) ) .

إنها صورة مشرقة وضيئة لأهل الإيمان الذين عمرت قلوبهم بالإيمان ، وارتفعوا على ضرورات الأرض وثقله اللحم والشهوات وقبود المنافع الدنية والملذات ، وباعوا الحياة الفاتية بالخلود في الجنات ، وبذلوا المهج والأرواح عن طواعية نفس وإخبات قلب لله ، وصدقوا في عهدهم وميثاقهم مع ربهم ، فما غيروا عهدهم ، ولا بدكوا الوفاء بالغدر ، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه ، وما نقضوه ، وما نكثوا على أعقابهم ، بل منهم من مات على الصدق والوفاء ، ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ، وما بدكوا تبديلاً ، في مقابل النفاق وأهله الذين نقضوا عهدهم مع الله ، وقعد بهم ضعف الهمة وهزال النخوة ، والتكالب على كل ملذة وشهوة ، وإيثار الراحة البليدة المسترخية في الظلال والماء البارد ، وقالوا : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣] ، ﴿ وَلَقَدْ كَاتَبُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا نُرِيدُ ﴾ [الأحزاب : ١٥] ، ولا يفرّون من الزحف ، فخاتوا هذا العهد ، ونجم نفاقهم ، وقالوا : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

(١) جاءت بعض الروايات بصيغة الجزم بدون شك .

[الأحزاب : ١٢] ، أما أهل الإيمان المصدقون بوعد الله بأن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة ، فقد قال عنهم ربهم : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] ، فقد وعدهم الله بالابتلاء والاختبار والامتحان والتحصين ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويعقب ذلك النصر المبين من رب العالمين على عياده الصادقين ، كما قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٤] . [انظر «تفسير ابن كثير»] .

قال القرطبي (١٠٥/١٤) : ( أي إن شاء أن يُعذبهم لم يوفقهم للتوبة ، وإن لم يشأ أن يعذبهم تاب عليهم قبل الموت ) .

فهاتان صورتان متقابلتان شتان ما بينهما ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نُظْرَ الْمُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورَ قُلُوبُهُمْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٠ ، ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ... ﴾ [النساء : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوْعًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ

المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانَهُمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا<sup>(١)</sup> وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَعُونَ الْبَيْتَ تَدْوِيرًا أَغْنَاهُمْ كَالَّذِي يُضْتَمَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ<sup>(٢)</sup> فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ جِدَارٍ<sup>(٣)</sup> أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ [الأحزاب : ١٦ - ١٩] .

ولقد صنع الله على المتشاكليين إلى الأرض ، المؤثرين للمتاع الزائل للحياة الدنيا والشهوات والملذات ، المفضلين السلامة على خطر البذل والتضحية ، فعاتبهم أشد العتاب ، ووبخهم على ترك الجهاد ، وعلى التقاعد عن المبادرة والمصارعة إليه ، وعرفهم حقيقة صنيعهم ، وبين سوء اختيارهم لمتاع الدنيا ، وتفضيلهم إياه على الخلود في جنات النعيم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلُم إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* [التوبة : ٣٨ ، ٣٩] .

فستان بين أهل النفاق والذين في قلوبهم مرض ، والمتشاكليين إلى الأرض ، وبين أهل الإيمان الذين باعوا النفس والنفيس ، والمهج والأرواح ، وكل مرتخص وغال لله رب العالمين ، واستبشروا بهذا البيع وبهذه التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة ، وبما عند

اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وأعدّه لعباده المؤمنين الصادقين في الدنيا من نصر وتمكين ، وفوز عظيم وغنيمة ، إذلال الكفر وأهله ، وإزالة العوائق التي يضعها طواغيت الأرض أمام نشر الدين وتعبيد الناس لرب العالمين ، حتى يكون الدين كله لله ، وفي الآخرة جنات ونعيم ومقام كريم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ<sup>(٤)</sup> \* تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ \* [الصف : ١٠ - ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* [التوبة : ١١١] .

فبالرغم أن كل ما في الكون ملك لله ، والخلق كلهم عبده ، فإن الله - إحساناً منه وفضلاً - قد اشترى من المؤمنين نفوسهم لنفاستها لديه ، وأعطاهم ثمناً لها الجنة ، وهو عوض عظيم لا يدانيه شيء ، ثم - بمنه وجوده وكرمه - يعيد إليهم تلك النفوس موفورة كريمة في الجنة ، ورقم هذا البيع وهذا العقد الكريم في كتابه العزيز ، لا يبلى على مرِّ الدهور<sup>(٥)</sup> .

وبهذا قال الحسن البصري : ( واللَّهِ ما على الأرض مؤمن إلا يدخل في هذه البيعة<sup>(٦)</sup> ) . وقال

(١) أي : هلموا إلى ما نحن فيه من ظلال وغمار ، وغير ذلك من متع الحياة ، ودعوكم من القتال .

(٢) هذا ما يبلغ به شدة الخوف والجزع عند هؤلاء الجبناء من خوفهم من القتال .

(٣) أي : فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً ، وادعوا لأنفسهم المصامات العالية في الشجاعة والنجدة ، وهم يكذبون في ذلك ، فعند الغنيمة أشح قوم وأسوأه مقاسمة ، وأما عند إبائس فأجبن قوم وأخذله للحق .. قد جمعا الجبن والكذب وقلة الخير . « تفسير ابن كثير » ( ٤٧٤/٣ ) .

(٤) روى ابن أبي حاتم والطبري من طريق قتادة قال : ( لولا أن الله بينا - أي بين هذه التجارة - ودلَّ عليها لتلطف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها حتى يطلبونها ) . انظر « فتح الباري » ( ٩/٦ ) .

(٥) انظر « العبرة لما جاء في الغزو والشهادة والجهاد » لصديق حسن خان ( ص ١٨ ) .

(٦) انظر « تفسير القرطبي » ( ١٧١/١٤ ) .

أيضاً هو وقادة : ( بايعهم - والله - فأغلى ثمنهم ) .

وقال شمر بن عطية : ( ما من مسلم إلا والله عز وجل في عتقه بيعة وفقى بها أو مات عليها ، ثم تلا هذه الآية )<sup>(١)</sup> .

أثمين بالنفيس النفيسة ربها

وليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تشتري الجنات ، إن أنا بعثتها

بشيء سواها إن ذلكم عبن

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصبتها

لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن<sup>(٢)</sup>

فعلى المسلم العاقل أن يسرع بدفع سلع

النفوس - من غير ملاحظة - لمشتريها عن

إخلاص وصدق وطيب نفس ، حتى يستوفي الأجر

كاملاً في الدنيا والآخرة قبل أن تتلف في يده ، وأن

يشمر عن ساق الاجتهاد للجهاد ، وأن ينفر في

سبيل الله خفافاً وثقالاً شبيهاً وشباباً ، مليباً نداء

الله لعباده المؤمنين في كتابه الكريم : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ

حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [ البقرة :

١٩٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ

جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ ﴾ [ الحج : ٧٨ ] ، وقال تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ

وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ

نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [ النساء : ٧٤ ] ، وقال

تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَجْتَرِئُوا وَيَلْتَمِسُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ

وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخَذُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَضُوهُمْ ﴾

[ النساء : ٩١ ] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَقْتُلُوا

المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُّوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ

وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾ [ التوبة : ٥ ]<sup>(٣)</sup> ، وقال

(١) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٣٩١/٢ ) .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » ( ١٧٠/٨ ) .

(٣) هذه الآية وأمثالها تسمى آية السيف ، وقد قال بعض العلماء :

إنها نسخت كل آية تدعو إلى الكف عمن كف عن قتال

المسلمين ، وقد ذهب آخرون إلى أنها لم تنسخ هذه الآيات ، بل

هذه الآيات باقية يعمل بها عند الحاجة إليها في أوقات ضعف

تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ

وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾

وَيَذْهَبْ غِيظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [ التوبة : ١٤ ، ١٥ ] ،

وقال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا

باليوم الآخر وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا

يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى

يُغْضُوا الْجُزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [ التوبة :

٢٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [ التوبة : ٤١ ] إلى غير

ذلك من آيات تأمر المسلمين بقتال المشركين حتى

يكون الدين كله لله ، وكما في قول النبي ﷺ :

(( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا

الله وأني رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني

دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على

الله )) . متفق عليه .

وقال رسول الله ﷺ : (( جاهدوا المشركين

بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم )) . [ رواه أبو داود

والنسائي ، وصححه « محقق المشكاة » ( ح

٣٨٢١ ) ] .

فالجهاد من أعظم الشعائر الإسلامية ، ومن أهم

الفرائض ، ولا استقامة للإسلام ولا قوام لشرائعه

إلا به ، فهو ذروة سنن الإسلام ، ومن أقرب

الطرق الموصلة إلى الجنة ؛ فالجنة تحت ظلال

السيوف ، وهو فريضة باقية إلى أن يُقاتل آخر هذه

الأمّة الدجال في آخر الزمان ، وحتى لا تبقى أرض

يقوم عليها سلطان غير سلطان الله ، ويُطاع فيها

أحد من دون الله .. فالشيطان مستمر في إغواء

الناس وصرفهم عن سلوك الطريق المستقيم ؛ ولذا

فيجب أن يستمر المسلمون في جهاد الشيطان

المسلمين ، فإذا قوي المسلمون وكان عندهم من القوة والشوكة

ما يمكنهم من قتال وجهاد عدوهم في دياره فعلوا ذلك عملاً

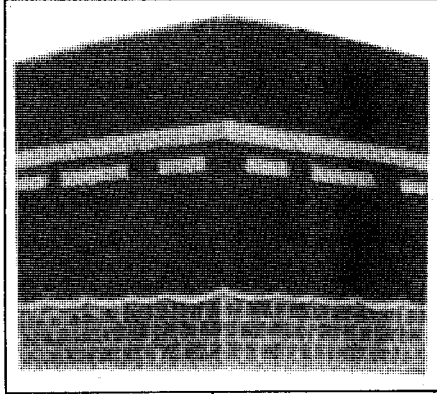
بهذه الآية وأمثالها ، وهذه الآية رد على كل من قال : إن

الجهاد قد شرع للدفاع عن الأرض الإسلامية فقط ، فهذا قول

مردود والأدلة الكثيرة تخالفه . انظر رسالة « فضل الجهاد

والجاهدين » لابن باز ( ص ١٢ ) .

ولا بد أن لا يغيب عن ذهن أي مسلم أن أهل الكفر والشرك والضلال يصدون عن سبيل الله من آمن ويغونها عوجاً وينشرون الفساد والإفساد في الأرض ، ويتربصون بأهل الإيمان الدوائر لما يحملونه في قلوبهم من غلٍ وحقد على الذين آمنوا ، قال تعالى : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِمَّنْ رَبُّكُمْ ﴾ [ البقرة : ١٠٥ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَكُنْ تَرَضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [ البقرة : ١٢٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [ البقرة : ٢١٧ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [ النساء : ٨٩ ] .



ولذا فكان لا بد من وجود

رجال ذوي إيمان وبقين ، وعزم ومضاء ، وثبات وتضحية ؛ لدفع أهل الشرك والضلال والفساد ، وإزالة منكرهم ، وقتل المشركين وإخزائهم ، وإخلاء العالم من الفساد ، وتحطيم طواغيت الأرض وأعوانهم ؛ لتعبيد الناس لرب العالمين ، ويكون الدين كله لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [ الأنفال : ٣٩ ] .

كما أن للجهاد أهدافاً سامية للمسلمين في ذوات أنفسهم منها : تمحيص المؤمنين ، وتربيتهم على الصبر والثبات والطاعة وبذل النفس ، وعدم الركون إلى الراحة والدعة ، والحصول على الغنائم والسبي ، وكشف المنافقين وتنقية الصف المسلم منهم<sup>(٣)</sup> .

هذا ، وقد أوجب الله الجهاد على عباده المسلمين من غير تقييد بزمان أو مكان أو

وحزبه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها<sup>(١)</sup> . ويقول ابن حجر في (( الفتح )) ( ٣٨/٦ ) : ( وجنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم ، إما بيده ، أو بلسانه ، أو ماله ، أو قلبه ) . وهو أضعف الإيمان ، وقال رسول الله ﷺ : (( من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من النفاق )) . رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي . وقال الشوكاتي : ( أما غزو الكفار ومناجزة

أهل الكفر ، وحملهم على الإسلام ، أو تسليم الجزية ، أو القتل ، معلوم من الضرورة الدينية ، ولأجله بعث الله رسوله وأنزل كتبه ، وما زال رسول الله ﷺ منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قبضه إليه جاعلاً لهذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شئونه ، وأدلة الكتاب

والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ولا لبعضها ، وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم إلى ديارهم )<sup>(٢)</sup>

ويطلق الجهاد أيضاً كما يقول الحافظ في (( الفتح )) ( ٥/٦ ) : ( على مجاهدة النفس والشيطان والفساق ، فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ، ثم على العمل بها ، ثم على تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات ، وما يزينه من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب ، وأما مجاهدة الفساق فياليد ، ثم اللسان ، ثم القلب ) .

(١) انظر : « أهمية الجهاد » لعلي بن نفع الغلياني ( ص ٣٤١ ) .

(٢) « السيل الجرار » ( ٥١٨/٤ ، ٥١٩ ) ، وانظر : « العبرة مما

جاء في الغزوة » لصديق خان ( ص ١٥ ) .

(٣) انظر كتاب « أهمية الجهاد » لعلي الغلياني .

شخص ، أو عدل أو جور ؛ فلا يشترط عدل  
السلطان أو الأمير أو الجندي ، فقد يبلي الرجل  
الفاجر في الجهاد ما لا يبليه الرجل البارُّ العَدْلُ<sup>(١)</sup> ،  
وقد قال النبي ﷺ : (( إن الله ليؤيد هذا الدين  
بالرجل الفاجر )) . [ رواه البخاري  
( ح ٣٠٦٢ ) ، ومواضع ، ومسلم ( ح ١١١  
ص ١٠٥ ) ] .

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي ، رضي  
الله عنه ، قال : إن رسول الله ﷺ التقى هو  
والمشركون فافتتلوا ، فلما مال رسول الله ﷺ إلى  
عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي  
أصحاب رسول الله ﷺ رجل<sup>(٢)</sup> لا يدع لهم شاذة  
ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقيل : ما أجزأ  
مننا اليوم أحد كما أجزأ فلان . فقال رسول الله  
ﷺ : (( أما إنه من أهل النار )) ، فقال رجل من  
القوم : أنا صاحبه . قال : فخرج معه كلما وقف ،  
وقف معه ، وإذا أسرع ، أسرع معه ، قال : فجرح  
الرجل جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت ، فوضع  
سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على  
سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ  
فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : (( وما  
ذاك ؟ )) قال : الرجل الذي ذكرت آنفاً من أهل  
النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ،  
فخرجت في طلبه ، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل  
الموت ، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين  
ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول  
الله ﷺ عند ذلك : (( إن الرجل ليعمل عمل أهل  
الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وإن  
الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو  
من أهل الجنة )) . [ رواه البخاري ( ح ٤٢٠٢ ) ،

(١) انظر : « العرة مما جاء في الغزو » ( ص ١٨ ) .  
(٢) ورد في « سيرة ابن هشام » ( ٨٨/٢ ) من حديث ابن إسحاق  
بسنن حسن ، إلا أنه مرسل أن هذا الرجل هو قرمان ، وجزم  
ابن الجوزي أن اسمه : قرمان الظفري . وانظر « فتح الباري »  
( ٥٣٩/٧ ) .

ومسلم ( ح ١١٢ ، ص ١٠٦ ) ] .  
فلا بد أن يكون هذا القتال وهذا الجهاد في  
سبيل الله وإعلاء كلمة الله ، حتى يكون العمل  
مقبلاً عند الله ويرجع صاحبه بالأجر والمغرم .

فمن أبي موسى أن أعرابياً أتى النبي ﷺ  
فقال : يا رسول الله ، الرجل يُقاتل للمغرم ،  
والرجل يُقاتل للذکر ، والرجل يُقاتل ليرى مكانه ،  
فمن في سبيل الله ؟ قال : (( من قاتل لتكون كلمة  
الله هي العليا ، فهو في سبيل الله )) . وفي  
رواية : (( الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ،  
ويقاتل رياء .. )) وجاء رجل فقال : يا رسول  
الله ، رأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذکر ،  
ما له ؟ قال : (( لا شيء له )) . فأعادها ثلاثاً ، كل  
ذلك يقول : (( لا شيء له )) . ثم قال رسول الله  
ﷺ : (( إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً  
لله ، وابتغى به وجهه )) . [ رواه أبو داود ،  
والنسائي بإسناد جيد ] .

وقال رسول الله ﷺ : (( إن أول الناس يُقضى  
يوم القيامة عليه : رجلٌ استشهد ، فأُتي به ،  
فعرقه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال :  
قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك  
قاتلت لأن يُقال : جريء ! فقد قيل . ثم أمر به  
فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ... ))  
الحديث . رواه مسلم .

وعليه أن يُخلص النية لله ، ويظهرها من  
البطر والرياء ، والفساد والإفساد ، قال الله  
تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [ الأنفال : ٤٧ ] ، وقال  
تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ  
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾  
[ القصص : ٨٣ ] .

وللحديث بقية إن شاء الله في العدد القادم .

# أولئك الرجال حقاً ..

## رجال الجهاد !!

الحلقة الثانية

بقلم الشيخ / محمد قاسم

وقال ﷺ : « من غزا في سبيل الله وهو لا ينوي في غزائه إلا عقلاً فله ما نوى » . [ رواه الحاكم ] .

وعن يعلى بن أمية قال : أثن رسول الله ﷺ بالغزو وأنا شيخ كبير ليس لي خادم ، فالتصمت أجيراً يكفيني وأجري له سهمه ، فوجدت رجلاً ، فلما دنى الرحيل أتاني فقال : ما أدري ما السهمان ؟ وما يبلغ سهمي ؟ فسم لي شيئاً كان السهم أو لم يكن ، فسميت له ثلاثة دناتير ، فلما حضرت غزيمته أردت أن أجري له سهمه ، فذكرت الدناتير ، فجننت النبي ﷺ فذكرت له أمره ، فقال : « ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دناتيره التي سمى » . [ رواه أبو داود وغيره ] .

وقال رسول الله ﷺ : « الغزو غزوان : فمن غزا ابتغاء وجه الله ، وأطاع الأمير ، وأنفق الكريمة ، وياسر الشريك ، واجتنب الفساد ، كان نومه ونبيه أجر كله ، ومن غزا سمعة ورياء ، ولم يطع الأمير ، ولم يجتنب الفساد ، لن يرجع بالكفاف » . [ رواه أبو داود والنسائي ، وحسنه الألباني في « المشكاة » ( ح ٣٨٤٦ ) أي : بل سيرجع محملاً بالسيئات .

وقال رسول الله ﷺ : « ستفتح عليكم الأمصار ، وستكونون جنوداً مجندة ، يقطع عليكم بعوث - أي يبعثون للغزو - فيكره الرجل منكم البعث فيها ، فيتخلص من قومه ، ثم يتصفح القبائل يعرض نفسه عليهم يقول : من أكفيه بعث كذا ؟ ومن أكفيه بعث كذا ؟ ألا وذلك الأجير إلى آخر قطرة من دمه ..

الجهاد في اللغة يعني : بذل الطاقة والوسع أو هو المشقة ، فهو إما من « الجهد » بفتح الجيم ، بمعنى التعب والمشقة لما فيه من ارتكابها ، أو من « الجهد » بضم الجيم وهو الطاقة .

وفي الشرع : قال رجل : يا رسول الله ، وما الجهاد ؟ قال : « أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم » . [ رواه أحمد ١١٤/٤ ، ورجاله رجال الصحيح ] .

فالجهد هو بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان وغير ذلك . [ انظر « بدائع الصنائع » ٩٧/٧ ] .

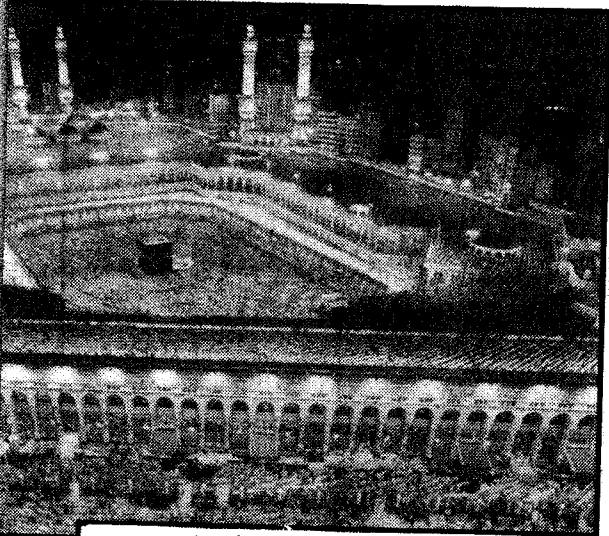
وتنبه على أن كلمة « في سبيل الله » إذا أطلقت يراد بها الجهاد الذي يعني القتال ، قال ابن حجر : ( والمتبادر إلى الفهم من لفظ « في سبيل الله » : الجهاد ) . [ فتح الباري « ٢٩/٦ » ] .

فالجهد في سبيل الله إذا أطلق ، كما قال ابن رشد في مقدمته ( ٣٦٩/١ ) : « فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام ، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وهذا المصطلح بصفة عامة يُطلق على الأعمال التي تؤدي خالصة لوجه الله من غير أن يشوبها شيء من شوائب الأهواء والشهوات . [ انظر « الجهاد في سبيل الله » للمودودي (ص ١٤ ، ١٥) ] .

وليس للمجاهد - كغيره - إلا ما نوى ؛ لقول النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » . [ رواه الجماعة ] .





المنازل في الجنة ، ففي حديث الرواية الذي رواه  
سنرة بن جنبد أن النبي ﷺ قال : « رأيت الليلة  
رجلين أتاني ، فصعدا بي الشجرة ، فأدخلاني داراً  
هي أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالوا : أما  
هذه الدار فدار الشهداء » . [ رواه البخاري ] .

فعد الموت لا يشعر الشهيد بألم القتل مثل  
غيره ، إلا في أقل صورته ، فقد قال رسول الله ﷺ :  
« الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم  
القرصنة » . [ رواه الترمذي والنسائي وغيرهما ،  
وحسن إسناده الألباني في تحقيقه « للمشكاة » ( ح  
٣٨٢٦ ) ] .

وعمل المرابط في سبيل الله يئسى له ولا يختم  
عليه ، ويأمن فتنة القبر ، فقد قال رسول الله ﷺ :  
« كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في  
سبيل الله ، فإنه يئسى له عمله إلى يوم القيامة ،  
ويأمن فتنة القبر » . [ رواه الترمذي وأبو داود ،  
وحسن إسناده الألباني في تحقيقه « للمشكاة » ( ح  
٣٨٢٣ ) ] ، وقال رسول الله ﷺ عن سبب عدم  
فتنة الشهيد في قبره : « كفى ببارقة السيوف على  
رأسه فتنة » . [ رواه النسائي ، وصححه الألباني في  
« صحيح الجامع » ] ، وقال ﷺ : « رباط شهر خير  
من صيام دهر ، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمين

[ رواه أبو داود وغيره ] ، يعني أنه تتبع القبائل  
يؤجر نفسه لهم ويشرطوا له شيئاً ، فهو ليس بغزاةٍ  
إلى أن يقتل ولا أجر له ، والمراد : المبالغة في نفي  
ثواب الغزو عن مثل ذلك الشخص . [ انظر تحقيق  
الألباني للمشكاة ( ١١٢٨/٢ ) ] .

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ،  
رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من  
عرض الدنيا ؟ فقال النبي ﷺ : « لا أجر له » .  
[ رواه أبو داود ، وقال الألباني في « المشكاة »  
( ح ٤٥٥ ) : حديث صحيح لشواهد ] .

وفي الآيات والأحاديث أعظم ترغيب وأكمل  
تشويق إلى الجهاد ، وحث على المسارعة والمسابقة  
إليه ومشاركة القائم به ؛ لما يترتب عليه من  
المصالح العظيمة والعواقب الحميدة ، بالرغم من كره  
النفوس له ، كما قال تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ  
وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾  
الآية [ البقرة : ٢١٦ ] .

والمجاهد له أجر وثواب عظيم ، ولا يستوي مع  
غيره ، فهو أعظم درجة ، قال الله تعالى : ﴿ أَعْطَيْنَا  
سَيِّدَةَ الْغَابِ وَالْحَاجَّ وَالْمَسْكِينُ الْغَرَامَ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
أَعْظَمَ نَجَاةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ يُبَشِّرُهُمْ  
رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجِئَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعْمٌ  
مُقِيمٌ ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنْ اللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿  
[ التوبة : ١٩-٢٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ  
قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلُوبٌ بَضِلَ أَعْمَالُهُمْ ﴾ سَيِّدِيهِمْ  
وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنِهِمْ ﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿  
[ محمد : ٤-٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ  
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ نَرَجَاتُ مِنْهُ  
وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ [ النساء :  
٩٥ ، ٩٦ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ  
سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ العنكبوت :  
٦٩ ] .

فالمجاهد في أعلى الدرجات وأحسن وأفضل

من الفرع الأكبر ، وغدي عليه برزقه ، ويربح من الجنة ، ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله . [ رواه الطبراني ، وانظر « صحيح الجامع » ] .

وكل الذنوب يكفرها القتل في سبيل الله ، فقد قال رسول الله ﷺ : « القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الذنن » . [ رواه مسلم ] .

وعن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قام فيهم ، ففكر لهم أن الجهاد في سبيل الله ، والإيمان بالله أفضل الأعمال ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، أرايت إن قُتلت في سبيل الله يكفر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نعم ، إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر » . ثم قال رسول الله ﷺ : « كيف قلت ؟ » فقال : أرايت إن قُتلت في سبيل الله ، أيكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم ، وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر إلا الذنن ، فإن جبريل قال لي ذلك » . [ رواه مسلم ] .

إن الشهادة في سبيل الله تستوجب المغفرة من الله والرحمة ، وبإلها من أجر ، قال تعالى : ﴿ وَكَلِمَاتٍ قُتِلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَّعْنَا مَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ولكن مِمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَحْتَضِرُونَ ﴿ [ آل عمران : ١٥٧ ، ١٥٨ ] .

والشهادة له حياة خاصة عند الله في مرحلة البرزخ ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَكَلِمَاتٍ لَا تَحْسُرُونَ ﴾ [ البقرة : ١٥٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فرجين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴿ [ آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ ] .

والجهاد في سبيل الله يساعد الإيمان عن النار ويحرمه عليها ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ما أغرت قنما عبد في سبيل الله ، فتمننه النار » . [ رواه البخاري ] .

قال الحافظ في « الفتح » ( ٣٠/٦ ) : فإذا كان مجرد من الغبار للقدم يحرم عليها النار ، فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعته ؟

وقال ﷺ : « ما خالط قلب امرئ مسلم رفح في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار » الرهح : الغبار . [ رواه أحمد ، وصححه الألباني في « الصحيحة » ( ح ٢٢٢٧ ) ] ، وقال ﷺ : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » . [ رواه الترمذي ، وانظر كتابي « أخذ العبرة من ذرف الرسول للعبرة » ] .

وقال ﷺ : « لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم » . [ رواه الترمذي ، وانظر كتابي السابق ذكره ] .  
وقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً » . [ رواه مسلم ] .

والجهاد من أقصر الطرق الموصلة إلى الجنة ، إن لم يكن أقصرها ، فقد قال تعالى : ﴿ فَأَذِينِ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْثُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [ آل عمران : ١٩٥ ] ، وقال رسول الله ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف » . [ رواه أحمد ومسلم وغيرهما ] ، وقال أيضا ﷺ :

« عليكم بالجهاد في سبيل الله ، فاته باب من أبواب الجنة ، يذهب الله به الهم والغم » . [ رواه الطبراني وغيره ، وصححه الألباني في « الصحيحة » ( ح ١٩٤١ ) ] ، وقال ﷺ : « عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه » . [ رواه الترمذي ] .

وقال ﷺ : « من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل القتل في سبيل الله من نفسه صادقاً ، ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد ، ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبةً فاتها تجيء يوم القيامة كأعز ما كانت ، لو أنها لون

الزعفران ، وريحها ريح المسك ، ومن خرج به خراج في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء . [ رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم ، انظر « صحيح الجامع » ] .

وقال ﷺ : « انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجهُ إلا إيمانٌ بهي وتصديقٌ برسلي ؛ أن أرجعه بما نال من أجر وغنيمة ، أو أدخله الجنة » . [ متفق عليه ] .

وقال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » . [ رواه البخاري ] .

وقال رسول الله ﷺ : « يا أبا سعيد ، من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة ، وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض : الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله » . [ رواه مسلم ] .

وعن أنس أن الربييع بنت السراء وهي أم حارثة بن سراقبة أتت النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، ألا تحدثني عن حارثة - وكان قُتل يوم بدر أصابه سهمٌ غربٌ<sup>(١)</sup> - فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟! فقال : « يا أم حارثة ، إنها جنانٌ في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » . [ رواه البخاري ] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

وكل من أصابه جرح في سبيل الله يأتي جرحه يوم القيامة كوسامٍ فخار ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ما من مكلومٍ يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يُذمى : اللونُ لونُ الدم ، والريحُ ريحُ المسك » .

وقال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ستٌ خصال : يُغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويُجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفرع

(١) أي سهمٌ لا يُدرى راميه .

الأكبر ، ويوضع على رأسه تاجُ الوقار ، الواقوتة منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويُذوَجُ ثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه » . [ رواه الترمذي وابن ماجه ، وصحح إسفاده الألباني في تحقيق « المشكاة » ( ح ٣٨٣٤ ) ] .

من أجل ذلك جاء الجهاد في مرتبة تلي الإيمان بالله في فضائل الأعمال ، فعن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ورسوله » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » . [ متفق عليه ] . وفي رواية ابن خزيمة - وهي رواية للنسائي من حديث عبد الله بن حبش - : « أفضل الأعمال عند الله إيمانٌ لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور » . وعن أبي نر قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله » . [ متفق عليه ] . وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل العمل الصلاة لوقتها والجهاد في سبيل الله » . [ رواه البيهقي في « الشعب » ، وانظر « صحيح الجامع » ( ج ١١٢٣ ) ] ، وعنه رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه جاء الجهاد بعد الصلاة وير الوالدين .

وعن أبي سعيد الخدري قال : أتى رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد بنفسه وبماله في سبيل الله تعالى » . قال : ثم من ؟ قال : « مؤمن في شعب من الشعب يعبد الله ويدع الناس من شره » . [ متفق عليه ] . وفي رواية للحاكم : أنه سئل : أي المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال : « الذي يجاهد بنفسه وماله ، ورجل يعبد الله في شعب من الشعب وقد كفى الناس شره » .

وقال ﷺ : « من خير معاش الناس لهم : رجل ممسكٌ عنان فرسه في سبيل الله يطير على منته كلما سمع هزيمة أو فرعة طار عليها يتبغى القتل والموت مظلته ، أو رجل في غنيمة في رأس شنقة من هذه الشنق ، أو بطنٍ وإٍ من هذه الأودية ، يُقيم الصلاة

ويؤتي الزكاة يعذب ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير » . [ رواه مسلم ] .

وقد بين النبي ﷺ ثواب المجاهد ، فعن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « لا تستطيعونه » . فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول : « لا تستطيعونه » ، ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » . [ متفق عليه ] .

ومر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه غيبنة من ماء عذبة فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : « لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلته في بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » . [ رواه الترمذي وغيره ، وحسن إسناده الألباني في تخريجه « للمشكاة » ( ح ٣٨٣٠ ) ] .

وقال رسول الله ﷺ : « مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة » . [ رواه الحاكم وصححه ، وانظر « صحيح الجامع » ( ح ٤٤٢٩ ) ] .

وقال ﷺ : « رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان » أي عذاب القبر وفتنته . [ رواه مسلم ] .

وقال رسول الله ﷺ : « موقف ساعة في سبيل الله ، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود » . [ رواه ابن حبان وغيره ، وانظر « صحيح الجامع » ] .

والجهاد من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله بعد إيمانه وتوحيده ، ففيه اليقين في موعود الله ، وتغليب لحب الله والشوق إلى لقائه على ثقله الدم واللحم وارتفاع عن الشهوات والملذات الدنية ،

بل هو أفضل من الإقامة في المساجد الثلاثة بمكة والمدينة وبيت المقدس . [ كما قال بذلك ابن تيمية . انظر « الثمرات الجياد » ( ص ٢٠ ، ٢١ ) ] .

إنه البذل والتضحية والفداء والشجاعة التي هي عماد الفضائل ، ومن فقداه لم تكمل فيه فضيلة ، ويُعزَّر عنها بالصبر وقوة النفس ، وأصل الخير كله في ثبات القلب . [ انظر « العبرة مما جاء في الغزو » ( ص ١٢ ) ] .

ولذا فهو من أحب الأعمال إلى الله ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ليس شيء أحب إلى الله من فطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم يهراق في سبيل الله ، وأما الأثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى » . [ رواه الترمذي ، وحسن إسناده الألباني في « المشكاة » ( ح ٣٨٣٧ ) ] .

فالجهاد همة عالية تتناحر دونها الهمم الساقطة الوضيعة ، وتتساقط أمامها العزائم النخرة الضعيفة ، وتتخاذل دونها النفوس الصغيرة والقلوب الجبانة الرعيذة .

فلا يثبت في طريق الجهاد إلا ثابت القلب قوي الإيمان جازم اليقين ، أولئك هم الصادقون ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [ الحجرات : ١٥ ] .

لما كان يوم أحد ، قال رسول الله ﷺ : « من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ » فقال رجل من الأنصار : أنا ، فخرج يطوف في القتلى ، حتى وجد سعداً جريحاً مثبتاً بأخر رمق ، فقال : يا سعد ، إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر : أفي الأحياء أنت أم في الأموات ، قال : فبقي في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ السلام ، وقل : إن سعداً يقول : جزاك الله عني خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك مني السلام ، وقل لهم : إن سعداً يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلبس إلى نبيكم ومنكم عين تطرف . [ انظر « الإصابة » ( ١٤٤/٤ ) ] .

وعن أنس أن أبا طلحة قرأ : ﴿ تَفِرُّوا خِفَافًا

وَبَقَالاً ... ﴿ الآية . فقال : استنفرنا الله ، وأمرنا شيوخاً وشباباً ، جهزوني ، فقال بنوه : يرحمك الله ، إنك قد غزوت على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، ونحن نغزو عنك الآن ، قال : فغزوا البحر فمات ، فلم يجدوا جزيرةً يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ، فلم يتغير .

فالجهد هو طريق الصدق مع الله ، ولا يركب ثبجه ويستعذب المنايا ويخاطر بالمهج والأرواح إلا أهل الصدق والإيمان ، الذين جاهدوا الشيطان والهوى قبل أن يخوضوا معترك الحروب ويردوا مورد الشهادة ، قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام ، فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟ فعصاه فأسلم ، فغفر له ، فقعد له بطريق الهجرة ، فقال له : تهاجر وتذر دارك وأرضك وسماعك ؟ فعصاه فهاجر ، فقعد له بطريق الجهاد ، فقال : تجاهد ، وهو جهد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل ، فتتكح المرأة ويقسم المال ؟ فعصاه فجاهد . » فقال رسول الله ﷺ : « فمن فعل ذلك فمات حقا على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وإن وقسته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة . » [ رواه النسائي وابن حبان وغيرهما ] .

والمجاهد في أمان وضمان الله ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة كلهم ضامن على الله : رجل خرج غازياً في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرزده بما نال من أجر وغنيمة ... » [ رواه أبو داود وغيره ، وصححه الألباني في تحقيقه « للمشكاة » ( ح ٧٢٧ ) ] ، وقال ﷺ : « ثلاثة في ضمان الله عز وجل : رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل ، ورجل خرج غازياً في سبيل الله تعالى ، ورجل خرج حاجاً . » [ رواه أبو نعيم ، وانظر الصحيحة ( ح ٥٩٨ ) ] .

كل هذا الفضل والأجر يجعل الجهاد خيراً من الدنيا وما فيها ، وقد قال رسول الله ﷺ : « غدوة في سبيل الله أو روحة خيراً مما طلعت عليه الشمس وغربت . » [ رواه مسلم ] .

وقال ﷺ : « الروحة والغدوة في سبيل الله

أفضل من الدنيا وما فيها » . [ متفق عليه ] .

وقال ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يزوحها العيد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها » . [ رواه مسلم ] .

ويلعظم أجر المجاهد كان رسول الله ﷺ يتعنى ألا يترك سرية تجاهد في سبيل الله إلا ويكون فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « اتدب الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا إيماناً بي وتصديقاً برسلي ، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولو لا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ، ولو دبت أن أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل . » [ متفق عليه ] .

وقد تمنى سليمان عليه السلام أن ينجب كثرة من الأولاد ليجاهدوا في سبيل الله ، فقد قال رسول الله ﷺ : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين - وفي بعض الروايات : تسعين - امرأة ، تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله . فقال له صاحبه : إن شاء الله . فلم يقل ، ولم تحمل شيئاً ، إلا واحداً ساقطاً أخذ شقيته . » فقال النبي ﷺ : « لو قالها لجاهدوا في سبيل الله » . [ متفق عليه ] .

وكل أحد يتمنى أن لا يرجع إلى الدنيا بعد أن يدخل الجنة إلا الشهيد لعظم الأجر الذي يجده في الجنة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيء ، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة » . [ متفق عليه ] .

وعن ابن أبي عميرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نفس مسلمة يقبضها ربها ، تحب أن ترجع إليك ، وأن لها الدنيا وما فيها ، غير الشهيد » . قال ابن أبي عميرة : قال رسول الله ﷺ : « لأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل الوبر والمدر » . [ رواه النسائي وأحمد ، وحسن إسناده الألباني في « المشكاة » ( ح ٣٨٥٥ ) ] .

والله موفق .

# علم مقارنة الأديان

## بقلم: مجدي قاسم

ونظرًا لما نتعّم به أهل الكتاب- في الديار التي دخلها الإسلام- بسماحة الإسلام وعدل حكّامه، وما أعطوا من حرية تامة في أداء طقوسهم الدينية، وما ضمنت لهم المعاهدات الإسلامية من المحافظة على كنائسهم وأديرتهم وجميع حقوقهم... فقد استغل بعض علمائهم جو الحرية والسماحة الإسلامية للتنفيس عن أحقادهم الدينية ضد الإسلام وأهله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، فبدأوا يكتبون الرسائل والكتب، ليس فقط من أجل شرح عقيدتهم، ولكن لترويج بضاعتهم الفاسدة بين المسلمين وإنكار البشارات التي وردت في كتبهم عن الإسلام ونبي الإسلام وصحابته الكرام، بل الطعن في القرآن وحفظ الله له، وكمال الشريعة الإسلامية، وكذا الطعن في النبي ﷺ وصدق نبوته ورسالته، بل وهدم التاريخ الإسلامي بكل أمجاده ومفآخره... إلى غير ذلك من ترويج للشبهات والإكاذيب والأباطيل المفتراة، بل محاولة الاستدلال على عقائدهم الباطلة وعلى اعتبار كتبهم بما فيها من تحريف وأباطيل بأدلة قرآنية مبتورة وفي غير معناها، مما حدا بعلماء الإسلام- ردًا على تلك الكتب والرسائل التي أذاعوها بين المسلمين- إلى أن يبنروا للكتابة عن اليهودية والنصرانية تاريخًا وعقيدة، وبيان ما فيهما من تحريف وتبديل، وأباطيل وأوهام، وكذا الدفاع عن أحكام الشريعة الإسلامية، وعن نبينا محمد ﷺ وصدق نبوته، وردّ الشبهات في ذلك، وإظهار البشارات الكثيرة به ﷺ والمنشرة في كتبهم، وكذا بيان موقف القرآن الصحيح والصريح من اليهودية والنصرانية: عقيدة وشريعة وكتبا، وذلك بصورة واضحة مشرقة نيرة لا تعقيد فيها ولا إبهام، بأبلغ الحجج وأظهر البراهين اليقينية بالشرع المنقول والنظر المعقول.

وكذلك بيان ما كان للنصارى- في بعض الفترات التاريخية- من ظهور شأنهم، واستعلاء أمرهم، إلى الحدّ الذي يتناولون فيه على المسلمين سياسيًا واجتماعيًا، مما يثير حمية علماء الإسلام ضدهم لمحاولة إضعاف أثرهم في البيئة الإسلامية، كما حدث عقب سقوط بغداد (سنة ٦٥٦هـ) وتأييد هولاءكو زعيم التتار ونوابه للنصارى وإتاحة

في وسط الوجود اليهودي الجاثم على قلب العالم الإسلامي، وفي ظلّ الحرب الصليبية الشرسة ضد ما هو إسلامي، وفي ظلّ سعيهما الحثيث لهدم صروح الحق في أي مكان وفرض مبادئهم وعقائدهم... وفي ظلّ ظهور شأنهم واستعلاء أمرهم عسكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وجب على كل مسلم- كلّ في موضعه أن يواجه هذا العدوان ويذود عن حياض الإسلام، فعلى العلماء أن يجاهدوا بأقلامهم وأستنتهم دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، ورداً لكيد الطاعنين في الإسلام وأهله بالحجة والبيان، كما أن على المجاهدين أن يجاهدوا بالعدة والأسنان.

والتحاور بين الأديان قديم- كما سنبينه بعد ذلك- وقد ازداد في العصر الحاضر أضعافاً مضاعفة، وذلك نظرًا لتطور الوسائل المعينة عليه؛ كتطور وسائل الاتصال ووسائل النشر والإعلام.

والهدف الحقيقي لعلم مقارنة الأديان عند المسلمين هو الدفاع عن الإسلام بوصفه الدين الحق، وهذا يُعدّ كذلك السبب الحقيقي لإنشاء علم مقارنة الأديان والملل. فقد كان الغرض الحقيقي من المناقشات والجدل حول الديانات هو إظهار أن الدين الصحيح هو الإسلام، وأنه دين التوحيد الخالص لا تخليط فيه ولا انغلاق، كما في المسيحية واليهودية.

فيمكن أن نقول في تعريف هذا العلم أنه: «علمٌ يُقارن بين الأديان لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينهما، ومعرفة الصحيحة منها والفاسدة، وإظهار لحقيقة الإسلام بأدلة يقينية».

ويختلف مفهوم هذا العلم عند المستشرقين بناء على هدفهم، فالهدف الحقيقي لهم لإنشاء هذا العلم هو هدم الإسلام عن طريق هذا العلم بأسلوب علمي أظهرها فيه إخلاصهم للأديان كلها.

ولم يظهر هذا العلم- بهذه الصورة- قبل الإسلام لعدم الاعتراف المتبادل بين الأديان الموجودة قبله، حيث لم يعترف أيّ منها بالأديان الأخرى، وكان كل دين يعدّ ما سواه من الأديان والأفكار ضلالاً، بل أنكرت كل طائفة دينية جميع الطوائف الأخرى المنتسبة لنفس الدين وعدّت اتجاهاتها ضلالاً، وربما حكمت كل منها بالإعدام على أتباع سواها، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

الفرصة لهم للتداول على المسلمين وإظهار شعائرهم بشكل يثير الحفيظة الإسلامية، وما نتج— عقب سقوط الأندلس— من مذابح للمسلمين أو إكراه لهم على النصرانية أو إخراجهم من ديارهم، وكذلك ما كان في فترة الحروب الصليبية وغزوهم لديار الإسلام واستيلائهم على بعض المدن الإسلامية قبل أن ينهزم الصليبيون ويندحروا.

ونتيجة للتحديات التي صدرت من أهل تلك الديانات كان لزاماً على المسلمين مواجهة ذلك بالمناقشة والمحاورة والمجادلة بالحسنى، والمقارنة بين تعاليم الإسلام وتعاليم غيره، وكان هذا من أهم أسلحة المواجهة ضد غير المسلمين.

وهذا العلم يفيد في الدفاع عن الإسلام ضد التحديات التي تواجهه، فكما أوضحنا، هو سلاح ماضٍ في مواجهة هجوم أصحاب الديانات الأخرى، بجانب تحديات الحركة الإلحادية المنتشرة في العالم، وكذا إظهار المكانة العظيمة للقرآن الكريم بين الكتب الأخرى، ووضوح العقيدة الإسلامية في مقابل غموض العقائد الأخرى واضطرابها، وحقولها بالانصراف والوثنية والتعدد، وكذلك سمو التشريع الإسلامي في مقابل غيره، وما منحه للبشرية من هدي وتوجيه، فالشريعة الإسلامية أكمل من شريعة موسى وعيسى، وما جاء في التوراة والإنجيل من علم نافع وعمل صالح إلا وفي القرآن مثله أو أكمل منه.

كما أن هذا العلم يفيد أيضاً في أنه يُقدِّم للمسلم معرفة عن تاريخ كل دين، وما حدث به من خلل أو انحراف خلال رحلته التاريخية الطويلة، ويستطيع أن يثبت أن النصرانية الحالية ليست هي التي كان عليها عيسى عليه السلام، وأن اليهود جعلوا تاريخهم بعض دينهم، كما سيخرج الإنسان بأن جميع الأديان السماوية على حقيقتها قد خرجت من منبع واحد وأضاعت من مشكاة واحدة، وأن الإسلام هو الخاتم والأشمل والأكمل.

وقد تحدث القرآن عن اليهودية والنصرانية حديثاً مستفيضاً، ولا يستطيع أصحاب أي دين منهما أن ينكروا وصفاً وصف القرآن الكريم به عقيدة من عقائدهم، بل نجد أن القرآن كان يتنبأ مستقبلاً بما يقولونه، فلا يستطيع خصوم الإسلام أن يتجنبوا المقولة التي تنبأ القرآن أنهم سيقولونها.

وقد جاء القرآن بالكثير من الآيات التي تحمل اتجاه المقارنة، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِنَّهُ تَرْجِعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ

مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وكثير من الآيات التي تبين أن الله واحد أحد فردٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وليس له صاحبة ولا ولد، وتبين كُفْر من قال إنَّ اللهَ ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة. تعالى الله عما يقول الظالمون.

وكان يعتمد في حجاجه وتحدي خصومه على طلب البرهان: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤]، ﴿ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿ إِن تُؤْنِسُنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ [الأحقاف: ٤]، وقد أجرى الرسول ﷺ محاورات ومجادلات مع اليهود والنصارى، وجادلهم بالتي هي أحسن في القضايا الهامة في الألوهية والنبوة وغير ذلك. وأسلم بعضهم كعبد الله بن سلام وغيره.

قال ابن القيم: والمقصود أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفى، وكذلك أصحابه من بعده. وقد أمر الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله.

وقد حث الإسلام على المجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُجَّةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وبالرغم من الإيمان بان الإسلام وحده هو دين الحاضر والمستقبل، فالمسلمون يؤمنون بان الإسلام هو الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان، وأنه اللبنة الأخيرة التي تم بها البناء واكتملت الشرائع، وأن القرآن هو العهد الأخير من الله إلى عباده إلى قيام الساعة، وأنه جاء بكل ما جاء به جميع الأنبياء والرسول، وأضاف إلى ذلك ما تحتاجه البشرية في حياتها إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣]، وأن على المسلم أن يؤمن بجميع ما أنزل الله من كتب، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ. مِن قَبْلِ هَٰذَا هَدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ١-٤]، كما أن على المسلم أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسول، قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ

أَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَا بَيْنَكَتَهُ وَكُنْتَهُ وَرُسُلَهُ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْمَصِيرُ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾، وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ [البقرة: ١٣٦]، بالرغم من هذا كله، فقد اعترف الإسلام بجماعات أخرى غير إسلامية هم أهل الكتاب، ونظم حقوقهم وواجباتهم.

ومع أن الله تبارك وتعالى أظهر لنا خباياهم حين قال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لِيَ بِاللَّهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَلَكِنَّ أُتِّبْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَدُ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ...﴾ [البقرة: ١٠٩]، إلا أنه قال تعالى: ﴿لَا يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [المتحنة: ٨].

هذا، وقد تم تدوين علم مقارنة الأديان بعد نموه - في الدولة الإسلامية - في منتصف القرن الثاني الهجري، وظهر كتاب النوبختي (المتوفى ٢٠٢هـ) «الآراء والديانات» في آخر القرن الثاني، وهذا الكتاب يعتبره الباحثون أول كتاب في هذا العلم، وقام أحمد بن عبد الله بن عبد السلام بن خليفة بترجمة التوراة والإنجيل، وذلك في عهد هارون الرشيد (ولا يمنع هذا من ترجمات أخرى لليهود أو للنصارى)، وفي عهد الخليفة المأمون عقدت مجالس للمناقشة في الأديان والمذاهب والفرق، وحضر هذه المجالس: أبو الهذيل العلاف (١). ثم كثرت بعد ذلك الأبحاث والدراسات حتى القرن التاسع الهجري.

فكتب أبو الحسن الأشعري «الفصول» والجاحظ - وهو من معتزلة القرن الثالث الهجري «الرد على النصارى»، واليعقوبي (المتوفى ٢٩٢هـ)، وكان من المؤرخين القدامى، كتب عن قسطنطين وملوك الرومان النصارى، وأورد دراسة كاملة عن الأنجيل، والبلخي (المتوفى ٣٤٠هـ) له كتاب «البدء والتاريخ»، والمسعودي (٣٤٦هـ) له كتابان عن الديانات هما: «المسائل والعلل في المذاهب والملل»، و«سر الحياة»، وأبو الحسن العامري (٣٨١هـ) له «الإعلام بمنابح الإسلام»، وأبو منصور البغدادي (٤٢٩هـ) له «الملل والنحل»، وابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) له «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، والشهرستاني (٤٥٨هـ) له «الملل والنحل»، وأبو الريحان البيروني (٤٤٠هـ) له «تحقيق ما للهند من مقولة: مقبولة في العقل أو مرذولة»، وهذا الكتاب كان خاصاً بأديان الهند، و«الرد الجميل»، كتبه أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، ولأبي عبيد الخرزجي (٥٨٢هـ) «مقام الصليبان»، أما أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري (٦٦١هـ) فله «تخجيل من حرق التوراة والإنجيل»، وللقرطبي (٦٧١هـ) «الإعلام بما في دين النصارى من

الفساد والأوهام»، ولأحمد بن إدريس القرافي (٦٨٤هـ) «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»، ولأحمد بن تيمية (٧٢٨هـ) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ولأبن قيم الجوزية (٧٥١هـ) «هداية الحيارى»، ولعبد الله الترجمان «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» ألفه سنة (٨٢٣هـ).

ولكن هذا العلم أصابه الضعف بعد تلك نتيجة أسباب شتى على رأسها مواجهة الحروب الصليبية بالسلاح لا بالمناقشات، ونفوذ غير المسلمين في قصور الملوك والأمراء والوزراء، وأيضا التعصب المقيت للمذاهب والآراء وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، وخاصة أهل الأديان الأخرى الذين أظهروا - دون موارد - تعصبهم ومقتهم لغيرهم، بل واستئصال الآخر - إن استطاعوا - ولو كان من أهل دينهم طالما كان مخالفا لهم.

وبعد سنوات من ضعف هذا العلم في بلاد المسلمين عاد ليسترد عافيته، وظهر علماء أفاضل في هذا المجال كالشيخ رحمت الله الهندي (المتوفى ١٨٩١م) بكتابه الفذ «إظهار الحق»، وكالعلامة العراقي عبد الرحمن الباجه جي زاده (المتوفى ١٩١١م) بكتابه القيم «الفارق بين المخلوق والخالق»، وفي عصرنا الحالي الشيخ أحمد ديدات رحمه الله بكتبه ومناظراته، وكثير غيرهم، حيث أصبح هذا العلم يُدرّس في جامعة الأزهر والجامعات الإسلامية المختلفة كما يدرس عند النصارى في كليات اللاهوت.

وبعد: فيأتي النداء من المولى عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرَكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. فهذا ما ندعوهم إليه - كما أمرنا ربنا - أن نجتمع سوياً حول عبادة الله الأحد، ولا نشرك معه أحداً من خلقه، وننزهه عن الصحابة والولد، وعن كل ما لا يليق به، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

## هامش

(١) من متكلمي المعتزلة وله ضلالات.

### مصادر البحث

- «الحوار مع أهل الكتاب».
- «مقدمة علم مقارنة الأديان».
- «مقارنة الأديان اليهودية».
- «موقف ابن تيمية من النصرانية».
- «الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية».
- «المناظرة الأولى - أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين».
- «تاريخ المذاهب الإسلامية».
- «زاد المعاد».
- «الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا».
- «منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي وإبننوزا».
- «أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين».



# توحيد الله

ولذا فإن الحقيقة الثابتة في كل الرسالات السماوية جميعها: عبادة الله وتوحيده توحيداً كاملاً خالصاً شاملاً وعدمُ صرف شيء من العبادة لغيره سبحانه لتتجه العوالم كلها إلى ربٍّ واحد وإله واحد لا إله سواه، تقرُّ له بالسيادة المطلقة، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة، وتحرر العقيدة من كل ركاب التصورات والأفكار الخاطئة والفلسفات والأوهام والأساطير التي عكرت صفو الفطرة السليمة، فجاءت كل الرسالات بمبدأ واحد هو الإيمان بوجود الله الحق ووحدانيته وإفراده بالعبادة واتصافه سبحانه بكل صفات الكمال والجلال والجمال.

فجميع الأنبياء قالوا لاقوامهم: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾<sup>(٥)</sup> فهكذا افتتح كل رسول من الرسل دعوته بالدعاء إلى عبادة الله وحده، وهكذا قال نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وغيرهم من أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم أجمعين، يقول الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله﴾ [فصلت: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم \* وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥١].

وكذا كان يقول رسولنا محمد ﷺ، فعن أشعث بن أبي الشعثاء قال: حدثني شيخ من بني مالك

إن الله جلت حكمته وعظمته وقدرته وتعالى جاهه بعث الأنبياء مبشرين ومنذرين وأرسل معهم الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة والحجج الباهرة وأنزل عليهم الكتب ليقوم الناس بالقسط ويعملوا بالعدل الذي قامت عليه السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ [الحديد: ٢٥]، فالدين الذي جاءت به الرسل كله عدل وقسط.

وليس من العدل في شيء أن يعبد الإنسان غير خالقه ورازقه ومدبر أمره.

وليس من العدل في شيء أن ينسى الإنسان العهد والميثاق الذي قطعه معه ربه وأودعه فطرته، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا...﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقد جعل الله هذه الشهادة قرين الفطرة، قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء<sup>(١)</sup>، هل تحسون فيها من جدعاء<sup>(٢)</sup>». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه (راوي الحديث): ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم: ٣٠]<sup>(٣)</sup>.

ففطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها مقتضية لمعرفة الله والإقرار بربوبيته والإذعان للحق وقبوله وإرادته، فلو ترك الإنسان وفطرته بعيداً عن الانحراف والفساد ما كان إلا مسلماً، وقد قال رسول الله ﷺ مبلغاً عن ربه: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»<sup>(٤)</sup>.

فالفطرة السليمة تتوجه تلقائياً إلى عبادة الله الخالق البارئ المصور، فكيف يخلق ويُعبد غيره؟ وكيف يرزق ويؤله سواه؟ فبعث الله الأنبياء والرسل ﴿مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥]؛ وذلك لتذكير الناس بعبادة الله الواحد الأحد، خالقهم ورازقهم.

# في رسالات الله

بقلم / مجدي قاسم

بن كنانة قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبدَ الله وحده لا شريك له»<sup>(\*)</sup>.

وقال تعالى أمراًً نبيه ﷺ: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩]. وقال تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وقال تعالى: ﴿قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين \* وأمرت لأن أكون أول المسلمين \* قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم \* قل الله أعبد مخلصاً له ديني \* فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ [الزمر: ١١-١٥].

ولذا قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم \* الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧]. وقال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»<sup>(٧)</sup>.

فما شرعه الله سبحانه لهذه الأمة هو نفسه ما شرعه للأمم السابقة ومنهم أمة موسى وعيسى عليهما السلام، فقد قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي إليك وما

وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣]، فالدين واحد<sup>(٨)</sup> والعقيدة في الله التي بُعثَ به الرسل واحدة، قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات»<sup>(٩)</sup>، أمهاتهم شتى ودينهم واحد<sup>(١٠)</sup>، والإيمان بالله يستتبع الإيمان بجميع أنبياء الله ورسوله وعدم التفرقة بين رسل الله، قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [النساء: ١٣٦]. وقال تعالى: ﴿أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥] ويقول تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقاً﴾ [النساء: ١٥١-١٥٢].

فالتوحيد هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب من أجله، وشرع الجهاد من أجله، وبتحقيقه تكون النجاة من النار والفوز بالجنة، فهو أساس العبادة ورأسها، وهو عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد لا إله غيره ولا رب سواه، ومن دونه عبد مخلوق مربوب تحت مشيئته وقهره، فالله هو وحده المستحق للعبادة دون سواه، قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ [النساء: ٣٦].

بل ما خلق الله الخلق إلا لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون \* ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون \* إن الله هو الرزاق ذو القــــوة المتين﴾ [الذاريات: ٥٨، ٥٩]. وقال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء...﴾ [البينة: ٥].

ولأن التوحيد هو أوجب الواجبات وأهم المهمات كان أول أمر في القرآن: الأمر بالتوحيد في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون \* الذي جعل

لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون ﴿البقرة: ٢١-٢٢﴾، بل جاء في سورة الفاتحة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥]، وعبادة الله يدخل فيها جميع ما يحبه الله ولها أصلان: أن لا يعبد إلا الله وحده وأن لا يُعْبَدَ إلا بما أمر وشرع، قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف: ١١]، وقال تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥].

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه مدار الجزاء والثواب في الآخرة، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقد أخذ الله العهد والميثاق على ذلك، قال تعالى: ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقاتهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً﴾

[الأحزاب: ٨٠٧]، وقال: ﴿وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولذا، وبالرغم من كل ما لحق بالكتب السابقة من تحريف وتبديل وتغيير كما أخبرنا ربنا في كتابه الكريم<sup>(١١)</sup>، إلا أنه لا تزال نصوص واضحة صريحة تامر بالتوحيد.

ونكمل في العدد القادم إن شاء الله تعالى..

#### الهوامش

- (١) اي سليمة الأعضاء، لم يذهب من بدننا شيء، سُمِّيت بذلك لاجتماع اعضائها.
- (٢) اي مقطوعة الأذن، وهذا تشبيهه لصمم الكفار عن الحق. وانظر فتح الباري (٢٩٥/٣).
- (٣) حديث متفق عليه: رواه البخاري (١٣٥٨ح) ومواضع، ومسلم (٢٦٥٨ح)، وغيرهما.
- (٤) رواه مسلم (ح٢٨٦٥).
- (٥) انظر: (الأعراف: ٥٩، ٧٣، ٨٥)، (هود/ ٥، ٦، ٨٤)، (المؤمنون/ ١٢٣)، (النمل/ ٤٥)، (العنكبوت/ ١٦، ٣٦)، (الإحقاف/ ٢١)، (نوح/ ١، ٣).
- (٦) رواه احمد (٦٣/٤) بسند صحيح.
- (٧) رواه مسلم ح (٥٣).
- (٨) رواه احمد (٥٠/٢)، وانظر البخاري كتاب الجهاد.
- (٩) قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماك المسلمين من عب﴾
- (٩) العلات: الضرائر، وأولاد العلات: الإخوة من الأب، وانظر فتح الباري (٥٦٤/٦).
- (١٠) متفق عليه: رواه البخاري (ح٣٤٤٢، ٣٤٤٣)، ومسلم (ح٢٣٦٥).